

# أجمل وأشهر رباعيات العرب

إعداد

الشاعر الكبير

فريد إبراهيم

دار الروضة

للنشر والتوزيع



الطبعة الأولى

١٤٢٩ هـ — ٢٠٠٨ م

رقم الإيداع بدار الكتب

٢٠٠٨ / ٣٢٩٨

I.S.B.N الترقيم الدولي

٩٧٨-٩٧٧-٤٥٨-٠٠٢-٤

حقوق الطبع محفوظة

دار الروضة — للنشر والتوزيع

٢ درب الأثرالك خاف جامع الأزهر

مدبول : ٠١٢٣٦٠٨٩٩٥

ص.ب: ٢٢٢٧ — رمز بريدي: ١١٥١١

٢٥٩١٢٤٢٤ — ٢٥٠٦١٨٨٤ فاكس : ٢٥٩٢٧٣٦٤

## المقدمة

قلما يحود عينا الزمان بمثلهم، صلاح جاهين ١٩٣٠

و عمر الخيام ١٠٤٤ صاحباً اشهر الأعمال الشعرية انتشاراً بين المهتمين بالشعر

" الرباعيات "

أهم ما يميز الرباعيات لكلا منهم هو النزعة التشاؤمية والممزوجة برنة تفاؤل

خفية باهتة لا تتضح بسهولة مع ثقة مطلقة في حكمة الأقدار بتلاعب الأحداث

بالإنسان ، تأمل الخيام في إحدى رباعيته إذ يقول :

ديوان شعر تحت غصن شجرة

زجاجة من النبيذ، رغيغ ، خبز

وأنت إلى جانبي في القفار نغني

أه ، إن القفار وقتنذ تكون جنتنا

بينما تغلبه رنة الحزن والتشاؤم بسرعة فيقول في رباعية أخرى :

كل صباح يأتينا بآلاف الورود، هكذا أنت تقول

ولكني أتساءل، أين ترك الصباح الزهور التي حملها بالأمس

فهذا الشهر الأول من الصيف الذي سيجيئنا بالورود

سيطوي "جمه يد" و "كايكوباد" في مكان بعيد

وجمشيد و كايكوباد هؤلاء ملوك فارسين أسطوريين .

أما بالنسبة لرباعيات صلاح جاهين فلم يدع نزعته التشاؤمية تفقده روح

الدعابة الجبارة التي وهبه الله إياها في معظم رباعياته :

أنا قلبي كان شخشيخة أصبح جرس

جلجات به صحيو الخدم و الحرس

أنا المهرج قمتم ليه؟ خفتم ليه؟

لا ف أيدي سيف ولا تحت منى فرس  
 ثم للشجن يعود و بشدة فيحكي  
 دخل الربيع يضحك لقاني حزين  
 نده الربيع على أسمى لم قلت مين  
 حظ الربيع أزهاره جنبي وراح  
 واش تعمل الأزهار للميتين

قال صلاح جاهين أن شد ما يحزنه انه بعد ممانه فإن أكثر ما سيذكره الناس له  
 هي الرباعيات رغم غزارة وتنوع أعماله وهو خاطر أجده غريبا إلى الآن :

ياللي بتبحث عن إله تعبده  
 بحث الغريب عن أي شيء ينجده  
 الله جميل، الله عليم، رحمن رحيم  
 احمل صفاته وأنت راح توجده

أما عمر الخيام فبعد أن جاوز الثامنة والأربعين وجد نفسه وحيدا مهجورا  
 ومطاردا من السلطة الجديدة التي تقاسمها أبناء السلطان السابق، يستعيد في وحدته وجه  
 ياسمين حبيبه عمره، وهي في حمى الموت بعد أن حرمت الظروف منها طويلا ثم التقى  
 بها في حلب يفترسها المرض بعد طلاقها وحملها إلى الشام وتزوجها ولكنها ماتت بعد  
 أسبوع واحد في الطريق إلى نيسابور فدفنها تحت شجرة عتيقة لا يفارق الظل موقعها  
 وعاد فقال :

يخيل إلى أحيانا أن الوردة لا تحوز احمرارها القاني  
 إلا من تربة رواها دم قيصر دفين  
 وكل زهرة من الياسنت في ثوب الحديقة  
 هبطت في حضنها من رأس محبوب لنا ذات يوم

قال جاهين في لقاء له ذات مرة حين سؤل:-

المقدم: أستاذ صلاح ما الذي دفعك إلى كتابة الرباعيات على الرغم من أن

هناك الرباعيات التي سبقك إليها عمر الخيام ؟

صلاح جاهين: ما هو أنا كنت برخم عليه

المقدم: طيب ما هو أكثر شيء يمكن أن يضحكك في هذه الدنيا ؟

صلاح جاهين: لما يبص في المرآة

هكذا كانت شخصية صلاح جاهين ساخرة مرحة و جلادة لذاكنا طول الوقت ولا يمكنك أبدا فهم الأعاصير التي تدور داخلها فهما مطلقا وكذلك كانت رباعياته

يا باب أيا مقفول ، إمتى الدخول؟  
صبرت ياما و اللي يصبر ينول  
دقيت سنين، والرد يرجعلي مين؟  
لو كنت عارف مين أنا كنت أقول

أجمل اللحظات اقضيها مع رباعيات عمر الخيام حينما أتناوب قراءتها مع ما نقله العظيم " احمد رامي " للرباعيات بعد أن أتقن دراسة اللغة الفارسية في ترجمته الشعرية للرباعيات ولم أكن أفهم الفرق قبلها بين الترجمة الشعرية والترجمة العادية - الحرفية - قبلا حتى قرأت رباعيات الخيام لأحمد رامي وقارنتها بالترجمة الحرفية لرباعيات الخيام الأصلية فمثلا كتب الخيام فقال :

انهض الآن، فالشمس التي أطاحت بالنجوم  
بعيدا عن حقول الليل  
أطاحت بالليل معها عن السماء  
واخترقت قلعة السلطان بسهم من الضياء

فترجم " رامي " هذا ترجمة شعرية فقال

سمعت صوتنا هاتفا في السحر      نادى من الحان ، غفاة البشر  
هبوا املأوا كأس الطلى قبل أن      تفعم كأس العمر كف القدر

ولان الرباعيات المترجمة ليست متماثية ترتيبا مع الرباعيات المنقولة فلك أن تتخيل المتعة والإثارة عندما ابدأ في مقارنة الرباعية هذه بتلك لأبحث عن الأفكار المشتركة بين الرباعيات حتى أجد الرباعية المترجمة ونظيرتها المنقولة ، وهي تسلية لذيدة وممتعة إلى أقصى حد كما أنها بحث متفرد في حد ذاته بين طيات الأفكار المتنوعة لشعراء عظام .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### المقدمة

الشعر الفلسفى قدم قدم الشعر وإذا كان الشعر قد كتب قيل كلون من التأسى واخراج مكونات النفس فى كلمات لها وقع يعمل صداه فى النفس والقلب سواء أكان هذا المكثون فرحا أو حزنا أو شوقاً أو بأساً أو أملاً فإننا نستطيع أن نقول إن شعر الرباعيات أو الربعات هو تتويج لكل هذا فى رسائل قصيره يرسلها الشاعر إلى مجتمعه وكونه وكأنه يقدم وصاياه وشهادته التى لا يسعفه الوقت للإطاله فيها بعد أن اسعفته الحياة والتجارب حتى استطاع ان يقدم الكثير فى القليل .

يختصر الزمن والكلام والفكر فى عبارات شعرية تحفظها النفوس قبل العتول ، وقد اشتهر من شعراء العرب اعلام قد قدموا رباعياتهم سواء باللغه الفصحى أو العامية وحفظتها الاجيال لما بها من قدره على التعبير والتوصيل والدخول إلى قلب المتلقى دون إذن أو ممانعة بل ترحيب وتمعنه .

وقد تميز صلاح جاهين بالرباعية المفاجأة - إن صح التعبير - حيث تنتهى نهاية فحائية تختلف عن مقدمتها فهى رباعية كأنها مغلقة أو مقفولة أو دائرية وهذه مسميات تؤدى المعنى حول طبيعة الرباعية التى تتناول قضية اجتماعية حقيقية فى لغة عامية رشيقة لذلك ثالث ذبوعا خاصا ساعد عليه عمله بالصحافة وعلاقته بالإذاعة المسموعه وتوفر اصوات حملت رباعياته للناس بالإضافة والاهم هو المرحلة التى وجد فيها صلاح جاهين وهى مرحلة الاعلاء من تأن البسطاء والمطحونين فى المجتمع وتقدم قضاياهم باعتبارها قضايا المجتمع الحقيقية .

وإذا عرفنا ان جاهين كان يمثل الثورة ولسانها اقوى الناس لتقدمها للجمهور ادر كنا سر ذبوع هذا الرباعيات التى توفر لها كل اسباب الأثار ومن كلماته الجميلة الرقيقة

حاسب على الإحزان حاسب لها  
حاسب على رقابيك من جيلها  
راح تنتهى ولا بد راح تنتهى  
مى أنتهت احزان من قبلها  
عذبي

عمر الخيام من الشعراء الذين نالوا موهبة الشعر في ذروتها وفروا من شظف العيش وهي السمة التي تغلب على طبيعة الشعراء الذين قد يحرمونه الجرى وراء لقمة العيش من التفرغ للحلم أو الرومانسية العميقة أو أحيانا يدفعهم إلى إنتاج شعر يتسامى الى قامه المعاناه التي يواجهونها فتتحول المحنة الى منحة في العطاء الشعري وإن فقد الشاعر الحياة الناعمة أو راجت البال مثل الشغفري الشاعر الجاهلي الصعلوك الذي ابداع شعراً من خلال معاناته ونكران اهله له وصارت من عيون شعر العرب وكذلك عمر بن الورد الذي اهدى للانسانيه مشاعر رفيقه عذبه في عمق رائع .

وفي عصرنا الحديث كان الشاعر عبد الحميد الديب وامل الذي عاشا مأساة رهيبه لا يستحقان ان يعيشاها في مجتمع من افترض انه يتقدر الابداع .

ونعود إلى شاعرنا الجميل عمر الخيام لنجد ان الحياة الناعمة منحه قدرة على التأمل والتفكر في الحياة والكون والخلق والعدم فناقش ذاته والكون من عرله وطرح اسئلته التي عاده ما توافق كل الذين يعيشون حياة التفكير والتأمل والغريب ان كثيرا من امثاله طرحوا سؤالاً يتكرر وهو سر الوجود ولماذا جئنا الانسان الى الحياة دون إذن منه ولماذا يذهب دون إذن منه رغم ان الاسلام قدم حلاً واضحاً لهذه القضية حين قال : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذريات: ٥٦) .

وجل معضله أخرى وهي عم مسئوليه الانسان عن رزقه وكأنه مقابل دون إذن منحه حق الرزق المقدر الذي لا يحقق بذكاء ولا يحرم نه ببهل أو قاة الخيله وفي

الحديث القدسي لأرزقن من لا حيله له حتى يعجب اصحاب الخيل .

ومع ذلك كان السؤال عن الوجود متكرراً نجده عند ابو العلاء المعري كما عند الخيام الذين يشتركان في نقاش فلسفه الأشياء وسرها وكنها وإن كان ابو العلاء المعري لم يساعده الثراء وإنما ساعده الفراغ والعمى .

ومع ذلك فإننا نجد الشاعر رغم ثراءه وكفايته مالياً يعيش شقاء آخر وهو شقاء الفكر والتأمل والبحث عن كنه الأشياء بل اننا قد نجد طبيعته تمنح للشعور بالحرمان والحاجة وكأنه يخلق لنفسه معاناه لكي يبدع وهو واضح في شعر الخيام وفي عصرنا الحديث نجده في الشاعر عبد الله الفيصل الذي سمى بالشاعر المحروم رغم ثرائه قدراته المتنوعة اجتماعيه واقتصادياً وغير ذلك لكنه عاش يبحث عن الحب كأنه شاب لا يملك ولا يجد فيحرم من حبيباته ويحرم مما يبحث عنه .

يقول الخيام :

احس فى نفسى دبيب الفناء  
ولم احبب فى العيش إلا الشقاء  
يا حسرتا إن جان جينى ولم  
يتح لفكرى حل لغز الفضاء

ويقول :

تروح ايامى ولا تغتدى  
كما تهب الريح فى الفدفد  
وما طويت النفس هما  
على يومين امس المنفضى والغد

ويقول :

الدهر لا يعطى ما تأمل  
وفى سبيل اليأس مانعمن

## ونحن فى الدنيا على همها يسوقنا حادى الردى المعجل

أما الشاعر القدير بين عروس والذى عاش فى العقد العثمانى وعاشت اشعاره يتداولها الناس ويأخذ منها الشعراء افتيا او مرقه أو يقرءونه ليكون زاداً لابداع جديد لما تميز بين شعر أو مربعاته التى تسمت باسمه من حكمه وبلاغة فى الاداء كما انه جبل الامثال الشعبيه قيلة له يصنعها شعراً مثل قوله :

مسكين من يطيح الفأس  
ويريد فرق من حديده  
ومسكين من يعاشه الناس  
ويريد من لا يريده

ونماذج كثيرة من الامثله صاغها شعراً بل قال من الحكمه هى طبيعة شعره التى صارت بعد ذلك مثلاً يقال وقد نقل عنه شعراء الربابه وغنوا وللأسف قل من يرجع اليه فضل ما يكتب او يقول .

أما الرباعيات الفصحى لفريد ابراهيم الصحفى بالجمهورية فى تجليات فقد اتخذت منهج السابقين فى تقديم قصيدة طويلة فى اربع ابيات تختصر كثير من الكلام والشرح وإنما تقدم الحكمة موجيزة وقد اعتمدت فى ذلك على ترجمة احاديث رسول الله ﷺ التى تناول الاخلاق والقيم الفاضله فى لغه سهله وبسيطة يقرأ كل من يستطيع القراءة وتصل إليه ويفهمها وهى لغة صحفية حيث تأثر بمهنيته فى صياغة رباعياته لانها مهنة تفرض على العاملين فيها ألا يقدموا إلا كلاما يفهمه كل من يكتبه وهى تختلف عن ابن الخيام .

فى ان الخيام قدم وجهة نظر فلسفيه اما هى فقد قدمت التيم الاخلاقيه مجردة دون طرح للاسئلة الازلية إلا فيما تدر من ذلك قوله:

ليس التدين بالكلام

وإنما بالفعل والخلق الكريم  
 فرسولنا لم يأت إلا كي  
 يتم مكارم الخلق الحليم  
 ويعيد للإنسان عزته  
 ويخرجه من الظلم الاليم  
 حتى تصير حياتنا قيثاره  
 للحب والخير العميم

وقد نشرت هذه الرباعيات في جريدة الجمهورية عام ٢٠٠٣م بشهر رمضان .

أما عبد الرحيم منصور فقد جاءت مربعاته منفردة في لغتها ومعانيها كأنما نيته العامية ولم يحرص على الحكمة فيها قدر حرصه على تناول المفارقات الاجتماعية والنفسية في المجتمع وكأنها مفارقات لا مفر منها ولا نملك إلا التسليم بها .

وهو يختلف عن صلاح جاهين في صناعة جملة طويلة في رباعيه أو ربعة يكتمل فيها معنى يأخذ قارئه ويختلف عن ابن عرس الذي قدم الحكمة مستعينا بالامثال الشعبية التي لا تخرج من القلب إلا إلى القلب ولا يملك قارئها الا التسليم بها .

ومن كلام عبد الرحيم منصور :

ياما قصص وحكايات  
 فاتوها ناس للزمان  
 لها روح مع  
 لها عين وودن ولسان

وقوله:

الصرخة في القلب جوع  
 تخالق ربيع أو ذريف  
 وورده في صدر الربوع  
 دمه فقير على الرغيف

وكتاب أجمل وأشهر رباعيات العرب من الأهمية بمكان لأنه الرباعية هي خلاصة فكر ونهاية تأمل ورحيق فلسفه ولا يقدم عليها شاعر في بداياته وإنما يلجأ إليها بعد سبوع وعطاء طويل يمنحه قدرة على تقديم علاحياته في رباعيه او مربعه تحمل معاني أكبر بكثير من كلماتها تتضح تجربة وخيرة وعطاء .

لذا قد احسنت مكتبة دار الروضة حين جمعتها في كتاب يضمها ليقدم عقول متنوعة في مائدة فكرية واحده .

فريد ابراهيم

## من ربعايات صلاح جاهين

زحام و أبواق سيارات مزعجة  
للي يطول له رصيف.. يبقي نجا  
لو كنت جنبي يا حبيبي أنا  
مش كنت أشوف إن الحياة مبهجة  
عجبي!!

إيديا في جيوبي وقلبي طرب  
سارح في غربة بس مش مغترب  
و حدي لكين ونسان و ماشي كده  
وبابتعد ما اعرف .. أو باقترب  
عجبي!!

يا ميت ندامه ع القلوب الخـ  
لا محبة فيها و لا كراهية ولا  
حتي يا قلبي الحزن ما عادش فيك  
معلش .. لك يوم برضه راح تتملا  
عجبي!!

مرحب ربيع مرحب ربيع مرحبه  
يا طفل يا للي ف دمي ناغا وحبنا  
علشان عيونك يا صغرن هويت  
حتي ديدان الأرض و الأخرية  
عجبي!!!

فتحت شباكي لشمس الصبــــــــــــــــح  
 ما دخلش منه غير عويل الرياح  
 و فتحت قلبي عشان ابوح بالألــــــــــــــــم  
 ما خرجش منه غير محبه و سماح  
 عجبي !!!!

---

غمست سنك في السواد يا قلــــــــــــــــم  
 عشان ما تكتب شعر يقطر ألــــــــــــــــم  
 مالك جراك إيه يا مجنون ... و ليــــــــــــــــه  
 رسمت ورده وبيت و قلب و علــــــــــــــــم  
 عجبي !!!!

---

انا الذي عمري اشتياق في اشتياق  
 و قطر داخل في محطة الــــــــــــــــفراق  
 قصدت نبع السم و شربت ســــــــــــــــم  
 من كتر شوقي و عشمي في التريــــــــــــــــاق  
 عجبي !!!

---

انا الذي عشت الزمن مضريــــــــــــــــه  
 بروح حزينة معفنة مضعــــــــــــــــه  
 زرعشجرة سنط لجل انجــــــــــــــــرح  
 لقتها شعر البنت و مفر عــــــــــــــــسه  
 عجبي !!

---

حاسب من الاحزان و حاسب لها  
حاسب علي رقابيك من حبلها  
راح تنتهي و لابد راح تنتهي  
مش انتهت احزان من قبلها؟  
عجبي !!!

---

ياسك و صبرك بين إيديك و انت حر  
تياأس ما تياأس الحياه راح تـمـر  
أنا دقت مندا ومندا عجبي لقيت  
الصبر مر و برضك اليأس مر  
عجبي !!

---

ولدي نصحتك لما صوتي اتنبـح  
ما تخفش من جني و لا من شـبـح  
و ان هب فيك عفريت قتيل إسألـه  
ما دافعش ليه عن نفسه يوم ما اندبح  
عجبي !!

---

ولدي إليك بدل البالون ميت بالون  
انفخ و طرـق فيه علي كل لـون  
عساك تشوف بعينك مصير الرجال  
المنفوخين في السترة و البنطلون  
عجبي !!!

---

لو فيه سلام في الأرض وطمأن و أمن  
 لو كان مفيش و لا فقر و لا خوف جبن  
 لو يملك الانسان مصير كل شئ  
 انا كنت اجيب للدنيا ميت ألف ابن  
 عجبي !!

---

العشب طاطا للنسائم و نـخ  
 أخضر طري مالهبش في الحسن أخ  
 عصفور عبيط انا .. غاوي بهجه و غنا  
 ح انزلهننا.. و انشا لله يهبرني فخ  
 عجبي !!!

---

أوصيك يا بني بالقمر و الزهور  
 أوصيك بليل القاهرة المسحور  
 و إن جيت في بالك .. إشتري عقد فل  
 لأي سمرا.. وقبري إوعك تزور  
 عجبي !!!!

---

غمض عينيك و ارقص بخفة و دلغ  
 الدنيا هي الشابة و انت الـجدع  
 تشوف رشاقة خطوتك تعبـدك  
 لكن انت لو بصيت لرجليك ... تقع  
 عجبي !!!!

---

ياللي بتبحث عن إله تعــــبده  
 بحث الغريق عن أي شئ ينجده  
 الله جميل و عليم و رحمن رحيم  
 أجمل صفاته .. وانت راح توجده  
 عجبني !!!

حقرا و فوق كوكب حقير محتقر  
 في الكون تكون دنياكو إيه يا بقـر  
 رملايه من صحرا ؟ لكن إيش تقول  
 و الكون بحاله جوه عقل البشر  
 عجبني !!

لا تجبر الانسان و لا تخــــيره  
 يكفيه ما فيه من عقل بيحيـره  
 اللي النهارده بيطلبه و يشتهيـه  
 هو اللي بكره ح يشتهي يغيره  
 عجبني !!

ياللي في حماه الشمس تلقي المــــلاذ  
 و ألف بكره و بكره .. في ضلوعه لاذ  
 مين أنت ؟ ماردا ؟ رب ؟ قال لأده بس  
 انا اللي باروي القمح و اسقي الفولاذ  
 عجبني !!!

غسل المسيح قدمك يا حافي القدم  
طوبى لمن كانوا عشانك خـدم  
صنعت لك نعليك أنا يا أخـي  
مستني إيه .. ما تقوم تدوس العدم  
عجبي !!!!

---

البط شال عدي الجبال و البحور  
ياما نفسي اهـج .. احـج ويا الطيور  
أوصيك يا ربي لما اموت .. و النبي  
ما تودنيش الجنه .. للجنه سور  
عجبي !!!!

---

طال انتظاري للربيع يرجـع  
و الجو يدفا و الزهور تطلـع  
عاد الربيع عرمرم شبـاب  
إيه اللي خلاني ابتديت افـزع ؟  
عجبي !!!

---

و لو اتضنيت و فنيت و عمري انفرط  
مش عاوز الجأ للحنول الوسط  
و كمان شطط و جنون مانيش عاوز  
يا مين يقول لي الصـح فين والغـط  
عجبي !!

---

خوض معركتها زي جدك ما خاض  
صالب و قالب شفتك بامتـعـاض  
هي كده... ما تنولش منها الأمل  
غير بعض صد ورد ووجاع مخاض  
عجبي !!!!

---

كام اشتغلت يا نيل في نحت الصخور  
مليون بنونه و الف مليون هاتور  
يا نيل أنا ابن حلال و من خلفتك  
و ليه صعيبه علي بس الأمور  
عجبي !!!!

---

منين أجيبها كلمه متألـمـة  
لعييه فايره حايره و مصممـه  
منين اجيبها كلمه تكون بنت ارض  
تشفي اللي ما شافهوش كلام السما  
عجبي !!!

---

أنا قلت كلمة و كان لها معنيـن  
كما بطن واحده و توأمين زي وشين  
لو دنيا شر.. التوأم الخير يموت  
لو دنيا خير .. الشر ح يعيش منين  
عجبي !!

---

أنا اللي بالأمر المحال اغتـوي  
شفت القمر نطيت لـفوق في الهـوا  
طلته ما طلـتوش إيه أنا يهمنـي  
و ليه .. ما دام بالنشوة قلبي ارتوي  
عجبي !!

---

بره القزاز كان غيم و أمطار و بـرق  
ما يهمنيش - أنا قلت - و لا عندي فرق  
غيرت رأيي بعد ساعة زمـان  
و كنت في الشارع .. و في الجزمة خرق  
عجبي !!!

---

عيني رأت مولود علي كتف أمـه  
يصرخ تهنن فيه يصرخ تضـمه  
يصرخ تقول يا بني ما تنطق كلام  
ده اللي ما يتكلمش يكثر همـه  
عجبي !!!!

---

يا عندليب ما تخافش من غنوتك  
قول شكوتك و احكي علي بلوتك  
الغنوه مش ح تموتك إنمـا  
كتم الغنا هو اللي ح يموتك  
عجبي !!!!

---

عاد الربيع كأنه طعم الحــــــــــــــــب  
 و الحب نار جوه العروق بتصبــــــــب  
 اتمتع ازاي بيه وانا متقطــــــــــــــــع  
 من كتر خوفاي لا في الخطيئة يطب ؟  
 عجبني !!

---

ازاي شبابنا يقوم و ياخذ دوره  
 من غير صراخ ينذيه و يجرح زوره  
 يا هل تري أحسن له يقعد ساكت  
 أو ينترك و لو خرج عن طوره ؟  
 عجبني !!!

---

عيني رأيت عصفور ووياه ابــــــــنه  
 بيحذفه في الريح و ياخذه ف حضنه  
 نوبتين و تالت نوبه - عجبني عليهم -  
 كانوا سوا بيرفررا و يغــــــــوا  
 عجبني !!!!

---

احسن ما فيها العشق و المعشقة  
 و شويتين الضحك و التريــــــــقة  
 شفت الحية . لفيت . لقيت الأــــــــذ  
 تغييرها . و ده يعني التعب و الشقا  
 عجبني !!!!

---

عجبي علي العجب العجيب العجباب  
 لما الحقيقة تطل بعد احتجاب  
 وتروح وتحلا وفجأة تصبح مفيش  
 كمثل طرايطيش بحر ياما خد و جاب  
 عجبي !!!

---

في الهو ماشي يا بهلوان إيش إيش  
 يا فراشة منقوشة علي كل وش  
 شقلبت عقلي و عقلي شقلبني  
 و كنت باحسبني بقيت ما اندهش  
 عجبي !!

---

وقفت ساعة الصبح باغسل سناني  
 قالت لي شايف قوتي و لمعاني ؟  
 إيش تطلب اليوم مني ضحكة أسد ؟  
 والا ابتسامة اعلانات أمريكاني ؟  
 عجبي !!

---

الحلويم اليم صابح رايح  
 سارح في حوض الميه سابح سايح  
 الحلو داب في البحر ، قلت أدوقه  
 وجدت لسه البحر برضك ما-لح  
 عجبي !!!

---

أنا قلبي كوكب و انطلق في المدار  
 حواليك يا محبوبتي يا نور و نار  
 يلف مهما يلف ما بيكتفـ فيش  
 وتمللي نصه ليل و نصه نهـ ار  
 عجبي !!

---

الأرض شوك أيوه لكين هائش  
 و الحمرة مش يعني الطريق حائش  
 دي دمنا السيال .. وبشرة خيـر  
 ان انتي عايشة و ان كنت أنا عائش  
 عجبي !!!

---

إيه اللي خدته من مرور السنين  
 يا قلبي الادمعتك و النيـين  
 بتتن و ترجع و بتفرح و ترجع تحن  
 مع إن مش كل البشر فرحانين  
 عجبي !!!!

---

اوقات أفوق و يحل عني غبايا  
 واشعر كأنني فهمت كل الخبايا  
 و افتح شفائفي علشان أقول الدرر  
 ما أقولش غير حبة غزل في الصبايا  
 عجبي !!!!

---

يا كل كلمة للعجب في قاموس  
 انكلوبيديا لسان العرب أو لا لاروس  
 تعالوا نجدة . ده لسه في عصرنا  
 الشمس و البحر العريض بالفلوس  
 عجبي!!!!

---

الموج تلول تهبط وتطلع تلول  
 يا بحر خدني الشط صاحبك ملول  
 و الا بلاش الشط ح اعمل به أيه  
 ده ريحته طحلب مهري و ام الخلول  
 عجبي!!!!

---

ما أنتاش بتلعب ليه يا روح بابا ؟  
 و لا عسكري و لا لص في عصابة ؟  
 لعب أسد أو ديب رهيب أو غزال  
 دي الدنيا في نهاية المطاف غابة  
 عجبي!!!

---

ورد في ورق سلوفان يا حلوة اهديك ؟  
 و الا انقله بالطين في الشتلة و اجيلك  
 الأولاني لو وحا بحدنا اناني  
 عجبي علي الثاني بإيه يوحيا لك  
 عجبي !!

---

عيني رأيت مخلوق في غاية البشاعة  
 أنا قلت له لما تأملتة ساعسة  
 اللذه و الموت علموك اللـزج  
 و انا علموني الفلسفة و الشجاعة  
 عجبني!!

غطس و قب الموج نهود بمبي  
 من ألف جيل جمالات ما تعلم بي  
 يا قلبي عيب دول امهاتنا القدام  
 أستغفر الله العظيم ربـي  
 عجبني!!

خلقت في المسمار قناع مهزلة  
 ومعاه قناع مأساة بحزنه ابتلا  
 بصيت لقيتهم يشبهوا بعضهم  
 واهو ده العجب يا ولاء و الا فلا  
 عجبني!!

ظهر المسيح الحي علي سفح ربوة  
 و نزل بهالة الضي و قعد في فهوة  
 بصوا .. تعالوا .. قالوا خليه في حاله  
 الناس في حالهم يا بني .. ما لهمش دعوة  
 عجبني!!!

لولا اختلاف، الرأي يا محترم  
 لولا الزلظتين ما لوقود انضرم  
 و لولا فرعين ليفا سوا مخالف  
 كان بيننا حبل الود كيف اتبرم ؟  
 عجبني !!!!

---

يا وردة قلبي معاكي في الريح لعب  
 لا تعبتي م الريح و لا قلبي تعسب  
 احنا كده : نرتاح في صخب الجنون  
 و في السكون بنخاف قوي و نترعب  
 عجبني !!!!

---

مركب ورق من نفخة تتطووح  
 ركبتهما و الكل بيـلوح  
 سوحت فيها اتنين و خمسين سنه  
 لأن ..... و لا بتفرق و لا تروح  
 عجبني !!

---

عالجسرفت الصبح تحدث الضباب  
 بين اللي لسه بيا غرس و اللي طاب  
 ما اهتز قلبي لنبت طالع جديد  
 قد اللي ماشي .. وتحت باطه كتاب  
 عجبني !!

---

يا خالق الكون بالحساب و الجبر  
 و خالقني ماشي بلختيار و الجبر  
 كل اللي حيلتي زمزمية أمل  
 وازاي تكفيني لباب القـــــبر؟  
 عجبي !!

---

قاعدة قناني الخمر ساكنة و ساهية  
 مع ابن آدم في الشبه متناهيــــــــــــة  
 مفيش كده روقان في لحظة تشوفهم  
 و بعدها بلحظه يودوا في داهيه  
 عجبي !!!

---

حثة محارة وجدتها في يوم لقية  
 قالت لي شوف كيف الطبيعة شقية  
 نظرت للكهف اللي فيها و لقيت  
 ان الطبيعة كمان لا أخلاقيــــــــــــة  
 عجبي !!!!

---

بلياتشو قال إيه بس فايدة فنوني؟  
 و ثلاث وفق مساحيق بيلونوني  
 و الطبل و المزامير و كتر الجعير  
 إذا كان جنون زبوني زاد عن جنوني  
 عجبي !!!!

---

نقطة مرارة كمان علي مشروبــــي  
دوبها يا ساقى حسب مطلوبــــي  
طعب الحياة .. مش برضه فيها و فيها ؟  
ليالي وردي و نهارات خروبــــي ؟  
عجبي !!

---

وسط الحطام اتفرجوا يا أنام  
تمثال ملك . و ميوته م الرخام  
لتنين نحتهم نفس أسطي الحجر  
و كانوا ذات يوم كتلتين لسه خام  
عجبي !

---

عيد و العيال اتنطوا ع القبور  
لعبوا استغمايه .. و نعبوا بابور  
و باللونات و نايلونات شفتشي  
و الحزن ح يروح فين جنب السرور  
عجبي !!

---

أنا قلبي كورة و الفراودة أكــــم  
ياما انتطح و انشاط و ياما اتعم  
و اقول له كله ح ينتهي في المعاد  
يقول بساعتك ؟ و الا بساعة الحكم ؟  
عجبي !!!

---

الضحك قال يا سم ع التكشير  
امشير و طوبه وانا ربيعي بشير  
مطرح ما باظهر بانتصر ع العدم  
انشالله اكون رسماية بالطباشير  
عجبي!!!!

---

أهوي الهوي و همس الهوي في العيون  
وبسمة المغرم ودمعه الحنون  
وزلزلات الحب نهد الصبونا  
أكون انا المحبوب أو لا أكون  
عجبي!!!!

---

يا ملونين البيض في شم النسيم  
لون الحنين و الشوق و خمر النديم  
ما تعرفوش سايق عليكو النبي  
تلونوا الأيام بلون النعيم؟  
عجبي!!

---

الدنيا صندوق دنيا .. دور بعد دور  
الدكة هي .. و هي كل الديكور  
يمشي اللي شاف ويسيب لغيره مكان  
كان عرجي أو كان امبراطور  
عجبي!

---

قطي العزيز راقد علي الكنبات  
في نوم لذيذ .. و بيلحس الشنبات  
و انا كل عين فنجان مدلق قلق  
صدق اللي قال إن الحياة منابت  
عجبي !!

---

قالوا السياسة مهلكة بشكل عام  
و بحورها يا بني خشنة مش ريش نعام  
غوص فيها تلقي الغرقائين كلهم  
شايلين غنايم .. و الخفيف اللي عام  
عجبي !!!

---

سلام سلام سلام سلام ... سلام  
كلام كلام كلام كلام ... كلام  
هز الورق يا صاحبي كدهوه  
يطلع كلام سلام .. و سلام كلام  
عجبي !!!!

---

فوق تحت . ورا قدام . يمين شمال  
في الجو . تحت الميه . أو في الرمال  
طلب الكمال يحرم علي الممكن  
و الممكنات دول محرومين م الكمال  
عجبي !!!!

---

## نبذة عن صلاح جاهين

### نشأته

ولد في شارع جميل باشا في شبرا. كان والده المستشار بمجت حنمى يعمل في السلك القضائي، حيث بدأ كوكيل نيابة و إنتهى كرئيس محكمة استئناف المنصورة. درس الفنون الجميلة ولكنه لم يكملها حيث درس و الحقوق.

### حياته

أنجب ابنه الشاعر بهاء من زوجته الاولى تزوج من زوجته الثانية الفنانة منى قطان

### أعماله

أنتج العديد من الأفلام التي تعتبر خالدة في تاريخ السينما الحديثة مثل أميرة حبي أنا و فلم عودة الابس الضال، و لعبت زوجته أدوار في بعض الأفلام التي أنتجها. عمل محررا في عدد من المجلات و الصحف، و قام برسم الكاريكاتير في مجلة روز اليوسف و صباح الخير ثم إنتقل إلى جريدة الاهرام.

كتب سيناريو فلم خللي بالك من زورو و الذي يعتبر أحد أكثر الافلام رواجاً في السبعينيات إذ تجاوز عرضه حاجر ٥٤ اسبوع متتالي. كما كتب أيضا أفلام أميرة حبي أنا ، شفيقة ومتولي و المتوحشة. كما قام بالتمثيل في شهيد الحب الإلهي عام ١٩٦٢ و لا وقت للحب عام ١٩٦٣ و المماليك ١٩٦٥.

إلا أن قمة أعماله كانت الرباعيات التي كان يحفظها معظم معاصريه عن ظهر قلب و التي تجاوزت مبيعات احدى طباعات الهيئة المصرية العامة للكتاب لها أكثر من

١٢٥ الف نسخة في غضون بضعة ايام. هذه لربيعيات التي لحنها الملحن الراحل سيد مكاي وغانها الفنان علي الحجار.

### علاقاته الفنية

ينظر البعض إلى جاهين على أنه متبني علي الحجار، احمد زكي و شريف منير. كما أرتبط بعلاقة قوية مع الفنانة سعاد حسني حيث دفعها إلى العمل مع أحمد زكي في مسلسل هو وهي.

### جاهين و السياسة

كان حركة الضباط الاحرار و ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، مصدر إلهام لجاهين حيث قام بتخليد جمال عبد الناصر فعليا بأعماله، حيث سطر عشرات الاغاني. لكن هزيمة ٥ يونيو ١٩٦٧م، خاصة بعد أن غنت أم كلثوم أغنيته راجعين بقوة السلاح عشية النكسة، أدت إلى أصابته بكآبة. هذه النكسة كانت الملهم الفعلي لأهم أعماله الرباعيات و التي قدمت طروحات سياسية تحاول كشفت الخلل في مسيرة الضباط الاحرار، و التي يعتبرها الكثير أقوى ما أنتجه فنان معاصر.

### من هو صلاح جاهين

أحد أعظم شعراء العامية في مصر ويأتي برأني بعد الشاعرين الكبيرين بزم التونسي وفؤاد حداد.

صلاح جاهين فنان شامل فهو شاعر مجيد ورسام كاريكاتير من الدرجة الأولى أعطته شخصيته المرححة وظرفه الكثير من التفرد في مجال الشعر العامي و مجال رسم الكاريكاتير.

بل حتى انه كاتب سيناريوهات من الدرجة الأولى كتب سيناريوهات العديد من الأفلام الشهيرة .... ومنها خلي بالك من زوزو.

ولد صلاح جاهين في ٢٥ / ١٢ / ١٩٣٠ م بحي بشيرا في شارع جميل باشا. وصلاح جاهين هو الأكبر بين إخوته.

والده المستشار بهجت حلمي الذي تدرج في السلك القضائي بدأ من وكيل نيابة حتى عيّن رئيساً لمحكمة استئناف المنصورة.

كانت ولادة صلاح جاهين متعثرة تعرضت أثنائها والدته للخطر، فولد شديد الزرقة و دون صراخ حتى ظن المحيطون أن الطفل قد ولد ميتاً، ولكن جاءت صرخة الطفل منبهة بولادة طفل ليس ككل الأطفال.

وكانت لهذه الولادة المتعثرة تأثيرها، فمن المعروف أن الولادة المتعثرة تترك آثارها على الطفل فتلازمه طول حياته وقد تتسبب في عدم استقرار الحالة المزاجية أو الحدة في التعبير عن المشاعر - سواء كانت فرحاً أو حزناً، وهو ما لوحظ في صلاح جاهين الذي يفرح كالأطفال ويحزن لدرجة الاكتئاب عند المصائب. استطاع صلاح جاهين ببساطته وتلقائيته التعبير عن كل ما يشغل البسطاء بأسلوب سهل فهمه واستيعابه، وهو ما جعله فارساً يخلق برسومه وكلماته ويطوف بها بين مختلف طبقات الشعب المصري، بل كانت جواز سفره لمختلف البلدان العربية التي رددت كلماته حفراً للعمل والإنجاز.

كل ما نبع من صلاح جاهين وما أحاط به كان يؤمله للثراء الفني والإنساني.. بل كان يرشحه أيضاً لمعانة تصنعها نيران الموهبة.

حظي بحب جماهيري جارف فلم تشهد مصر إلا فيما ندر هذه الموهبة المتسعة الأرجاء شعراً ورسماً وغناءً وتأليفاً وتمثيلاً.

لم يستكمل صلاح دراسته بالفنون الجميلة ، ولكنه درس القانون في كلية الحقوق إرضاءً لوالده ، ووصل إلى السنة الأخيرة لكنه في النهاية لم يدخل الامتحان ولم يتخرج منها فقد كان بالفعل وقتها ملء السمع والبصر كفنّان وشاعر متميز وكان قد اختار طريقه في الحياة .

تزوج مرتين الأولى من السيدة سوسن التي أنجب منها بهاء وأمينة والثانية من الفنانة منى قطان التي اشتركت في تمثيل الأفلام التي انتجها وأنجب منها ابنته سامية .

كان أبداع من كتب بالعامية المصرية الأصيلة مستخدماً ألفاظ الشارع المصري البسيط لتصوير الأحداث الجارية في كلمات أغنياته وفي وجوهه الكاريكاتيرية المعبرة عن الواقع ، وقد أحب جاهين البسطاء وأسكنهم كلماته ورسومه فمنحوه كل الحب والاحترام وقد عشق الجمهور رباعياته بل أصبحوا يترنمون بما فهي مدرسة في فلسفة الحياة بل انما أصبحت أمثالا يرددوها العامة ، وقد اعتبره النقاد امتداداً لبيرم التونسي سيد الزجل الشعبي والسياسي في مصر القرن العشرين .

عمل رساماً في العديد من الصحف ، أخرها الأهرام . كتب العديد من الأغنيات العاطفية والوطنية ، وسيناريو وحوار أفلام مثل - خللي بالك من زوزو - أميره حبي أنا - شفيقة ومتولي - المتوحشة ، كما ألف العديد من مسرحيات العرائس منها - الليلة الكبيرة ، او بريت - القاهرة في ألف عام . كان صلاح غزيراً في الإنتاج حيث لم يتوقف لحظة واحدة طوال حياته عن الإبداع .

كان يحس أن الحياة قصيرة جداً وسريعة ... فدخل في سباق معها فأبحر المئات من القصائد التي تراوحت بين الزجل والشعر العامي والشعر الشعبي وتحوّلت إلى أغنيات غناها عشرات المطربين .

وراحت بين أغاني الحب والأغاني الوطنية والأغاني الخفيفة، وكتب أيضا عددا من الأوبرينات الغنائية ربما كان أشهرها أوبريت الليلة الكبيرة الذي ما زال يحتفظ بألقه حتى اليوم .

ومئات الرسوم الكاريكاتيرية التي بدأ في رسمها أسبوعيا في مجلتي صباح الخير و روز اليوسف الأسبوعيتين، قبل أن ينتقل إلى صحيفة الأهرام التي كانت آنذاك في أوج ازدهارها، فكان يلخص في رسومه اليومية تلك و في صورة كاريكاتيرية ساخرة الموقف السياسي السائد آنذاك.

بدأ صلاح جاهين يكتب الشعر الكلاسيكي في أواخر الأربعينات، قبل أن يبلغ العشرين من عمره. لكنه قرأ يوما قصيدة بالعامية المصرية لشاعر لم يكن قد سمع به آنذاك، فقرر التعرف إليه و كان له ذلك. ولم يكن ذلك الشاعر سوى فؤاد حداد، الذي أثر فيه تأثيرا كبيرا و جمعته به صداقة عميقة استمرت فيما بعد حين تزوجت ابنة صلاح جاهين السيدة أمينة من ابن فؤاد حداد الشاعر أمين فؤاد حداد.

و في أواسط الخمسينات بدأ صلاح جاهين مسيرته الفنية التشكيلية في مجلة روز اليوسف، ومسيرته الشعرية التي بلغت ذروتها في ديوانه الشهير والكبير "الرباعيات". خلال الفترة التي فصلت بين أواسط الخمسينات و بين الخامس من حزيران (يونيو) ١٩٦٧ غنى صلاح جاهين للحب و الشباب والأطفال، كما غنى للثورة المصرية ولزعيمها جمال عبد الناصر. ولكنه بعد النكسة التي حدثت في ذلك اليوم أصيب بحالة من الكآبة لم يشف منها حتى رحيله، فتوقف عن كتابة الأغاني والأناشيد الوطنية، واتجه إلى الكتابة في اتجاهين؛ الشعر التأملّي العميق كما في الرباعيات (الأشهر بالعامية) التي كتبها قبل النكسة و كتب خمس منها بعد النكسة ، والأغاني الخفيفة، و التي ربما

كان أشهرها تلك الأغاني التي غنتها الممثلة سعاد حسني في فيلم "خللي بالك من زوزو"، مثل الأغنية التي حملت عنوان الفيلم، و"يا زاد يا تقيل" وغيرها.

و الطريف أن ملحن هذه الأغاني هو الموسيقي الكبير كمال الطويل، الذي كان في الفترة السابقة، يلحن له أغانيه الوطنية و الحماسية مثل "صورة" و "يا أهلا بالمعارك" و "بستان الاشتراكية" وغيرها. كما لحن له آخر أغانيه الوطنية وهي "راجعين بقوة السلاح". و قد قال صلاح جاهين مفسرا حالة الكتابة التي دخل فيها و ميررا قراره بالتوقف عن كتابة الأغاني الوطنية، إنه كتب الأغنية المذكورة التي لحنها كمال الطويل لتغنيها أم كلثوم عشية هزيمة الخامس من حزيران (يونيو) ١٩٦٧. وتقول كلمات الأغنية:

**راجعين بقوة السلاح \*\*\* راجعين نحرر الحمى  
راجعين كما رجع الصباح \*\*\* من بعد ليلة مظلمة**

وفي اليوم التالي جاءت النكسة على نقيض مروع من الأمل الذي تحمله كلمات هذه الأغنية، فلم يحتمل قلب صلاح جاهين المثقل كل هذا الألم فدخّل في حالة الاكتئاب حتى مات في ٢١ نيسان ١٩٨٦

تعتبر القصيدة الملحمة "على اسم مصر" أهم ما كتب من شعر بعد ذلك وقد كتبت سنة ١٩٧١. إلا أنه أيضاً كتب ديوانه الأخير الجميل "أنغام سبتيمرية" بعد ١٩٦٧ وكتبت معظم قصائده في الثمانينات.

من أعماله السينمائية تمثيل: لا وقت للحب للصوص والكلاب المماليك حوار: اللعنة المتوحشه خللي بالك من زوزو شيلني واشيلك شفيقه ومتولى سيناريو: المتوحشه خللي بالك من زوزو شفيقه ومتولى ومن أعماله الشعرية، ربيعيات "صلاح جاهين" التي لحنها الفنان الراحل سيد مكاوي، وغناها المطرب علي الحجار، وكذلك كلمات

الكثير من الأغاني مثل والله راجعين بقوة السلاح التي لحنها كمال الطويل وغنتها المطربة أم كلثوم، وكذلك الأغنية الشهيرة لسيد مكاوي "ليلة امبارح ما جانيش يوم"، وله أيضا عدة دواوين شعر عامي ومسرحيات أطفال، كان أروعها بالتأكيد ما لحنه سيد مكاوي على شكل أوبريت: الليلة الكبيرة .

### صلاح جاهين: شاعر الثورة وفيلسوف الفقراء

فرانسوا باسيللي

كاتب من مصر يقيم في نيويورك

لاستطيع ان تستحضر للذاكرة العبقري المصري المبدع صلاح جاهين (١٩٣٠-١٩٨٦) الا وتحضر معه بالضرورة كوكبة من المبدعين الذين زاملوه واشتركوا معه في صنع السيمفونية الباهرة للثقافة والفنون والفكر التحرري المثير في عصر مصر الذهبي في الخمسينات والستينات من القرن العشرين. فيحضر معه بالضرورة زميلاه الشعاران أحمد عبد المعطى حجازي وصلاح عبد الصبور وكان الثلاثة يعملون في غرفة واحدة تضم مكاتبتهم الثلاثة في دار روز اليوسف ويقول حجازي: "كان جاهين أكثرنا نشاطا ومرحا وحضورا، كان يرسم وينظم بالعربية وكان احيانا يغني بعض الأغنيات الاسبانية من تراث الحرب الأهلية، بالاضافة الى أغنيات روسية، وفي تلك الغرفة سمعت من صلاح جاهين معظم أغنياته التي نظمها في الخمسينات وأوائل الستينات: ويقول حجازي انه رغم بدانة جاهين فإنه هو الذي علمه رقصة الفالس! ويقول حجازي: "لم يكن صلاح جاهين صوتا بسيطا مفردا، وإنما كان بجمع أصوات، كان صوت مصر وصوت البشرية، صوت الجماعة في الواقع وفي الحلم معا، صوت جماعة ناهضة حرة متقدمة سعيدة منتمة لحضارة العصر مشاركة في صنعها. فصلاح جاهين ليس ثمرة

تراث قومي مغلق وانما هو ثمرة التراث القومي والتراث الانساني، وهو يدين للوركا وبول إيلوار بقدر ما يدين لشوقي وبيرم التونسي.

كما لا بد أن يحضر معه للذاكرة أيضا شاعر مصر الكبير صلاح عبد الصبور. ليكون هو المقابل المخالف المضاد لصلاح جاهين ربما في كل شيء، روحا وجسدا، شكلا وموضوعا، فبعد الصبور هادئ حزين متشائم، يكتب بالفصحى شعرا للنخبة المثقفة عاكسا ثقافة عالمية نجوية، بينما جاهين صاحب مرح متفائل يكتب بالعامية لعامة الشعب شعرا وغناء يفوح برياحين صبايا القرى وأحلام رجل الشارع وتعبه اليومي، دون ان يتخفى عن عمق انساني فلسفي بالغ التأثير. ولا يشترك "الصلاحان" - جاهين وعبد الصبور- سوى في أن كليهما استطاع ان يؤثر تأثيرا حاسما على جيله في مجال ابداعه. فيمكن القول أن عبد الصبور قد شكل الذائقة الشعرية والوجدانية لجيل مصرى كامل بقصيدة واحدة هي "احلام الفارس القديم"، والتي اعترف بعض رواد الشعر في الجيل التالي أنهم كانوا يجوبون طرقات القاهرة ليلا منشدين المقاطع الشهيرة لهذه القصيدة بصوت مرتفع.

وبينما قام عبد الصبور بتشكيل الذائقة الشعرية لجيل كامل من الشعراء من بعده، قام جاهين بتشكيل الذائقة الوجدانية لجيل الثورة بأكمه، شعراء وفتراء وبسطاء وعمالا وفلاحين وموظفين وعاشقين وحالمين. من هنا تأتي أهمية هذا الشاعر الشعبي العظيم، ولهذا أقوم بالمقارنة بينه وبين صلاح عبد الصبور، فبينما نال عبد الصبور تقديرا كبيرا مستحقا في الوسط الثقافي المصري، فإن جاهين في اعتقادي لم ينل ما يستحقه من تقدير يناسب انجازاته الهائلة في ميادين الابداع المتنوعة التي طرقها، من الرسم الكاريكاتوري الى شعر العامية والرجل والاغنية والأشعار المسرحية والسينمائية والفوازير التلفزيونية ومسرح العرائس والسيناريو السينمائي فضلا عن الأناشيد الوطنية التي صنع منها جاهين فنا جديدا قائما بذاته .

## شاعر الثورة

بينما اجد بعض النقاد يطلقون على صلاح جاهين لقب "مغنى الثورة" لان كل ماكتبه كان يتحول الى أغنيات ثورية شعبية بصوت فنان الثورة عبد الحليم حافظ بألحان الموسيقى الفريد كمال الطويل، وربما مع بعض التردد في اطلاق لقب شاعر الثورة عليه، في ميل للإحتفاظ بلقب شاعر لمن يكتبون بالفصحى، الا أنني لأجد أى محل للتردد في وصف جاهين بشاعر الثورة المصرية، فهو وحده من استطاع ان يترجم مشاعر وأحلام وأفراح ملايين المصريين الى كلمات حية متوثبة مليئة بالدفء والزهو والنشوة. فبينما كتب عبد الصبور وحجازى بعض القصائد الفصحى المعيرة عن بعض جوانب تلك الفترة، فإننا لا نجد فى قصائدهم تلك حرارة ولهفة وصدق المشاعر اللافتة التى نجدها فى كلمات جاهين، كما وكيفا، ولعل من المفارقة ان القصيدة الوحيدة الدافئة الحس المرهفة الصدق التى كتبها حجازى فى تلك المرحلة بأسرها هى قصيدته العميقة فى رثاء عبد الناصر "مرثية الزمن الجميل" بينما -على العكس- كان رحيل عبد الناصر هو نهاية مرحلة الشعر الثورى لدى جاهين.

فى أشعاره "الثورية" لم يكتب جاهين شعارات باردة جوفاء بل استطاع ان يغوص فى اعماق الانسان المصرى المتطلع الى عالم أفضل ليستخرج منه بكلمات عامية بسيطة وبلية فى آن واحد، أجمل ما فيه من أغنيات ومزامير راح ينثر بها البهجة والفرح الحقيقى بالفجر البهى القادم على الأفق. لم تكن فى كلماته أية ظلال لافتعال سياسى او تعبوى، بل كانت مشاعر عفوية صادقة ترقص فى قلبه المتفائل المحب للحياة فتتحول عبر شاعريته الأصيلة الى أناشيد للفرح والحب واللهفة المتوثبة. ولأن هذه المشاعر كانت تعبيرا صادقا عن الوجدان المصرى الجارف فى تلك المرحلة، لم يكن صعبا على مبدع مرهف آخر مثل كمال الطويل أن يضع لها ألحانا نابغة من عمق

الوجع المصرى الطويل وصاعدة فى نبرات متسرعة لاهثة فرحة متشوقة للغد الأجل الذى وعدت به القلوب الفائرة الثائرة.

وبهذا الصدق والفرح والتفاؤل كتب جاهين -وغنى عبد الحليم- أناشيد إحننا الشعب (٥٦) وبالأحضان (٦١) والمسئولية (٦٣) وبأهلا بالمعارك (٦٥) وصورة وناصر وغيرها. وكان من المدهش حقا إستقبال الجماهير لهذه الأناشيد وتجاوبها معها حفظا وغناء وكأنها أغنيات فى الحب والصبا والجمال وليس فى الثورة والحرية والكرامة بل والسياسة الاقتصادية (على راس بستان الاشتراكية/ واقفين بنهدس ع المية/ أمة أبطال/ علما وعمال / ومعانا جمال..).

### مزامير الحب والبهجة

فى نفس الوقت الذى كان يكتب فيه جاهين هذه الأناشيد الوطنية الشعبية الواعدة، كان يكتب أيضا مزامير الزهور والحب والبهجة . فهو عاشق للحياة يجبها بحس شاعر ونزق طفل وتهور شاب مقبل على مباحج الأحلام المنتظرة فى فرح حقيقى. ان علاقة جاهين بالفرح علاقة اساسية حميمة.

يقول فى رباعياته الشهيرة:

أنا اللى بالأمر المحال إغتوى  
شفت القمر نطيت لفوق فى الهوا  
طلته ماظلتوش إيه أنا يهمنى  
وليه مادام بالنشوة قلبى ارتوى  
عجبنى

ويقول في رباعية أخرى:

فتحت شباكى لشمس الصباح  
مادخلش منه غير عويل الرياح  
وفتحت قلبي عشان أبوح بالألم  
ماخرجش منه غير محبة وسماح  
عجبنى

وفي تأكيد على أهمية الفرحة العام الجمهورى المعلن يقول:

كرباج سعادة وقلبي منه انجلد  
رمح كأنه حصان ولف البلد  
ورجع لى نص الليل وسألنى ليه  
خجلان تقول أنك سعيد ياولد؟

ويقول في شعر الغزل والشقاوة والحبة:

يا بنت يام المريله كحلى  
ياشمس هاله، وطالله م الكومه  
لو قلت عنك فى الغزل قوله  
ممنوع عليا والا مسموح لى؟

وفي رباعية غزلية أخرى يقول:

اوقات افوق ويحل عنى غبايا  
واشعر كانى فهمت، كل الخبايا  
أفتح شفافي عشان اقول الدرر  
مااقولش غير حبة غزل فى الصبايا  
عجبنى

## مسئولية الكلمة

يعرف صلاح جاهين مسئوليته كمبدع وكشاعر. كثيرا ما يشير الى الصمت في شعره كمرادف للموت، ويشير الى الكلمة كمرادف للحياة. يقول في قصيدة بعنوان "اتكلموا":

اتكلموا.. اتكلموا.. اتكلموا  
 محلا الكلام، ماألزمه، ماأعظمه  
 في البدء كانت كلمة الرب الاله  
 خلقت حياه والخلق منها اتعلموا  
 فاتكلا وا  
 الكلمة ايد الكلمة رجل الكلمة باب  
 الكلمة لمبة كهربية فى الضباب  
 الكلمة كوبرى صلب فوق بحر العباب  
 الجن ياأحباب مايقدر يهدمه  
 فاتكلموا

وفي رباعية جميلة يقول:

ياعندليب ماتخافش من غنوتك  
 قول شكوتك واحكى على بلوتك  
 الغنوه مش دتموتك..... إنما  
 كتم الغنا هو اللى ح يموتك

## فيلسوف الفقراء

ينفرد جاهين بخاصية هامة تمح شعره -على بساطته وعاميته- بعدا فلسفيا لانعرف له مثيلا لدى شعراء العامية الآخرين بل ولانعرف له مثيلا لدى شعراء

الفصحى المصريين، فيما عدا رفيقه صلاح عبد الصبور الذى إتسمت معظم أشعاره بأبعادها الفلسفية والانسانية الشاملة.

وهنا ايضا -وعلى الأخص- لم يحصل جاهين على حقه من التقدير، بسبب النظرة العدائية من الوسط الثقافى النخبوى للعامة، وربما بسبب التحيز للفصحى والخوف عليها، مع قدر من عدم التصديق لإمكانية ان تقول العامة الدارجة معان تقرب من مدار الفلسفة المقدس. ولكن لا يصح ان يمنعنا مثل هذا الموقف الاستعلائى الزائف والخائف من ان نخوض فى رفق وحب فى أعماق أشعار جاهين لنكتشف ما بما من جواهر فكرية ووجدانية بديعة. فإنك لتجد فى رباعياته أصداء لفلسفة سارتر الوجودية ولمواقف البير كامو فى اغترابه ولجرأة نيتشه الذى لم تكن فلسفته سوى شعرا مكثفا. بالإضافة الى همل جاهين من التراث الفلكلورى المصرى والعربى الاسلامى والمسيحى. ومزجها كلها فى صوت صادق متفرد هو صوته وحده. ولننظر الى بعض رباعياته التى يمكن اعتبار كل رباعية منها أطروحة فلسفية كاملة تطرح كل منها أحد الأسئلة الوجودية الهامة فى تصوير بالغ الإيجاز والإيحاء والدهشة:

عيد والعيال اتنططوا ع القبور  
لعبوا استغماية ولعبوا بابور  
وبالونات ونايلونات شفتشى  
والحزن ح يروح فين جنب السرور!  
عجبنى

الدنيا صندوق دنيا.. دور بعد دور  
الدكة هى .. وهى كل الديكور  
يمشى اللى شاف ويسيب لغيره مكان  
كان عربجى او كان امبراطور  
عجبنى

أنا شاب لكن عمرى ولا ألف عام  
 وحيد ولكن بين ضلوعى زحام  
 خايف ولكن خوفى منى أنا  
 أخرس ولكن قلبى مليون كلام  
 عجبى

علمى ان كان الخلق من أصل طين  
 وكلهم بينزلوا مغمضين  
 بعد الدقائق والشهور والسنين  
 تلاقى ناس أشرار وناس طيبين  
 عجبى

وكان هذا الفيلسوف الجميل مفتوح القلب سريع البديهة. وأذكر اننى استمعت اليه مرة في برنامج إذاعى اسمه "جرب حظك" سأله فيه مقدمه عباس أحمد: من فى رأيك أعظم رسام كاريكاتير فى العالم؟ فأجاب جاهين الذى كان بدينا، قصيرا، أصلعا، وكأنه كرة ضخمة: الحقيقة أنى كل ما بصيت فى المراية عرفت ان ربنا سبحانه وتعالى هو أعظم رسام كاريكاتور فى الدنيا ! فانفجر الجمهور ضاحكا.

### عالمى التزعة

رغم ان صلاح جاهين كان يغبى للاشتراكية فى إخلاص المثقف المتمى للفكر اليسارى المنحاز للفقراء والبسطاء بشكل اساسى الا انه كان مثقفا وليس ايدولوجيا منغلقا. ومازلت أذكر أنه فى اليوم التالى لإغتيال الرئيس الامريكى الشاب جون كيندى فى عام ١٩٦٣ فوجئت فى جريدة الاهرام التى كانت تنشر لجاهين رسما كاريكاتوريا شهيرا كل يوم أنها تنشر له قصيدة رائعة فى رثاء الرئيس الامريكى لم أعد أذكر كلماتها

ولم اجدها بعد ذلك ولكنى اذكر جيدا انه ختمها وهو يهتف ملناعا باسم الرئيس الامريكى قائلا: يا جون.. يا يوحنا المعمدان! وقد أثرت في نفس هذه الخاتمة المدهشة للقصيدة. ولم افهم للوهلة الاولى لماذا يخاطبه يوحنا المعمدان. اذ كنت مازلت طالبا في ذلك الوقت. ولم يكن في ذهني أن جون هى بالعربية يوحنا. فكانت هذه المقاربة الجميلة في القصيدة والتي تدل على انفتاح جاهين السياسى والدينى معا، فلم تمنعه يسارته الفكرية من التعاطف مع رئيس امريكى شاب كان مثقفا ثقافه انسانية حقيقية وقف امام نفوذ التحالف الصناعى العسكرى في بلده واشاع في العالم كله أملا في مستقبل اجمل.. ولامنعته ثقافته الاسلامية من معرفة واستخدام رمز مسيحي شهير هو يوحنا المعمدان الذى كان يوصف بالصوت الصارخ في البرية لقوته وشجاعته في الجاهرة بالحق حتى اوصله هذا الى تقديم رقبته على طبق هدية لسالمى من الملك هيروودس أنتيبى الذى صرخ في وجهه يوحنا المعمدان يوما: هذا لايجل لك!

### فرسان الثورة

استطاعت الثورة المصرية منذ ولادتها وبسبب اهتمام عبد الناصر بالثقافة والفنون والادب اساسا ان تخلق مناخا إجتماعيا مثيرا لعوامل الابداع الانسانى في جميع المجالات.. وانطلقت مع بداية الثورة وبشكل تلقائى مدهش شرارة الخلق والابداع الفنى والفكرى في عدد هائل من الشباب المثقف الصاعد من قرى وبنجوع مصر الزاحف نحو القاهرة والاسكندرية فإذا بمئات ومئات من المبدعين تتصاعد أنجمهم في سماء مصر حاملين رايات ملونة زاهية لأعمال جديدة مدهشة في كل مناحى الابداع.أرصد هذا لأوضح أن صلاح جاهين -وان كان حقا صوتا متفردا مميزا في الشعر وفنانا مبدعا في الرسم وغيره من الفنون - لم يكن وحيدا وإنما كان واحدا من "جيش" مدهش من المبدعين المجددين الذين استقوا من ينباع الجسد المصرى المتفجر بإرهاص الولادات

الجديدة ووعود الاحلام المثيرة القادمة في فورة إبداعية نعرف الآن أنها كانت - للأسف - إستثنائية في تاريخ مصر المعاصر.

وقد كان لجاهين شاعر الثورة المصرية وواضع مزاميرها الجماعية المحفزة أثر كبير في حركة النهضة الفكرية التحررية المواكبة، فقد راح في رسومه وكلماته وأناشيده وأشعاره يرسم ملامح المجتمع الحر القادم في عيون شباب وصبايا يعانقون أحلام الحب الجميل والحرية الاجتماعية والتحرر الفكرى البادئ بالذات والامتد نحو الانسان في كل مكان .

وكان لهذه الفورة الابداعية والتفجر الغنى المثير فعل السحر في الشباب المثقف الصاعد الى حد انه حتى المثقفين الذين دخلوا السجون في تلك الفترة بشبهة الميول الشيوعية او اليسارية المتشددة خرجوا منها وهم على إخلاصهم العجيب للثورة التي لم تتورع عن التهام عدة سنوات من شبابهم الحالم، وهي ظاهرة لا نعرف لها مثيلا في التاريخ.

### هل خان نفسه؟

حينما أصيبت الثورة المصرية بجرح هزيمة ٦٧ الغائر، ثم برحيل فارسها عبد الناصر عام ٧٠، شاهد جاهين كل شئ ينهار من حوله، فأصاب شاعر الثورة احباط الانكسار ودخل في صمت المطعون المكلموم. ومع صعود الرئيس "المؤمن" - الذى كان معروفا طوال سنوات الثورة بأنور السادات لنكتشف فجأة ان اسمه الحقيقى هو محمد انور السادات !- أطلقت الاشارة لبدء حركة الهجوم الوحشى والتشويه الجحاني لكل جوانب الثورة، المظلم منها والمضى معا، حتى أن السد العالى نفسه - الذى أعترف العالم مخرا انه اهم عشرة مشاريع هندسية في العالم في القرن العشرين - لم يسلم من حملة التشويه الآتمة لإنجازات الثورة.

ولم يجد شاعر الثورة له مخرجاً من نفق الاحباط وظلمة الاحساس بالغبن والضياع وربما لوم الذات وانكار الحلم بل ومعاداته سوى الدخول الى دوامة العمل السينمائي السهل في حركة هي اقرب الى حركات مهرج السيرك الذى يضحك الآخريين بقلب نازف - فكتب لصديقه دربه سعاد حسنى اغنيات فيلمها "خلى بالك من زوزو" الذى حقق نجاحاً جماهيرياً ساحقاً، بين جماهير متغيرة كانت قد تعبت من وطئة احلامها طوال عشرين عاماً، وتعبت من الحروب والمعارك والاناشيد، وارادت ان تنسى وترقص وتلهو على انغام تقول لها ان "الدنيا ربيع، والجو بديع، قفلى على كل المواضيع" وهكذا نظر بعض المثقفين في حزن الى شاعر الثورة وفارسها القدم وقد انكسرت قوادم احلامه (كما تنبأ صلاح عبد الصبور) وتحول مغنى الجماهير الى مضحكها . وهو دور استنكروه عليه ولكنه لم يستنكره على نفسه فقد كان دائماً منحازاً الى الجماهير البسيطة يعبر عن أحلامها وآمالها وعن ضحكاتها وأوجاعها . ولم يجد غضاضة في ان ينحاز اليها في لهوها ومزاحها وهو المنحاز أبداً للفرحة والبهجة.

وقد أراد له -وتوقع منه- البعض ان ينخرط -وهو شاعر الثورة- في حركة المعارضة الشعبية والطلابية لنظام السادات قبل حرب العبور كما فعل احمد فؤاد نجم بأشعاره الجارفة التى لحنها وغناها الشيخ امام والتي دخلت السجون بسببها . ولكن جاهين لم يفعل ولم يكن له ان يسير في درب غير دربه فعالمه الشعري ليس عالم احتجاج ومعارضة ضد النظام فقد كان منسجماً مع النظام الناصري الذى كان منسجماً مع أحلام الفقراء وآمال المثقفين معاً، وجاهين المنحاز للفرح في الحياة لم يجد في نفسه طبيعة الصدام والمعارضة والهجوم على الآخرين. بما في هذه من العنف العاطفي والخشونة الوجدانية الضرورية للتحمل والصمود . نعم هو شاعر الحلم الثوري لكنه ليس شاعر الغضب والتصدى والتعدى، ولذلك كانت لأناشيده الثورية دائماً جانب الاعراس المحفوف بالأجراس والمزامير والرقصات الشعبية، فليدع التصدى والمقاومة

والغضب الشعبي لغيره من الشعراء مثل نجم. فهل كان في هذا خائنا لنفسه أم متسقا معها؟

لاشك ان هذا سؤال سيستدعى إجابات متناقضة من نقاد مختلفين. اما انا الذى طالما اترعت قلبى مما كان يسكب لنا جاهين كل يوم من مياه المحبة والبهجة والأمن المثير فليس عندى له سوى فيضان من مشاعر العرفان والممنونية والإنحياز الحميم. ولعل أجمل مايعبر عن حالة جاهين تلك بعد أنهار أحلام الثورة التى شارك فى صنعها هى رباعيته التى كتبها عندما أصابه انسداد فى شرايين القلب احتاج الى جراحة فى صيف ١٩٨١:

يا مشرط الجراح أمانة عليك  
وانت فى حشايا تبص من حواليك  
فيه نقطة سودة فى قلبى بدأت تبان  
شيلها كمان.. ولفضل يرجع اليك.

لقد كانت النقطة السوداء قد احتلت قلبه الكبير وراحت تكبر فيه وتنهشه هى نفسها النقطة التى اصابت قلب مصر مع جرح ٦٧ ومع رحيل ناصر وأنهار احلام الجيل الصاعد وتسليم السادات مفاتيح مصر للتيارات الدينية الظلامية التى أطفأت مصابيح مصر واحدا بعد الآخر وحاربت الفن والفكر والابداع والتحرر والمساواة والفرح والبهجة والانطلاق والغناء والرقص والمزامير ، فكانت هى الخاتمة السوداء لاحدى أجمل فترات النهضة المصرية فى تاريخها الحديث.

سيظل جاهين صوتا مميزا مزهوا فى الوجدان المصرى الى الأبد.

فالشاعر الاصيل لايعرف موتا ولاصمتا. وهو الذى قال:

دخل الشتا وقفل البيبان ع البيوت  
وجعل شعاع الشمس خيط عنكبوت  
وحاجات كتير بتموت فى ليل الشتا  
لكن حاجات أكثر بترفض تموت.

رحم الله صلاح جاهين ، ورحم معه الزمن المصرى الجميل.

## من رباعيات صلاح جاهين

خرج ابن آدم من العدم قلت : ياه  
رجع ابن آدم للعدم قلت : ياه  
تراب بيحيا ... وحي بيصير تراب  
الأصل هو الموت و الا الحياه ؟  
عجبي !!!

---

ضريح رخام فيه السعيد اندفن  
و حفره فيها الشريد من غير كفن  
مريت عليهم .. قلت يا للعجب  
لاتنين ريحتهم لها نفس العفن  
عجبي !!!

---

ياما صادفت صحاب و ما صاحبتهمش  
و كاسات خمور و شراب و ما شربتهمش  
أندم علي الفرص اللي انا سبتهم  
و الا علي الفرص اللي ما سبتهمش  
عجبي !!

---

و الكون ده كيف موجود من غير حدود  
و فيه عقارب ليه و تعابين و دود  
عالم مجرب فات و قال سلامات  
ده ياما فيه سوالات من غير ردود  
عجبي !!!

---

أنا شاب لكن عمري ألف عام  
 وحيد لكن بين ضلوعي زحام  
 خائف و لكن خوفي مني أنا  
 أخرس و لكن قلبي مليون كلام  
 عجبني !!!!

---

يا باب يا مقفول ... إمتي الدخول  
 صبرت ياما و اللي يصبر ينول  
 دقيت سنين ... و الرد يرجع لي : مين ؟  
 لو كنت عارف مين أنا كنت أقول  
 عجبني !!!!

---

أحب أعيش ولو في الغابات  
 أصحي كما ولدتني أمي و ابات  
 طائر .. حوان .. حشرة .. بشر .. بس أعيش  
 محلا الحياة .. حتي في هيئة نبات  
 عجبني !!

---

## من شعر صلاح جاهين

### اسم مصر

على اسم مصر التاريخ يقدر يقول ما شاء  
 أنا مصر عندي أحب وأجمل الأشياء  
 بحبها وهي مالكة الأرض شرق وغرب  
 وبحبها وهي مرمية جريحة حرب  
 بحبها بعنف وبرقة وعلى استحياء  
 وكرهها وألعن أبوها بعشق زي الداء  
 واسيبها واطفش في درب وتبقى هي ف درب  
 وتلتفت تلاقيني جنبها في الكرب  
 والنبض ينفض عروقي بألف نعمة وضرب  
 على اسم مصر

مصر النسيم في الليالي وبياعين الفل  
 ومرايه بهتانة ع القهوة .. أزورها .. واطل  
 القى النديم ظل من مطرح منا طليت  
 والقاهها برواز معلق عندنا في البيت  
 فيه القمر مصطفى كامل حبيب الكل  
 المصري باشا بشواربه اللي ما عرفوا الذل  
 ومصر فوق في الفراندة واسمها جوليت  
 ولما جيت بعد روميو برقع قرن بكيت  
 ومسحت دموعي في كمي ومن ساعتها وعيت  
 على اسم مصر

أنا اللي اسمي حتحور .. أنا بنت رع  
 مثال الأمومة ورمز الحنان  
 تفيض حلماتي وتملا الترع  
 وتسقي البشر كلهم والغيطان  
 نهايته يا مصر اللي كانت أصبحت وخلص  
 تمثال بديع وانفه في الطين غاص  
 وناس من البدو شدوا عليه حبال الخيش  
 والقرص رع العظيم بقى صاج خبيز للعيش  
 وساق محارب قديم مبتورة ف أبو قرقاص  
 ما تعرف اللي بترها سيف والا رصاص  
 والا الخراب اللي صاب عقل البلد بالطيش  
 قال ابن خلدون أمم متفسخة تعيش ليش  
 وحصان سهل صحى جميع الجيش  
 على اسم مصر

النخل في العالي والنيل ماشي طوالي  
 معكوسة فيه الصور .. مقلوبة وانا مالي  
 يا ولاد أنا ف حالي زي النقش في العواميد  
 زي الهلال اللي فوق مدنة بنوها عبيد  
 وزي باقي العبید باجري على عيالي  
 باجري وخطوي ونيد من تقل أحمالي  
 محنيه قامتي .. وهامتي كان فيها حديد  
 وعينيا رمل العريش فيها وملح رشيد  
 لكني بافتحها زي اللي اتولدت من جديد  
 على اسم مصر

مصر .. التلات أحرف الساكنة اللي شاحنة ضجيج  
 زوم الهوا وطقش موج البحر لما يهيج  
 وعجيج حوافر خيول بتجر زغرودة  
 حزمة نغم صعب داخلة مسامعي مقروطة  
 في مسامي مضغوطة مع دمي لها تعاريج  
 ترع وقنوات سقت من جسمي كل نسيج  
 وجميع خيوط النسيج على نبرة مربوطة  
 أسمعها مهموسة والا أسمعها مشخوطة  
 شبكة رادار قلبي جوه ضلوعي مضبوطة  
 على اسم مصر

وترن من ثاني نفس النبرة في وداني  
 ومؤشر الفرحة يتحرك في وجداني  
 وأغاني واحشاني باتذكرها ما لهاش عد  
 فيه شيء حصل أو بيحصل أو يحصل جد  
 أو ربما الأمر حالة وجد واخداني  
 انا اللي ياما الهوى جانبي ووداني  
 وكلام على لساني جاني لابد أقوله لحد  
 القمح ليه اسمه قمح اليوم وأمس وغد  
 ومصر يحرم عليها .. والجدال يشتد  
 على اسم مصر

للشاعر الكبير عم الشعراء صلاح جاهين

## صلاح جاهين بين عبدالناصر وعبدالحليم

لا يمكن أن ننكر العلاقة بين الفن والأحاسيس الوطنية للشعوب، والفن هو التعبير الصادق لما يعتمل في داخل أفراد الشعب، وفي الأحداث العظيمة والجليلة مثل الثورات والانتصارات، والانكسارات تكون المهمة الملقاة علي عاتق الفن كبيرة، وبقدر إيمان الفن بتلك القضايا، وبقدر القناعة الداخلية للفنانين يكون الإبداع، ويكون الفن تعبيرا صادقا عن الحالة التي يمر بها الوطن.

هذا القول صدق بشكل واضح علي ثورة يوليو وارتباط الفن بها وبمبادئها وبقائدها، وهنا ستجد حالة خاصة سرت في الروح العربية، وروح الانجذاب للفن المعبر عن المرحلة، فوجدنا انجذاب الجمهور لما يغنيه عبدالحليم حافظ وبما يكتبه صلاح جاهين، لقد التمسست الروح العربية درجة الصدق والإخلاص في هذا الفن. بدايات المشوار

ولد محمد صلاح الدين حلمي الشهير بصلاح جاهين في ١٩٣٠/١٢/٢٥ وبعد دراسته الثانوية التحق بكلية الحقوق، ثم انتقل إلي كلية الفنون الجميلة، عمل بجريدة الجمهورية عام ١٩٥٣، ثم بجريدة القاهرة ١٩٥٤ ثم روز اليوسف وفيها بدأ مشواره مع فن الكاريكاتير، وساهم في إنشاء مجلة صباح الخير، ثم انتقل للعمل بالأهرام، وبدأ مشواره الشعري عام ١٩٥٥ وأصدر جاهين ستة دواوين شعرية، وعندما قامت ثورة يوليو آمن صلاح جاهين بمبادئها وأصبح معبرا عن أحلامها وفلسفتها وذلك من خلال مجموعة من الأغنيات الوطنية الجميلة، التي انطلقت إلي كل الآفاق من خلال صوت عبدالحليم حافظ وألحان كمال الطويل ومحمد الموجسي.

بلغ قمة شهرته الشعرية عام ١٩٦٥ حين أصدر ديوانه قصاقيص فاختني من الأسواق فور صدوره من شدة الإقبال الجماهيري عليه، وصدرت منه الطبعة الثانية ونفدت أيضاً.. صلاح جاهين كان يري نفسه إنسانا مختلفا عن كل إنسان آخر من ناحية واحدة فقط هي الكاميرا التي بداخله التي تلتقط ما يغفل عن التقاطه الآخرون، نعم كان يستفيد من تجاربه في حياته الخاصة أو حياة الآخرين ويجعل منها أو من مواقف فيها، محورا للعمل الذي يتدعه.

### الثورة والزعيم

كان إيمان صلاح جاهين بالثورة وبالقائد جمال عبدالناصر يفوق الوصف، إيماناً مطلقاً بالثورة وبمبادئها كان يري في الثورة وزعيمها تحقيقاً للعدل والمساواة، إنها ثورة العقل والإرادة ومن ثم شحذ كل إمكانياته وقلمه من أجل أن يغرس الثورة ومبادئها في نفوس كل أفراد الشعب.

كان لابد لهذه الثورة من توظيف مفاهيم وترويج شعارات تحريضية وتعبوية وكان شعار القومية العربية هو الشعار الذي عبرت بواسطته عن مشروعها القومي العربي، أما مضمون هذا الشعار فيتألف من ثلاثة مفاهيم: الوحدة والاشتراكية والحرية، ومن دون شك فلقد كان شعار القومية العربية الذي رفعه عبدالناصر من الشعارات المحركة للوجدان، الملهية للحماس، الموحدة للصفوف.

والمدهش أن صلاح جاهين انذني كان يضحك جميع الأطفال في مسرحه إلي درجة لا يصدقها عقل، هذا الرجل كان نادر الضحك وكان من الماركسيين بعد الطوفان النكسة يسمي بالصامت المكتئب، وفي الحقيقة انتهى جهد كل الماركسيين والراديكاليين في ٥ يونيو ويبدأ عبدالناصر نفسه.

وهناك عدد من الكتاب يقولون إن يوم وفاة عبدالناصر والناصرية بل والفكر اليساري كله في مصر ليس ٢٨ سبتمبر ١٩٨٠ وإنما ٩ يونيو ١٩٦٧ .  
يقول صلاح جاهين: إيه عجبي، تسير حياتي مضطربة هائجة مثل عصري من بعد القلم المُكن اللي كلنا أخذناه في ١٩٦٧ .

يكتب جاهين:

لو كان فيه سلام في الأرض وضمن وأمن  
لو كان مافيش ولا فقر ولا خوف ولا جبن  
لو يملك الإنسان مصير كل شيء  
أنا كنت أجيّب للدنيا ميت ألف ابن  
عجبي

صلاح جاهين كان متفقا ومتوافقا مع ثورة يوليو والدعوة إلى التجديد من الجذور إلى القمة، كانت الثورة حلما وأملا في إقامة مشروع قومي عربي ضد كل استغلال واستبداد، مشروع قومي ضد كل صور الاستعمار والرجعية وكل صور الفساد، ربما بجانب الصواب عندما نقول كان أمله وطموحه أكبر من كل ما طرحه ثورة يوليو، كان صلاح جاهين محبا للزعيم جمال عبدالناصر وكان القائد بمثابة الرهان علي المستقبل وعلي كل ما هو خير.

كان يري في الثورة وزعيمها تحقيقا للعدل والمساواة، إنها ثورة العقل وإرادة ومن ثم شحذ كل إمكاناته وقلمه من أجل أن يغرس الثورة ومبادئها في نفوس كل الشعب.

ويلاحظ أن إقامة الصناعة الوطنية لم تكن فقط لأغراض التنمية الاقتصادية ولكن جزء من تحقيق التنمية المستقلة، وكذلك عمليات التأميم الكبرى في عام ١٩٦١، ١٩٦٣ لم تكن لهدفي التنمية وتحقيق العدل الاجتماعي ولكن حلقة في بناء هيكل

الدولة الوطنية، وسيطرتها علي مصادر الإنتاج واستخدامها كذلك لدعم استراتيجية الاستقلال الوطني.

ويستخدم صلاح جاهين الكلمة للتعبير عن إيمانه بالزعيم وبالثورة.. وكما يقول الأستاذ كمال رمزي: تميزت قصائد صلاح جاهين بنكهتها الجديدة، ذات التزعة الشعبية التي تستوحي مشاعر الناس وتفوح منها رائحة الأرض والعرق الشريف، وتحيل، بلا افتعال، قضايا الوطن العامة، إلي قضايا تكاد تكون شخصية، وتصبح هموم الوطن هي هموم القلب.. عند صلاح جاهين لم يعد حب الوطن يأتي من أجل الماضي التليد أو من أجل خير العميم أو بسبب نيله ونخيله، ولكن الوطن أصبح هو الشعب الناهض، الفلاحين والضايعين وهو المستقبل الذي تسهم الجموع في صنعه، يقول في قصيدة إحنا الشعب التي لحنها كمال الطويل، وغناها عبدالحليم قبل العدوان الثلاثي بعدة أسابيع:

ياللي بتسهر لجل ما تظهر شمس هنانا  
 إحنا جنودك إيدنا في إيدك، مصر أمانة  
 بكرة وطنا ح يصبح جنة وانت معانا  
 ياللي واعدنا بأيام عيدنا هل هلاكك  
 بكرة يا بكرة مشتاق نظرة لسحر جمالك  
 بكرة بطلنا بجهد عملنا يبجي أمالك  
 واحنا اخترناك  
 راح نمشي وراك.. إحنا الشعب

هكذا كلمات مليئة بالإيحاء، تعبر عن موقف واضح من الحياة والوطن، تنبع من تجربة نفسية صادقة، عامة وخاصة في ذات الوقت، تباعب الرئيس وتؤكد إرادة الشعب.. ويبرز كمال الطويل المعني العام، الواثق والآمل، في القصيدة، بدءا بالمطلع القوي إحنا الشعب.. إحنا الشعب والذي يؤكد فيه حق الجماهير في الاختيار الحر حتي

يصن إلى منتهي الرقة والعزوبة في جملة بكرة يا بكرة مشتاق نظرة لسحر جمالك.  
وظل صلاح جاهين المدافع والمناضل من أجل هدف الثورة ولذلك وجدناه متألقا في  
الأغنية الوطنية وأنواعها ويقول.. جاهين.. هناك الأغنية السياسية، والثورية،  
والتهيجية، والتثقيفية، وتنتمي أغنياتي إلى الجزء التعليمي فقد كنت أحاول شرح  
الاشتراكية والثورة لأقرب ذلك إلى الأذهان، وكان عبدالحليم حافظ يساعد علي ذلك  
لأنه لو غني كلمة بس تلاقي كل الناس ترددها.. وفي ١٩٦٧ اندبح الطهر وبقي الجرح  
الأليم.. ويكتب جاهين:

ساعات أقوم الصبح قلبي حزين  
أطل بره الباب يخذني الحنين  
اللي لقبته ضاع.. واللي اشتربته اتباع  
واللي قابلته راح وفات الأنين.  
الجمال في الرباعيات

تكمن الجماليات عند جاهين في مدلول وعمق الكلمة، الكلمة لدي جاهين  
تحمل العمق في المعنى وتشع أضواء باهرة عند وضعها على السطور.. إنها تحمل الدلع  
والرشاقة وفي نفس الوقت قدرة النفاذ إلى عمق الوجدان الإنساني.. الكلمة عند جاهين  
سهلة جدا.. صعبة جدا.. في آن واحد.

في رباعياته نلمس مدي قناعته بقيم العمل والنضال والتغيير، وفي رباعياته أيضا  
تحصد الكثير من المعاني وحكمة العقل والإحساس عبر السنين.

وكما أسأفنا نجد في رباعياته الإيمان الطاغي بالعمل والبناء، كانت مهمة الكلمة  
عنده أن تقوم بدور في البناء الوطني، أن تفجر طاقات العمال في كل مكان، أن يؤمن  
كل فرد في الوطن بأهمية دوره في الوطن وفي المسيرة وفي الثورة العظيمة.. يقول  
جاهين:

يجعل كلامي فانوس وسط الفرح قايد  
 يجعل كلامي علي السامعين بفوايد  
 يجعل كلامي لا ناقص ولا زايد  
 إحنا في وقت البنا ما احناش في وقت كلام  
 يجعل كلامي حجارة ومونة وحدديد

هنا تشعر بقيمة وثناء الكلمة عند جاهين، الكلمة عنده لا تقف عند مدلولها أو مفهومها المتعارف عليه، بل هي تكتسب معني خاصا وتشحن وتطلي وتلون بألف لون وبألف شحنة في كل مرة، فهل كسر جاهين مقولة المفاهيم الأوسطية للألفاظ؟ رعا.

وتزداد أنات صلاح جاهين، لما يلاقي كل اللي كان راح! وكل بنايات الحلم الكبير اهدت واندكت ونزلت في الأرض.. ويقول صلاح جاهين:

أدي اللي كان، وأدي القدر والمصير  
 نودع الأفراح، نودع الأشباح  
 راح اللي راح، ما عديش فاضل كتير..

ويتأمل جاهين مرور السنين ويشوف فيها الدموع ويشوف فيها الفرح ويقول:

إيه اللي خدته من مرور السنين  
 يا قلبي إلا دمعتك والأنين  
 بتئن وبتفرح وترجع تحن  
 مع إن مش كل البشر فرحانين  
 عجبني

وفي النهاية يصل جاهين لكل كلمة الوجود والحياة ويعرف أن كل شيء باطل وكله في الفاشوش.. وكل شيء ماهوش طعم ولا لون ولا حي ريحة حتي لو كانت الدنيا ربيع..

نسمة ربيع لكن بتكوي الوشوش  
 طيور جميلة بس من غير غشوش  
 قلوب بتخفق.. إنما وحدها  
 هي الحياة كده؟ كلها في الفاشوش  
 ويسأل صلاح جاهين الطبيب:  
 كيف شفت قلبي والنبي يا طبيب  
 همد ومات.. ولا سامع له ديب  
 قال لي لقيته متخفق بالدموع  
 ومالوش دوا غير لمسة من إيد حبيب  
 عجبي

ولما مالقاش الحبيب.. ولما مالقاش الأمان راح ساب كل الحياة ومشى.. صلاح  
 جاهين في ١٩٨٦/٤/٢١.. هل يا تري في حد ما يعرفش صلاح جاهين؟؟.

د. حسن يوسف

جريدة الأهالي

## دراسة حول صلاح جاهين

ولد صلاح جاهين في ٢٥ / ١٢ / ١٩٣٠ م بحى بشيرا في شارع جميل باشا. وصلاح جاهين هو الأكبر بين إخوته.

والده المستشار بمجت حلمى الذى تدرج في السلك القضائى بدءاً من وكيل نيابة حتى عُين رئيساً لمحكمة استئناف المنصورة.

كانت ولادة صلاح جاهين متعثرة تعرضت أثناءها والدته للخطر، فوُلد شديد الزرقة دون صرخة حتى ظن المحيطون أن الطفل قد ولد ميتاً، ولكن جاءت صرخة الطفل منبهة بولادة طفل ليس ككل الأطفال .

وكانت لهذه الولادة المتعثرة تأثيرها، فمن المعروف أن الولادة المتعثرة تترك آثارها على الطفل فتلازمه طول حياته وقد تتسبب في عدم استقرار الحالة المزاجية أو الحدة في التعبير عن المشاعر - سواء كانت فرحاً أو حزناً، وهو ما لوحظ في صلاح جاهين الذى يفرح كالأطفال ويحزن لدرجة الاكتئاب عند المصائب. استطاع صلاح جاهين ببساطته وتلقائته التعبير عن كل ما يشغل البسطاء بأسلوب يسهل فهمه واستيعابه، وهو ما جعله فارساً يخلق برسومه وكلماته ويطوف بها بين مختلف طبقات الشعب المصرى، بل كانت جواز سفره لمختلف البلدان العربية التى رددت كلماته حَفْزاً للعمل والانجاز

فهو شاعر ورسام كاريكاتور ، وكاتب سيناريو ، لم يستكمل دراسته بالفنون الجميلة ، ولكنه درس الحقوق ، عمل رساما في العديد من الصحف ، اخرها الاهرام وقد توفي العام ١٩٨٦ عن خمسة و خمسين عاما.

و كسان و كأنه كان يعرف أن القدر لن يمهلَه فدخل في سباق معه أنجز خلاله مئات القصائد التي تراوحت بين الرجل و الشعر العامي و الشعر الشعبي التي تحولت إلى أغنيات غناها عشرات المطربين المصريين، و راوحت بين أغاني الحب و الأغاني الوطنية و الأغاني الخفيفة، و كتب أيضا عددا من الأوبريتات الغنائية ربما كان أشهرها أوبريت الليلة الكبيرة الذي ما زال يحتفظ بألقه حتى اليوم، و مئات الرسوم الكاريكاتيرية التي بدأ في رسمها أسبوعيا في مجلتي صباح الخير و روز اليوسف الأسبوعيتين، قبل أن ينتقل إلى صحيفة الأهرام التي كانت آنذاك في أوج ازدهارها، فكان يلخص في رسومه اليومية تلك و في صورة كاريكاتيرية ساخرة الموقف السياسي السائد آنذاك.

بدأ صلاح جاهين يكتب الشعر الكلاسيكي في أواخر الأربعينات، قبل أن يبلغ العشرين من عمره. لكنه قرأ يوما قصيدة بالعامية المصرية لشاعر لم يكن قد سمع به آنذاك، فقرر التعرف إليه و كان له ذلك. و لم يكن ذلك الشاعر سوى فؤاد حداد، الذي أثر فيه تأثيرا كبيرا و جمعته به صداقة عميقة استمرت فيما بعد حين تزوج ابن صلاح جاهين، و هو شاعر أيضا من ابنة فؤاد حداد. و في أواسط الخمسينات بدأ صلاح جاهين مسيرته الفنية التشكيلية في مجلة روز اليوسف، و مسيرته الشعرية التي بلغت ذروتها في ديوانه الشهير والكبير "الرباعيات".

خلال الفترة التي فصلت بين أواسط الخمسينات و بين الخامس من حزيران (يونيو) ١٩٦٧ غنى صلاح جاهين للحب و الشباب و الأطفال، كما غنى للثورة المصرية و لزعيمها جمال عبد الناصر. و لكنه بعد النكسة التي حدثت في ذلك اليوم أصيب بحالة من الكآبة لم يشف منها حتى رحيله، فتوقف عن كتابة الأغاني و الأناشيد الوطنية، و اتجه إلى الكتابة في اتجاهين؛ الشعر التأملية العميق كما في الرباعيات، و الأغاني الخفيفة، و التي ربما كان أشهرها تلك الأغاني التي غنتها الممثلة سعاد حسني في فيلم "خللي بالك من زوزو"، مثل الأغنية التي حملت عنوان الفيلم، و "يا واد يا تقيل" و

غيرها. و الطريف أن ملحن هذه الأغاني هو الموسيقي الكبير كمال الطويل، الذي كان في الفترة السابقة، يلحن له أغانيه الوطنية و الحماسية مثل "صورة" و "يا أهلا بالمعارك" و "بستان الاشتراكية" و غيرها.

كما لحن له آخر أغانيه الوطنية وهي " راجعين بقوة السلاح."

و قد قال صلاح جاهين مفسرا حالة الكتابة التي دخل فيها و مريرا قراره بالتوقف عن كتابة الأغاني الوطنية، إنه كتب الأغنية المذكورة التي لحنها كمال الطويل لتغنيها أم كلثوم عشية هزيمة الخامس من حزيران (يونيو) ١٩٦٧. وتقول كلمات الأغنية:

راجعين بقوة السلاح..... راجعين فحور الحمى

راجعين كما رجع الصباح..... من بعد ليلة مظلمة

وفي اليوم التالي جاءت النكسة على نقيض مروع من الأمل الذي تحمله كلمات هذه الأغنية، فلم يحتل قلب صلاح جاهين المثقل كل هذا الألم فدخل في حالة الاكتئاب حتى مات في العام ١٩٨٦.

## من أعماله السينمائية

تمثيل:

- (١) لا وقت للحب
- (٢) اللص والكلاب
- (٣) المماليك حوار:
- (٤) اللعنه
- (٥) المتوحشه
- (٦) خللى بالك من زوزو
- (٧) شيلنى واشيلك
- (٨) شفيقه ومتولى

سيناريو:

- (١) المتوحشه
- (٢) خللى بالك من زوزو
- (٣) شفيقه ومتولى

\*\*\*\*

و من آراء بعض كبار الفنانين فيه ":

كانت طاقة صلاح جاهين الفنيه تدفعه الى ممارسة كثير من الفنون ، كان يرسم الكاريكاتير ، و يؤلف الاغانى و المسرحيات و السيناريوهات ، و كان موسيقياً يضع الألحان ، و يقوم بالتمثيل على المسرح و أمام الكاميرا ، و كان ناجحاً نجاحاً باهراً فى كل هذه الاعمال"

(احسان عبد القدوس)

"كان صلاح جاهين شمساً تشع بالفرح رغم أن باطنه كان ليلاً من الأحزان العميقة ، و كان يدارى أحزانه و يخفيها عن الناس ، ويصنع منها ابتسامه ساخره و يظهر على الناس بوجهه الضاحك كل يوم"

(أحمد بيجت)

و أعلنه الفنان جورج البهجورى ملكاً على عرش الكاريكاتير .

لانتطيع ان تستحضر للذاكرة العبقري المصري المبدع صلاح جاهين (١٩٣٠-١٩٨٦) الا وتحضر معه بالضرورة كوكبة من المبدعين الذين زاملوه واشتركوا معه في صنع السيمفونية الباهرة للثقافة والفنون والفكر التحرري المثير في عصر مصر الذهبي في الخمسينات والستينات من القرن العشرين. فيحضر معه بالضرورة زميلاه الشعراان أحمد عبد المعطى حجازى وصلاح عبد الصبور وكان الثلاثة يعملون في غرفة واحدة تضم مكاتبهم الثلاثة في دار روز اليوسف ويقول حجازى: " كان جاهين أكثرنا نشاطا ومرحاً وحضوراً، كان يرسم وينظم بالعربية وكان احياناً يغني بعض الأغنيات الاسبانية من تراث الحرب الأهلية، بالاضافة الى أغنيات روسية، وفي تلك الغرفة سمعت من صلاح جاهين معظم أغنياته التي نظمها في الخمسينات وأوائل الستينات: ويقول حجازى انه رغم بدانة جاهين فإنه هو الذى علمه رقصة الفالس! ويقول حجازى: " لم يكن صلاح جاهين صوتاً بسيطاً مفرداً، وإنما كان مجمع أصوات، كان صوت مصر وصوت البشرية، صوت الجماعة في الواقع وفي الحلم معا، صوت جماعة ناهضة حرة متقدمة سعيدة منتمة الحضارة العصر مشاركة في صنعها. فصلاح جاهين ليس ثمرة تراث قومى مغلق وإنما هو ثمرة التراث القومى والتراث الانسانى، وهو يدين للوركا وبول إيلوار بقدر ما يدين لشوقى وبيرم التونسى".

كما لا بد أن يحضر معه للذاكرة أيضا شاعر مصر الكبير صلاح عبد الصبور. ليكون هو المقابل المخالف المضاد لصلاح جاهين ربما في كل شيء، روحا وجسدا، شكلا وموضوعا، فبعد الصبور هادئ حزين متشائم، يكتب بالفصحى شعرا للنخبة المثقفة عاكسا ثقافة عالمية نخبوية، بينما جاهين صاحب مرح متفائل يكتب بالعامية لعامة الشعب شعرا وغناء يفوح برياحين صبايا القرى وأحلام رجل الشرع وتعبه اليومي، دون ان يتخلى عن عمق انساني فلسفى بالغ التأثير. ولا يشترك "الصلاحان" - جاهين وعبد الصبور - سوى فى أن كليهما استطاع ان يؤثر تأثيرا حاسما على جيله فى مجال ابداعه. فيمكن القول أن عبد الصبور قد شكل الذائقة الشعرية والوجدانية لجيل مصرى كامل بقصيدة واحدة هى "احلام الفارس القديم"، والتي اعترف بعض رواد الشعر فى الجيل التالى أنهم كانوا يجوبون طرقات القاهرة ليلا منشدين المقاطع الشهيرة لهذه القصيدة بصوت مررع.

وبينما قام عبد الصبور بتشكيل الذائقة الشعرية لجيل كامل من الشعراء من بعده، قام جاهين بتشكيل الذائقة الوجدانية لجيل الثورة بأكمله، شعراء وفقراء وبسطاء وعمالا وفلاحين وموظفين وعاشقين وحالمين. من هنا تأتى أهمية هذا الشاعر الشعبى العظيم، ولهذا أقوم بالمقارنة بينه وبين صلاح عبد الصبور، فبينما نال عبد الصبور تقديرا كبيرا مستحقا فى الوسط الثقافى المصرى، فإن جاهين فى اعتقادى لم ينل ما يستحقه من تقدير يناسب إنجازاته الهائلة فى ميادين الابداع المتنوعة التى صرقتها، من الرسم الكاريكاتورى الى شعر العامية والزجل والاغنية والأشعار المسرحية والسينمائية والفوازير التليفزيونية ومسرح العرائس والسيناريو السينمائى فضلا عن الأناشيد الوطنية التى صنع منها جاهين فنا جديدا قائما بذاته.

## شاعر الثورة

بينما اجد بعض النقاد يطلقون على صلاح جاهين لقب "مغنى الثورة" لان كل ماكتبه كان يتحول الى أغنيات ثورية شعبية بصوت فندن الثورة عبد الحليم حافظ بألحان الموسيقى الفريد كمال الطويل، وربما مع بعض التردد في اطلاق لقب شاعر الثورة عليه، في ميل للإحتفاظ بلقب شاعر لمن يكتبون بالفصحى، الا أنني لأجد أى محل للتردد في وصف جاهين بشاعر الثورة المصرية، فهو وحده من استطاع ان يترجم مشاعر وأحلام وأفراح ملايين المصريين الى كلمات حية متوثبة مليئة بالدفاء والزهو والنشوة. فبينما كتب عبد الصبور وحجازى بعض القصائد الفصحى المعيرة عن بعض جوانب تلك الفترة، فإننا لآنجد في قصائدهم تلك حرارة ولحفة وصدق المشاعر اللافحة التى نجدها في كلمات جاهين، كما وكيفاء، ولعل من المفارقة ان القصيدة الوحيدة الدافئة الحس المرهفة الصدق التى كتبها حجازى في تلك المرحلة بأسرها هى قصيدته العميقة في رثاء عبد الناصر "مرثية الزمن الجميل" بينما -على العكس- كان رحيل عبد الناصر هو نهاية مرحلة الشعر الثورى لدى جاهين.

في أشعاره "الثورية" لم يكتب جاهين شعارات باردة جوفاء بل استطاع ان يغوص في اعماق الانسان المصرى المتطلع الى عالم أفضل ليستخرج منه بكلمات عامية بسيطة وبلسغة في آن واحد، أجمل ما فيه من أغنيات ومزامير راح ينثر بها البهجة والفرح الحقيقى بالفجر البهى القادم على الأفق. لم تكن في كلماته أية ظلال لافتعال سياسى او تعبوى، بل كانت مشاعر عفوية صادقة ترقص في قلبه المتفائل المحب للحياة فتتحول عبر شاعريته الأصيلة الى أناشيد للفرح والحب واللهفة المتوثبة. ولأن هذه المشاعر كانت تعبيرا صادقا عن الوجدان المصرى الجارف في تلك المرحلة، لم يكن صعبا على مبدع مرهف آخر مثل كمال الطويل أن يضع لها ألحانا نابغة من عمق الوجدان المصرى الطويل وصاعدة في نبرات متسرعة لاهثة فرحة متشوقة للغد الأجل الذى وعدت به القلوب الفائرة النائرة.

وبهذا الصدق والفرح والتفاؤل كتب جاهين - وغنى عبد الحليم - أناشيد إحنا الشعب (٥٦) وبالأحضان (٦١) والمسئولية (٦٣) ويأهلا بالمعارك (٦٥) وصورة وناصر وغيرها.

وكان من المدهش حقاً إستقبال الجماهير لهذه الاناشيد وتجاوزها معها حفظاً وغناء وكأنها أغنيات فى الحب والصبا والجمال وليس فى الثورة والحرية والكرامة بل والسياسة الاقتصادية (على راس بستان الاشتراكية/ واقفين بنهدس ع المية/ أمة أبطال/ علما وعمال / ومعانا جمال)..

### مزامير الحب والبهجة

فى نفس الوقت الذى كان يكتب فيه جاهين هذه الأناشيد الوطنية الشعبية الواعدة، كان يكتب أيضاً مزامير الزهور والحب والبهجة . فهو عاشق للحياة يجبها بحس شاعر ونزق طفل وتهور شاب مقبل على مباحج الأحلام المنتظرة فى فرح حقيقى. ان علاقة جاهين بالفرح علاقة اساسية حميمة.

يقول فى رباعياته الشهيرة:

أنا اللى بالأمر المحال إغتوى  
شفت القمر نطيت ل فوق فى الهوا  
طلتاه ماظلتوش إيه انا يهمنى  
وليه مادام بالنشوة قلبى ارتوى  
عجبنى

ويقول فى رباعية أخرى:

فتحت شباكى لشمس الصباح  
مادخلش منه غير عويل الرياح

وفتحت قلبي عشان أبوح بالألم  
ماخرجش منه غير محبة وسماح  
عجبي

وفي تأكيد على أهمية الفرح العام الجبوري المعلن يقول

كرباج سعادة وقلبي منه انجلد  
رمح كأنه حصان ولف البلد  
ورجع لي نص انليل وسألني ليه  
خجلان تقول أنك سعيد ياولد؟

ويقول في شعر الغزل والشقاوة والمحبة:

يا بنت يام المريله كحلى  
ياشمس هاله، وطالله م الكومه  
لو قلت عنك فى الغزل قوله  
ممنوع عليا والا مسموح لى؟  
وفى رباعية غزلية أخرى يقول:  
اوقات افوق ويحل عنى غبايا  
واشعر كانى فهمت كل الخبايا  
أفتح شفائفى عشان اقول الدرر  
مااقولش غير حبة غزل فى الصبايا  
عجبي

مسئولية الكلمة :

يعرف صلاح جاهين مسؤليته كمبدع وكشاعر. كثيرا ما يشير الى الصمت في

شعره كمرادف للموت، ويشير الى الكلمة كمرادف للحياة. يقول في قصيدة بعنوان "

اتكلموا:"

اتكلموا.. اتكلموا.. اتكلموا  
 محلا الكلام، ماألزمه، ماأعظمه  
 فى البدء كانت كلمة الرب الاله  
 خلقت حياه والخلق منها اتعلموا  
 فاتكلموا  
 الكلمة ايد الكلمة رجل الكلمة باب  
 الكلمة لمبة كهربية فى الضباب  
 الكلمة كوبرى صلب فوق بحر العباب  
 الجن ياأحاب مايقدر يهدمه  
 فاتكلموا

وفى رباعية جميلة يقول :

ياعدليب ماتخافش من غنوتك  
 قول شكوتك واحكى على بلوتك  
 الغنوه مش حتموتك..... إنما  
 كتم الغنا هو اللي ح يموتك

♦ فيلسوف الفقراء

ينفرد جاهاين بخاصية هامة تمنح شعره - على بساطته وعاميته - بعدا فلسفيا  
 لانعرف له مثيلا لدى شعراء العامية الآخرين بل ولانعرف له مثيلا لدى شعراء  
 الفصحى المصريين، فيما عدا رفيقه صلاح عبد الصبور الذى إتسمت معظم أشعاره  
 بأبعادها الفلسفية الانسانية الشاملة.

وهنا ايضا- وعلى الأخص- لم يحصل جاهين على حقه من التقدير، بسبب النظرة العداوية من الوسط الثقافي النخبوي للعامية، وربما بسبب التحيز للفصحى والخوف عليها، مع قدر من عدم التصديق لإمكانية ان تقول العامية الدارجة معان تقرب من مدار الفلسفة المقدس. ولكن لا يصح ان يمنعنا مثل هذا الموقف الاستعلائي الزائف والخائف من ان نخوض في رفق وحدثب في أعماق أشعار جاهين لنكتشف ما بها من جواهر فكرية ووجدانية بديعة. فإنك لتجد في رباعياته أصداء لفلسفة سارتر الوجودية ولمواقف البير كامو في اغترابه وجرأة نيتشه الذي لم تكن فلسفته سوى شعرا مكثفا. بالإضافة الى نهل جاهين من التراث الفلكورى المصرى والعربى الاسلامى والمسيحى. ومزجها كلها فى صوت صادق متفرد هو صوته وحده . ولننظر الى بعض رباعياته التى يمكن اعتبار كل رباعية منها أطروحة فلسفية كاملة تطرح كل منها أحد الأسئلة الوجودية الهامة فى تصوير بالغ الإيجاز والإيحاء والدهشة:

عيد والعيال اتنططوا ع القبور  
 لعبوا استغماية ولعبوا بابور  
 وبالونات ونايلونات شفتشى  
 والحزن ح يروح فين جنب السرور!  
 عجبى

الدنيا صندوق دنيا.. دور بعد دور  
 الدكة هى .. وهى كل الديكور  
 يمشى اللى شاف ويسيب لغيره مكان  
 كان عربجى او كان امبراطور  
 عجبى

أنا شاب لكن عمري ولا ألف عام  
 وحيد ولكن بين ضلوعي زحام  
 خائف ولكن خوفاً مني أنا  
 أخرس ولكن قلبي مليان كلام  
 عجبى

علمى ان كان الخلق من أصل طين  
 وكلهم بينزلوا مغمضين  
 بعد الدقائق والشهور والسنين  
 تلاقى ناس أشرار وناس طيبين  
 عجبى

وكان هذا الفيلسوف الجميل مفتوح القلب سريع البديهة. وأذكر انني استمعت إليه مرة في برنامج إذاعي اسمه "جرب حظك" سأله فيه مقدمه عباس أحمد: من في رأيك أعظم رسام كاريكاتير في العالم؟ فأجاب جاهين الذي كان بدينا، قصيرا، أصلعا، وكأنه كرة ضخمة؛ الحقيقة أن كل ما بصيت في المرآة عرفت ان ربنا سبحانه وتعالى هو أعظم رسام كاريكاتور في الدنيا! فانفجر الجمهور ضاحكا.

عالمى الترة

رغم ان صلاح جاهين كان يغنى للاشتراكية في إخلاص المثقف المنتمى للفكر اليسارى المنحاز للفقراء والبسطاء بشكل اساسى الا انه كان مثقفا وليس ايديولوجيا منغلقا. ومازلت أذكر أنه في اليوم التالي لإغتيال الرئيس الأمريكى الشاب جون كيندى في عام ١٩٦٣ فوجئت في جريدة الاهرام التى كانت تنشر لجاهين رسما كاريكاتوريا

شهيراً كل يوم أتما تنشر له قصيدة رائعة في رثاء الرئيس الامريكى لم أعد أذكر كنعانها ولم اجدها بعد ذلك ولكنى اذكر جيداً انه ختمها وهو يهتف ملتحفاً باسم الرئيس الامريكى قائلاً: يا جون.. يا يوحنا المعمدان! وقد أثرت في نفس هذه الخاتمة المدهشة للقصيدة . ولم افهم للوهلة الاولى لماذا يخاطبه يوحنا المعمدان. اذ كنت مازلت طالبا في ذلك الوقت. ولم يكن في ذهني أن جون هى بالعربية يوحنا. فكانت هذه المقاربة الجميلة في القصيدة والتي تدل على انفتاح جاهين السياسى والدينى معاً، فلم تمنعه يسارته الفكرية من التعاطف مع رئيس امريكى شاب كان مثقفاً ثقافه انسانية حقيقية وقف امام نفوذ التحالف الصناعى العسكرى في بلده واشاع في العالم كله أملاً في مستقبل اجمل.. ولا تمنعته ثقافه الاسلاميه من معرفة واستخدام رمز مسيحى شهير هو يوحنا المعمدان الذى كان يوصف بالصوت الصارخ في البرية لقوته وشجاعته في المجاهرة بالحق حتى اوصله هذا الى تقديم رقبته على طبق هدية لسالومى من الملك هيرودس أنتيبى الذى صرخ في وجهه يوحنا المعمدان يوماً: هذا لايجل لك!

## فرسان الثورة

استطاعت الثورة المصرية منذ ولادنا وبسبب اهتمام عبد الناصر بالثقافة والفنون والادب اساساً ان تخلق مناخاً اجتماعياً مثيراً لعوامل الابداع الانسانى في جميع المجالات .. وانطلقت مع بداية الثورة وبشكل تلقائى مدهش شرارة الخلق والابداع الفنى والفكرى في عدد هائل من الشباب المثقف الصاعد من قرى ونجوع مصر الزاحف نحو القاهرة والاسكندرية فإذا بمئات ومئات من المبدعين تتصاعد أنجمهم في سماء مصر حاملين رايات ملونة زاهية لأعدال جديدة مدهشة في كل مناحى الابداع. أرصد هذا لأوضح أن صلاح جاهين -وان كان حق صوتاً متفرداً مميزاً في الشعر وفننا مبدعاً في الرسم وغيره من الفنون - لم يكن وحيداً وانما كان واحداً من "جيش" مدهش من المبدعين المجددين الذين استقوا من يتابع الجسد المصرى المتفجر بإرهاص الولادات

الجديدة ووعود الاحلام المثيرة القادمة في فورة إبداعية نعرف الآن أنها كانت -للأسف -إستثنائية في تاريخ مصر المعاصر.

وقد كان لجاهين شاعر الثورة المصرية وواضع مزاميرها الجماعية المحفزة أثر كبير في حركة النهضة الفكرية التحررية المواكبة، فقد راح في رسومه وكلماته وأناشيده وأشعاره يرسم ملامح المجتمع الحر القادم في عيون شباب وصبايا يعانقون أحلام الحب الجميل والحرية الاجتماعية والتحرر الفكرى البادئ بالذات والممتد نحو الانسان في كل مكان.

وكان لهذه الفورة الابداعية والتفجر الغنى المثير فعل السحر في الشباب المثقف الصاعد الى حد انه حتى المثقفين الذين دخلوا السجون في تلك الفترة بشبهة الميول الشيوعية او اليسارية المتشددة خرجوا منها وهم على إخلاصهم العجيب للثورة التي تتورع عن التهام عدة سنوات من شبابهم الحالم، وهي ظاهرة لا نعرف لها مثيلا في التاريخ.

هل خان نفسه؟

حينما أصيبت الثورة المصرية بجرح هزيمة ٦٧ الغائر، ثم برحيل فارسها عبد الناصر عام ٧٠، شاهد جاهين كل شئ ينهار من حوله، فأصاب شاعر الثورة احباط الانكسار ودخل في صمت المطعون المكلوم. ومع صعود الرئيس "المؤمن" - الذي كان معروفا طوال سنوات الثورة بأنور السادات لنكتشف فجأة ان اسمه الحقيقي هو محمد انور السادات!- أطلقت الاشارة لبدء حركة الهجوم الوحشى والتشويه الجمانى لكل جوانب الثورة، المظلم منها والمضى معا، حتى أن السد العالى نفسه - الذى أعترف العالم مخرا انه اهم عشرة مشاريع هندسية في العالم في القرن العشرين - لم يسلم من حملة التشويه الآثمة لإنجازات الثورة.

ولم يجد شاعر الثورة له مخرجاً من نفق الاحباط وظلمة الاحساس بالغبين والضياع وربما لوم الذات وانكار الحلم بل ومعاداته سوى الدخول الى دوامة العمل السينمائي السهل في حركة هي اقرب الى حركات مهرج السيرك الذى يضحك الآخريين بقلب نازف - فكتب لصديقه دربه سعاد حسنى اغنيات فيلمها "خلى بالك من زوزو" الذى حقق نجاحاً جماهيرياً ساحقاً، بين جماهير متغيرة كانت قد تعبت من وطنة احلامها طوال عشرين عاماً، وتعبت من الحروب والمعارك والاناشيد، وارادت ان تنسى وترقص وتلهو على انغام تقول لها ان "الدنيا ربيع، والجو بديع، قفلى على كل المواضيع" وهكذا نظر بعض المثقفين في حزن الى شاعر الثورة وفارسها القدم وقد انكسرت قوادم احلامه (كما تنبأ صلاح عبد الصبور) وتحول مغنى الجماهير الى مضحكها . وهو دور استنكروه عليه ولكنه لم يستنكره على نفسه فقد كان دائماً منحاذا الى الجماهير البسيطة يعبر عن أحلامها وآمالها وعن ضحكاتها وأوجاعها . ولم يجد غضاضة في ان ينحاذا اليها في لهوها ومزاحها وهو المنحاذا أبداً للفرحة والبهجة.

وقد أراد له -وتوقع منه- البعض ان ينخرط -وهو شاعر الثورة- في حركة المعارضة الشعبية والطلابية لنظام السادات قبل حرب العبور كما فعل احمد فؤاد نجم بأشعاره الجارفة التى لحنها وغناها الشيخ امام والتى دخلا السجن بسببها . ولكن جاهين لم يفعل ولم يكن له ان يسير في درب غير دربه فعالمه الشعري ليس عالم احتجاج ومعارضة ضد النظام فقد كان منسجماً مع النظام الناصري الذى كان منسجماً مع أحلام النقاء وآمال المثقفين معاً، وجاهين المنحاذا للفرح في الحياة لم يجد في نفسه طبيعة الصدام والمعارضة والمهجوم على الآخريين. بما في هذه من العنف العاطفى والخشونة الوجدانية الضرورية لتحمل والصمود . نعم هو شاعر الحلم الثورى لكنه ليس شاعر الغضب والتصدى والتعدى، ولذلك كانت لأناشيده الثورية دائماً جانب الاعراس المخفوف بالأجراس والمزامير والرقصات الشعبية، فليدع التصدى والمنافاة

والغضب الشعبى لغيره من الشعراء مثل نجم. فهل كان فى هذا خائنا لنفسه أم متسقا معها؟

لاشك ان هذا سؤال سيستدعى إجابات متناقضة من نقاد مختلفين. اما انا الذى طالما اترعت قلبى مما كان يسكب لنا جاهين كل يوم من مياه المحبة والبهجة والأمل المثير فليس عندى له سوى فيضان من مشاعر العرفان والممنونية والإنحياز الحميم.

ولعل أجمل ما يعبر عن حالة جاهين تلك بعد أن حيار أحلام الثورة التى شارك فى صنعها هى رباعيته التى كتبها عندما أصابه انسداد فى شرايين القلب احتاج الى جراحة فى صيف ١٩٨١:

يا مشرط الجراح أمانة عليك  
وانت فى حشايا تبص من حواليك  
فيه نقطة سودة فى قلبى بدأت تبان  
شيلها كمان.. والفضل يرجع اليك.

لقد كانت النقطة السوداء قد احتلت قلبه الكبير وراحت تكبر فيه وتنهشه هى نفسها النقطة التى اصابت قلب مصر مع جرح ٦٧ ومع رحيل ناصر وانحيار احلام الجيل الصاعد وتسليم السادات مفاتيح مصر للتيارات الدينية الظلامية التى أطفأت مصابيح مصر واحدا بعد الآخر وحاربت الفن والفكر والابداع والتحرر والمساواة والفرح والبهجة والانطلاق والغناء والرقص والمزامير ، فكانت هى الخاتمة السوداء لاحدى أجمل فترات النهضة المصرية فى تاريخها الحديث.

سيظل جاهين صوتا مميزا مزهوا فى الوجدان المصرى الى الأبد.

فالشاعر الاصيل لا يعرف موتا ولا صمتا. وهو الذى قال:

دخل الشتاء وقفل البيبان ع البيوت  
وجعل شعاع الشمس خيط عنكبوت  
وحاجات كثير بتموت فى ليل الشتا  
لكن حاجات أكثر بترفض تموت.

### قصيدة الدرس انتهى

كان لحرب الاستنزاف أثر كبير فى نفس القيادتين السياسية و العسكرية  
الإسرائيلية مما أفقدها توازنها و أصبحت تتصرف كنور هائج فأغارت الطائرات  
الحربية الاسرائيلية فى صباح يوم ٨ ابريل عام ١٩٧٠ على مدرسة بحر البقر الابتدائية  
بمركز الحسينية بمحافظة الشرقية فدمرت المكان وقتلت العشرات من التلاميذ الابرياء  
الذين كانوا يرسمون فى كراسيهم عالما خاليا من الحرب والحقد والعدوان . وخلفت  
وراءها ٧٧ شهيدا وجريحا من التلاميذ والمدنيين

وقد كتب صلاح جاهين قصيدته لموا الكراريس يصف فيها الوحشية التي قتل  
بها التلاميذ ويخاطب ضمير العالم العربي و الغربي بأن يتنبه لما يحدث

### الدرس انتهى

الدرس انتهى لموا الكراريس  
بالدم اللى على ورقهم سال  
فى قصر الأمم المتحدة  
مسابقة لرسوم الأطفال  
ايه رأيك فى البقع الحمراء  
يا ضمير العالم يا عزيزى  
دى لطفلة مصرية وسمرا  
كانت من أشطر تلاميذى

دمها راسم زهرة  
 راسم راية ثورة  
 راسم وجه مؤامرة  
 راسم خلق جباره  
 راسم نار  
 راسم عار  
 ع الصهيونية والاستعمار  
 والدنيا اللي عليهم صابرة  
 وساكتة على فعل الأباليس  
 الدرس انتهى  
 لموا الكراريس..  
 ايه رأى رجال الفكر الحر  
 فى الفكرادى المنقوشة بالدم  
 من طفل فقير مولود فى المر  
 لكن كان حلو ضحوك الفم  
 دم الطفل الفلاح  
 راسم شمس الصباح  
 راسم شجرة تفاح  
 فى جناين الاصلاح  
 راسم تمساح  
 بألف جناح  
 فى دنيا مليانة بالأشباح  
 لكنها قلبها مرتاح  
 وساكتة على فعل الأباليس  
 الدرس انتهى  
 لموا الكراريس...

ايه رأيك يا شعب يا عربى  
ايه رأيك يا شعب الأحرار  
دم الأطفال جايلك يحبى  
يقول انتقموا من الأشرار  
ويسيل ع الأوراق  
يتهجى الأسماء  
ويطالب الآباء  
بالنار للأبناء  
ويرسم سيف  
يهد الزيف،  
ويلمع لمعة شمس الصيف  
فى دنيا فيها النور بقى طيف  
وساكتة على فعل الأباليس  
الدرس انتهى لموا الكراريس

رحم الله صلاح جاهين ، ورحم معه الزمن المصرى الجميل

## اسرار عن الشاعر المشهور صلاح جاهين

لعب الأدب العربي بجميع فروعِهِ دوراً مهماً في رفد السينما والاغنية والمسرح وأنواع الفنون الأخرى كافة بأعمالٍ مميزة، منذ البدايات، وساهم رواد حركة التجديد العربية من شعراء وكتاب قصة ومسرحيين بتقديم أعمال فنية لعدد من أبرز نجوم الفن العربي. وقد شهدت فترة الأربعينات من القرن الماضي وما قبلها مزاجاً وانصهاراً بين الفن والأدب، وتواصلت هذه المزاجية حتى اليوم إذ إن الأدباء يلعبون دوراً مهماً في الحياة الفنية سواء في السينما أو الغناء.

نتوقف هنا عند أبرز الأدباء الذين ساهموا في تغيير وجه الفن في مصر والوطن العربي. استحق صلاح جاهين لقب فيلسوف الشعر العربي.. فقد خرج من تحت جلاباب فؤاد حداد ليقدّم أشعاراً طازجة بالعامية المصرية .. كاملة الصنعة مثل سبائك الذهب.. لكن وصف الشاعر رغم أهميته لا يكفي العطاء والمواهب العديدة التي أدهش صلاح جاهين بها جيله والأجيال التالية.. فقد كان رساماً للكاريكاتير رفيع المستوى أسس مدرسة في هذا الفن الذي يجمع بين البساطة في الرسم مع روح النكتة والسخرية وملاحظة الفكرة .. وكتب أغان مدهش يتلهم بنجوم وأساطين الغناء على أشعاره.. وممثل.. وسيناريست.. ومنتج سينمائي.. وصانع نجوم في الأدب — عبد الرحمن الأبنودي، وفؤاد قاعود، وسيد حجاب — وفي الفن — سعاد حسني، وأحمد زكي، وعلي الحجار، وشريف منير.. وفي النهاية هو رمز من رموز ثورة يوليو التي أعطتها كل ما يملك.. فأصابته نكستها عام ١٩٦٧ بالاكنتاب والإحباط حتى فارق الحياة.. لكن الأثر الذي تركه لا يمكن محوه من ذاكرة الأدب والفن.

## فيلسوف ولاد البلد

صلاح جاهين اختار له ناشر طبعته الشعبية لأعماله، الحاج مدبولي، لقبها جعله عنوان الأعمال وهو 'فيلسوف ولاد البلد' وهو لقب يفرض في تسطيح قيمة امين الذي كتب عنه الشاعر محمود درويش — واصفا إياه: 'هو واحد من معالم مصر، يدل عليها وتدل عليها، نايات البعيد وشقاء الأزقة ودفوف الأعياد.. سخرية لا تجرح، وقلب يسير على قدمين. ولا يتوقف عن الضحك إلا لينكسر، يوزع نفسه في نفوس كثيرة، وينتشر في كل فن ليعثر على الشعر في اللا شعر، وينمو في كل ظاهرة..'. ولد في حي بشبرا في شارع جميل باشا في ٢٥ ديسمبر ١٩٣٠، اسمه الحقيقي محمد صلاح الدين بجمت أحمد حلمي.. كانت ولادته عسرة تعرضت أثناءها والدته للخطر، فولد شديد الزرقة من دون صرخة حتى ظن المحيطون أن الطفل قد ولد ميتا، ولكن جاءت صرخة الطفل منبهة بولادة طفل ليس ككل الأطفال.

وكان لهذه الولادة المتعثرة تأثيرها، فمن المعروف أنها ترك آثارها على الطفل فتلازمه طول حياته، وقد تتسبب في عدم استقرار حالته المزاجية أو الحدة في التعبير عن المشاعر، سواء كانت فرحا أو حزنا، وهو ما لوحظ في صلاح امين الذي يفرح كالأطفال ويحزن لدرجة الاكتئاب عند المصائب.

جده الصحفي الكبير أحمد حلمي، له بصمات عديدة في السياسة، أسس جريدة القطر المصري، وكان أول صحفي في مصر يذم في الذات الملكية في زمن الخديوي عباس حلمي، ووالده كان مستشارا في محكمة استئناف القاهرة، ووالدته كانت مدرسة.

كان دائم الشعور بعدم الاستقرار نتيجة انتقاله مع والده والعائلة إلى أكثر من محافظة بحكم عمل والده كقاض، مما أثر على شخصيته فيما بعد، فلم يكن مستقرا

على حال، كان حلمه أن ينهي دراسته في الفنون الجميلة ويسافر إلى باريس، وفي الوقت نفسه طامحا إلى إرضاء والده ليصبح قاضيا مثله، ووصل به الحال إلى عدم التخرج من أي كلية.

ومن ثم قرر العمل في دار نشر في السعودية وبعد قضاء ٣ اشهر عاد عن قراره واكتشف انه لا يرغب في جمع المال وزجع إلى القاهرة، وعمل في أعمال بسيطة في بداياته بجريدة الجمهورية عام ١٩٥٣، ثم بجريدة القاهرة ١٩٥٤ ثم روز اليوسف.

وفيها بدأ مشواره مع فن الكاريكاتير بعد أن اكتشف احمد بهاء موهبته في الرسم، كما عمل عام ٦٢ في جريدة الأهرام، ورئيس تحرير مجلة صباح الخير. مع ثورة يوليو وجد صلاح جاهين نفسه فأخلص لأفكارها ومبادئها، دوثما أن يكون من النوعية التي تجري وراء السلطة طمعا في الشهرة والمال. كان كالكتيرين يرى الثورة تعبيرا عن أحلامه في إنصاف البسطاء، والضباط وسيلة لعودة الحكم إلى الشعب المصري الذي قهر لقرون طويلة، فتفجرت موهبته في الشعر.

ارتباط صلاح جاهين بفكر ثورة يوليو وإيمانه العميق بعبد الناصر أدى به إلى أن يكتب أغنيات تشيد بالزعيم وأفكاره. كانت أغنيات رائعة داعبت مشاعر المصريين وأحلامهم، وعبرت عن تطلعاتهم في اللحظة التاريخية، فرددوها وحفظوها، خاصة أنه كان من الذكاء ليمررها عبر نجوم تلك الفترة في الغناء من الذين كانت تنتظر مصر والعالم العربي أغانيهم بلهفة، ومثلوا رموزا لفن الثورة. فأنتج مع عبد الحليم حافظ، ومعهما كبار ملحنى هذا العصر الموجى وكمال الطويل وبلخ حمدي أهم أغنيات للثورة التي تعتبر مشروعا فنيا جسد كل مراحلها منها أغنيات: 'إحنا الشعب' و'المسؤولية' و'إنذار' و'بالأحضان' و'ابستان الاشتراكية' و'صورة' و'نشيد ناصر'، وهي

أغنيات هتفت لبناء السد العالي وكفاح الشعب وللعدل والمساواة وكل الأفكار الكبرى التي كان يرددها هذا الجيل وأثرت على العالم العربي.

وكان من الطبيعي أن تغني أم كلثوم أيضا وطنياته، فقدت معه أربع أغان .. منها اثنتان لحنهما رياض السنباطي هما 'الله معاك' و'ثوار'، وأغنية لحنها محمد الموجي هي 'فرحة القنال' بعد قرار تأميم قناة السويس، وأغنية لحنها كمال الطويل هي 'والله زمان يا سلاحي'، وغنت له فائدة كامل 'احلم يا شعب' و'مهمضة جديدة'، وغنت له فائزة أحمد 'راية العرب'، وغنى له محمد فوزى 'رسالة إلى جندي'، وغنى له محمد قنديل 'نشيد الجزائر'. أي أن جاهين ملأ الحياة في مصر بالأغاني عن أمجاد الثورة، لذلك عندما انهزم الجيش المصري في ١٩٦٧ كانت صدمة صلاح جاهين كبيرة، وأصيب بالإحباط والإكتئاب.

وعندما سئل صلاح جاهين عن سر عدم كتابته أغاني وطنية بعد النكسة قال : الحقيقة أنني بعد النكسة أصبت بصدمة أحدثت لي نوعا من الشلل ثم أخذت أسأل نفسي: هل أخطأت بكتابة هذه الأغاني المنفائلة؟ ألم اشترك أنا والكثيرون غيري في خلق أكذوبة خدرت أعصاب الجماهير حتى صدمهم الواقع؟ إنني مؤمن بعبد الناصر ومحب له كمؤسس لمصر الثورة، مصر التصدي للاستعمار، مصر 'لقطاع العام، مصر التصنيع وكهربية الريف، مصر العمال والعاملات، مصر الإصلاح الزراعي الى آخر النواحي المشرقة التي حققناها في عصره العظيم. ولكنني تعلمت ودفعت غالبا لأتعلم انه في كل العصور، وحتى في عصر عبد الناصر، كانت هناك الفتران التي تنخر في أساس البناء، وأن الذي لا يلتفت ويتنبه إليها، يحدث له ما حدث لي من صدمة واكتئاب وندم وضياح.

ربما لا يفهم الشبان هذا الألم، لأنهم لم يصادفوه بعد، وأرجو ألا يصادفوه، وان صادفوه، أرجو بدلا من أن يكتبوا ويضيعوا أن يواصلوا النضال.

ربما شعر صلاح جاهين بمسؤوليته كمبدع — على نحو ما — فيما حيث من هزيمة .. لكن كان قراره مزاجيا وعصبيا لا تمجيد لأحد بعد الآن حتى لو كان الثمن الابتعاد عن الشعر. وهذا الموقف دفع ثمنه في السبعينات بمنع إذاعة أغانيه أو تكليفه بكتابة أغان للإذاعة والمجوم عليه بضراوة.. لكنه كان سحب إبداعه الى منطقة أخرى هي السينما.

في السينما جرب جاهين نفسه في مجالات عديدة، التمثيل، وكتابة السيناريو، وكتابة أغاني الأفلام، والإنتاج.

دخل الى عالم السينما في بداية الستينات، بالتمثيل في عدد من الأفلام مثل 'الرص والكلاب' (إخراج كمال الشيخ ١٩٦٢) و'من غير معاد' (أحمد ضياء الدين ١٩٦٢) و'لا وقت للحب' (صلاح أبو سيف ١٩٦٣) والفيلم الأميركي 'القاهرة' (١٩٦٣) (الذي شارك فيه عدد من كبار الممثلين المصريين، و'المماليك' (عاطف سالم) ١٩٦٥ في هذه الأفلام لعب جاهين أدوارا ثانوية جدا، كضيف شرف تقريبا، ولم يحقق نجاحا يذكر كممثل باستثناء دوره في 'لا وقت للحب' حيث لعب دور بدير، الصديق الذي يحتبى عنده الفدائي شكري (رشدي أباطة) ويرحب به في البداية، ولكن تنتابه الغيرة عندما يكتشف أن الفتاة التي يسعى للتقرب منها (فاتن حمامة) وقعت في حب صديقه، فيطرد الاثنين من منزله.

يحمل توزيع الأدوار في هذا الفيلم سخرية غير مقصودة — أو مقصودة — من فكرة أن جاهين، شاعر ثرة يوليو هو أحد رموزها، يلعب دور الرجعي اللامتمي سياسيا، بينما رشدي أباطة، الذي ولم يعرف عنه يوما لعب أي دور سياسي، يلعب

دور البطل الثائر. والطريف انه عندما حاول اهين أن يلعب دورا اقرب الى طبيعته في فيلم 'الممالك'، ككثير يحاول اغتيال الملك الظالم، بدا مضحكا وغير قابل للتصديق، ويبدو انه أدرك أن صورته السينمائية لا يمكن أن تعبر عن روحه الرشيقه البليغة، لذلك آثر الابتعاد عن التمثيل بعد هذا الفيلم.

من علاقته الوطيدة بالنجمة سعاد حسني، التي كانت تعتبره أباهما الروحي، ولد فيلم 'خللي بالك من زوزو' (حسن الإمام ١٩٧٢) (الذي شارك في إنتاجه بالإضافة الى كتابة السيناريو والأغاني والذي حقق نجاحا غير مسبوق في السينما المصرية، وتحول الى ظاهرة، وكان لصالح جاهين الفضل في ذلك. كان 'زوزو' لقاء غير منطقي بين اهين وبين حسن الإمام، المخرج الذي اعتبره نقاد وسينمائيو ثورة يوليو احد رموز الرجعية والفن الهابط المدمر. وقد شن هؤلاء على الفيلم وجاهين حملة نقدية شرسة تتهمه بالتنازل والسقوط.. ولم يصدق هؤلاء أن مؤلف أغاني 'بستان الاشرافية' و'اهلا بالمعارك' و'أحلف بسماها وبتراجها' يمكن أن يكتب كلمات مثل 'يا واد يا تقيل' و'زوزو التوزو كاوتوزو'.

كتب سامي السلاموني عن الفيلم تحت عنوان 'سقوط جاهين في فخ نعيمة الماظية': 'هنا سخريه من كل شيء وتشويه لكل شيء.. وبيع للرقص والإثارة وعالم الكباريه كما هي العادة.. ثم بيع للقيم والمقدسات وأحلام المستقبل.. وهذه هي الإضافة الجديدة التي يقدمها فنان العشرين سنة الماضية الذي تحول إلى منتج.'

لم يع هؤلاء حجم الصدمة التي تعرض لها جاهين بفعل النكسه. وبعد مضي السنين كتب الناقد كمال رمري في مقال له عن سعاد حسني: 'الحق أننا ظلمنا هذا الفيلم كثيرا عندما رفضناه جملة وتفصيلا، الآن، وبعد مرور أكثر من عقد ونصف العقد على إنتاجه، تبدو لنا قيمته الإيجابية أكثر وضوحا.'

بعد ذلك كتب جاهين لسعاد حسني فيلما آخر هو 'أميرة حيي أنا' عن قصة لنحيب محفوظ ومن إخراج حسن الإمام أيضا، ١٩٧٤ غنت فيه أغنيتهما الشهيرة الأخرى 'الدنيا ربيع والجو بديع.. قفلي على كل المواضيع'. لم تدم هذه الفترة المبتهجة طويلا لدى جاهين ولا سعاد حسني، فسرعان ما دخل الاثنان في الاكتئاب مجددا وانعكس ذلك على اختيارهما الفنية.

كتب جاهين قصة الفيلم الرابع 'عودة الابن الضال' الذي أخرجه يوسف شاهين عام ١٩٧٦ وهو واحد من تحف السينما المصرية النادرة.. وبعيدا عن مستواه السينمائي الرفيع، هو أعظم مرثية لعهد عبد الناصر ونبوءة كابوسية بالتمزق الذاتي الذي يعاني منه العامل العربي على مدار العقدين التاليين. أما الأغاني التي كتبها جاهين لهذا الفيلم فهي من أفضل ما كتب سواء أكانت أغاني أو شعرا، خاصة أغنية 'مفترق الطرق' التي يبدوها بقوله: 'ساعات أقوم الصبح قلبي حزين.. اطل برة الباب ياخذني الحنين.. أدي اللي كان وأدي القدر وأدي المصير.. نودع الماضي وحلمه الكبير.. نودع الأفراح.. نودع الأشباح.. راح اللي راح معادش فاضل كثير'. وتعد هذه الأغنية التي شددت بها ماجدة الرومي ولحنها كمال الطويل واحدة من أهم الأغاني العربية الحديثة علي مستوى اللحن والأداء والتصوير والسينمائي أيضا، وفي زمن الفيديو كليب كثيرا ما تبث هذه الأغنية الآن على القنوات التلفزيونية.

بعد 'عودة الابن الضال' كتب جاهين سيناريو فيلم مهم آخر هو 'شفيقة ومتولي' الذي أخرجه علي بدرخان عام ١٩٧٨ الذي لعبت بطولته سعاد حسني مع احمد زكي ومحمود عبد العزيز، وكتب له جاهين أغنيته الشهيرة 'بانو علي أصلكو بانو'، وبالإضافة لذلك شارك جاهين بصوته في الفيلم كراو لبعض الأبيات الشعرية التي تعلق على الأحداث.

لم يكرر جاهين تجربته في التمثيل منذ دوره في 'الممالك' ولكنه يبدو انه كان يعشق فن التمثيل والممثلين بشكل خاص، ولعل ذلك سر تبنيه لعدد من الممثلين الموهوبين واعتبارهم كأبنائه تماما. على رأس هؤلاء طبعاً سعاد حسني التي كان يحتفظ بصورة كبيرة لها من فيلم 'شفيقة ومتولي' في غرفة نومه، وهناك الكثير من الحكايات التي تبين عمق علاقة الحب المتبادل بينهما، الشيء نفسه ينطبق على احمد زكي الذي اكتشف جاهين موهبته منذ أن كان زكي طالبا في معهد الفنون المسرحية، حيث بدأت العلاقة بينهما عندما حصل زكي علي دور قصير في اوبريت 'القاهرة في ألف عام' الذي كتبه جاهين..

وكتب جاهين لسعاد فيلما آخر هو 'المتوحشة' (سمير سيف ١٩٧٩ يعد من أفضل أفلامها أيضا، كما كتب لسعاد واحمد زكي معا حلقات مسلسل 'هو وهي' الذي يعد واحدا من انجح المسلسلات التي قدمها التلفزيون المصري علي الاطلاق، وكالعادة تحولت بعض أغاني هذا المسلسل الي أعمال شعبية خالدة مثل 'الشوكولاتة ساحت' و'البنات أجمل الكائنات' و'خالي البيه' وغيرها. كذلك تبنى جاهين ممثلا موهوبا آخر هو شريف منير وكان له فضل نجاحه ودخوله مجال التمثيل.. كما تبنى موهبة علي الحجار ورعاه ودفعه في غناء ربايعياته التي لحنها سيد مكاوي.. إضافة الي الفوازير الرمضانية التي كتبها والتي قدمها بتميز مع فهمي عبد الحميد. الحقيقة أبداع صلاح اجاهين في السينما والغناء بشكل يدفعنا الي القول: 'ما أحوجنا إلى مبدع مثله الآن!'

## صلاح جاهين نجح في تحميل العامية معاني فلسفية

القاهرة - الراية - خالد بيومي: الوحدة راية ونجمتها صبايا علشان عيونهم ياما راحوا ضحايا شجعان زمان فرسان حروب الوحدة من دمهم نبتت وصبحت راية وكم شهيد وسط الميدان وجريح هتف وقال بكل عربي فصيح مجد العرب في الوحدة عندما تقرأ هذه السطور لا بد ان تعرف انها للشاعر صلاح جاهين الذي غني للوحدة العربية حتى تحقق الحلم وقد تحدث بلسان الزعيم جمال عبدالناصر وهو يخاطب العالم من شرفة قصر الضيافة وقد استولت عليه النشوة في الرابعة السابقة تذكر هذا كله بعد أن أقام المجلس الاعلي للثقافة احتفالية بمناسبة مرور ستة وسبعين عاماً علي ميلاد صلاح جاهين وقد تحدث في بداية الاحتفالية الشاعر أحمد عبد المعطي حجازي الذي قال عندما منحني بصلاح جاهين نري أنفسنا وقد تألقت وترينت واستعادت شجاعتها وفرحها بالحياة وثقتها بالمستقبل صلاح جاهين الذي نقرأه فنخرج من جلودنا الميتة وتصبح لنا أجنحة نظير بها وقلوب نحس بها . والسؤال الذي أود ان أطرحه منذ البداية هو سؤال اللغة فقد اعتدنا ان ننسب صلاح جاهين للعامية ونعتبره شاعراً من شعرائها او زعيماً لهم ولاشك ان العامية المصرية هي اللغة أو اللهجة التي نظم بها صلاح جاهين أشعاره لكننا نبتعد كثيراً عن شعر صلاح ولا نقدره حق قدره إذا حصرناه في إطار اللهجة التي نظم بها قصائده بل نحن نبتعد عن شعره وشعر غيره من شعراء جيله اذا عزلنا شعر العامية عن شعر الفصحى ورجعنا في فهمه وتقديره الي اللهجة التي كتب بها وحدها لاننا في هذه الحالة سنهمل المثل والقيم التي جمعت بين شعراء الجيل ممن كتبوا بالعامية والفصحى ومكنتهم من لغة شعرية تكاد تكون مشتركة ونحن نعرف ان صلاح جاهين نظم محاولاته الاولى بالفصحى وفي القالب العروض الموروث الذي كان لا يزال

سائداً منتحاً حتى أواخر الاربعينيات لكن الحركة الوطنية التي أصبح فيها للعمال صوت وجماعات الاشتراكية تأثير ونفوذ لفته الي شعر العامية المصرية، شعر بيرم التونسي وفؤاد حداد الذي تعرف عليه صلاح شخصياً وتأثر به وقرأ شعراء المقاومة الفرنسية في الوقت الذي كان يقرأ فيه المعلقات وشعر العامية اللبنانية وقصائد انشراقوي والبياتي ولويس عوض ولغة صلاح جاهين هي ثمرة هذا المناخ الذي مكنه من لغة لا تلتزم حدود العامية ولا تلتزم حدود الفصحى وإنما هي لغة عامية فصحي في ذات الوقت لغة شعرية للغناء بالتحديد والغناء الذي أتحدث عنه هو الذي تنطق به أفئدتنا وتحتز له حواسنا وان لم نرفع به أصواتنا لغة صلاح جاهين الشعرية لا يشخصها معجمها او نحوها فحسب بل يشخصها ايضاً عالمها الفكري والعاطفي، أحلامها وهمومها، الشقاء الانساني والامل الانساني، التقدم، الحرية، السلام، الحب العائلي والاخوة البشرية يشخصها هذا الافق الذي كان يتحرك فيه صلاح جاهين فيجد إيلوار ولوركا وناظم حكمت وبيرم التونسي وفؤاد حداد وتبدرالرحمن الشراقوي وكمال عبدالحليم وعبدالوهاب البياتي ومعين بسيسو صلاح جاهين ليس بمجرد شاعر عامية والعامية وحدها لا تعرفنا به وإنما الشعر هو الذي يعرفنا به انه شاعر. ثم قدم الناقد فاروق عبدالقادر بحثاً بعنوان صلاح جاهين مغني سنوات الزهو والانتصار قال فيه : ان رحيل صلاح جاهين قد مس نبضاً حياً في قلب كل مصري ومن المؤكد ان رحيله ليس حدثاً عابراً لفنان عاش وكتب ورسم وصنع أفلاماً ثم مات ومن المؤكد ان غياب صلاح جاهين انما هو غياب مرحلة كاملة حين كان القلب الاخضر والآمال الممتدة الي أفق فسيح لا حد لانقسامه حين كان القائد علي رأس شعبه يمتشق سيفه ويخوض المعارك ويعود مكمل المهامة بالانتصار حين خرجت جماهير المصريين لتصدي للعدوان وتخرج : ح نحارب والله زمان يا سلاحي، حين كانت سواعد المصريين والسوفيت جنباً الي جنب وكتفاً الي كتف تقييم السد العالي وترفع قواعده حين بدت الاشتراكية حلماً

اقترب بتحقيقه حين رفرفت راية الوحدة للمرة الاولى في تاريخ العرب الحديث عرب الشمال والجنوب تجمعهم في حي - دقة قلوبهم غنا ونظرة عيونهم مني ومهما تعددت وجوه صلاح جاهين وتنوع عطاؤه يقي وجهه الحقيقي هو الممثل المؤدي دائم الولع بالاقنعة ولعب الادوار والذي يحفظ له مكانه في قلب تاريخ مصر الحديث انه كان مغني سنوات الصعود والزهو والانتصار وجاهين رمز وشارة لمرحلة بأكملها تفاوتت المواقف بعد رحيله وانصرفت عنه لتلك المرحلة ثمة من يصفي حساباته القديمة معه، وثمة من يسقط عليه اخطاءها، وثمة من يرثي نفسه حين يرثيه وما اسرع ما لبست كلمات الباطل اثواب الحق .. ثم قدم الشاعر حسن طلب بحثاً بعنوان جماليات صلاح جاهين فقال.. ان ارتباط الشعر بالفلسفة جديد علي شعر العامية ونادرة في شعر القصص في تراثنا كله.. وقال عنه طه حسين... انه ثاني شاعر فيلسوف في تراثنا العربي وهي كلمة فيها تعميم واختزال لان الشعر العربي استطاع الاقتراب من الاسئلة الوجودية والحياة الاخرى ولغز الموت والمصير وهي قضايا لا يستطيع اي شاعر الاقتراب منها الا اذا كان واقفاً علي ارض الفلسفة وفي الشعر الجاهلي كانت اللحظة الفلسفية هي اللحظة الملهمة ويتجلي ذلك في المقدمة الطليقة حيث وقف الشعراء علي الاطلاق يسألون ويكون ويستبكون حتي ابراهيم ناجي في العصر الحديث .. وصلاح جاهين يقف علي ظل الوجود في مواجهة الزمن ويثير اسئلة لا اجابة لها ويجعل تجربة السؤال الفلسفي هي التجربة الام وتشكل الملمح العام لهذه التجربة. وكنا نظن ان العامية لا تستطيع ان تنهض بعبء هذا التفلسف ويمكن الاشارة في هذا الصدد الي عامية شوقي في اغانيه والمستوي الفلسفي البعيد والمركب حيث يتعامل مع مجردات وتجارب لم تنهض بها الا القصص ... وتطويع اللغة العامية لكي تنهض بهذا العبء هو انجاز صلاح جاهين وفن الرباعيات هو الفن المناسب للتعبير عن هذه اللحظة والرباعيات لم تكن معروفة في ذلك الوقت باستثناء مثنويات جلال الدين الرومي وهو

فن جديد مثل الموشحات، وهو من اقدم الفنون للتعبير عن التجارب المركبة لدي المتصوفة بالذات مثل ابن الفارض الذي كتب بعض الرباعيات فيها درجة تكثيف عالية وتنقي الشعر من الحشو والتداعيات والاسترسال واصبح صالحاً للتعبير عن التجارب الفلسفية الصعبة والتي اختارها جاهين قلباً في رباعياته واتخذ بحر الرجز في البداية والذي تطور الي البحر السريع... وتأتي كلمة عجي للتعليق علي كل رباعية ولم تشعر بملل وبجد انفسنا نردها وهي موجودة بوصفها لحظة معرفية فهي سؤال لم يجد له جواباً وقيمتها في فلسفة السؤال وقدرته علي ايظاها وموقف العجيب يذكرنا بموقف الدهشة عند فلاسفة اليونان فالفلسفة عندهم بنت الدهشة وقديماً قال د. عبد الخزاي : اذا كنت تعجب فيما تري.. فما ستري بعده اعجب وقدم الدكتور زين نصار بحثاً بعنوان غنائيات صلاح جاهين فقال: لم أجد اجماعاً علي حب شخص مثلما حدث مع صلاح جاهين الذي كان يغني الكلمات التي يكتبها ويؤلفها وبالرغم من سلاستها فقد كانت تحمل صورة وهناك ارتباط بين موهته في الرسم وشعرته.. لقد جاءت كلمات صلاح جاهين معرة في كثير من الاحيان عن الاحداث الجارية في بلاده ففي عام ١٩٦١ غنت ام كلثوم من كلماته والحن رياض السنباطي للحن الوطني ثوار والذي يقول مطلع كلماته ثوار ... والآخر مدي ثوار . وغني عبدالحليم حافظ العديد من الاغاني الوطنية من كلمات صلاح جاهين، الحان كمال الطويل مثل اغنية احنا الشعب يوليو ١٩٥٦ بمناسبة اختيار الشعب المصري المصري جمال عبدالناصر رئيساً للجمهورية وكذلك اغنيات بالاحضان، المسئولية، يا اهلاً بالمعارك، ناصر ياحرية والصورة الموسيقية الغنائية الرائعة صورة .. كما غنت الفنانة سعاد حسني اغنيات ياواد ياتقيل و الدنيا ربيع بالاضافة الي اغنيات مسلسل هو وهي الذي قامت ببطولته مع احمد زكي وغنت فائزة احمد من كلماته اغنية الام من الحان محمد عبدالوهاب . ثم قدم صلاح جاهين والملحن سيد مكاوي ثنائياً رائعاً حيث قدم العديد من الاعمال الناجحة

والتي اشهرها الليلة الكبيرة .. وقدم الشاعر مسعود شومان بحثاً بعنوان صلاح جاهين.. واستلام التراث الشعبي قال فيه ان القاريء لاشعار جاهين ستأخذ البساطة الاسرة ويدرك معرفته العميقة بالمفردات النوعية لفلاحي مصر . بما يعكس خبرة واسعة لهذا العالم كأنه ولد لاب فلاح، كما سيلمح القاريء انتشاراً في بعض المفردات المتعلقة بالعادات والتقاليد والمعتقدات الشعبية فضلاً عن عناصر الانطولوجيا الشعبية. ويراوح جاهين بين استلهامه لبعض ايقاعات وتراكيب بعض الاغاني الشعبية مرة بشكل ضمني واخري عبر تضيفه لها في نصه.. وثالثة كمصدر بعيد يتعلق بالنص الاصيلي في صورة مفردات

من رباعيات صلاح جاهين  
 سهير ليالي وياما لفيت و طفت  
 وف ليه راجع في الضلام قمت شفت  
 الخوف ... كأنه كلب سد الطريق  
 وكنت عاوز أقتله .. بس خفت  
 عجبني !!

---

كان فيه زمان سحليه طول فرسخين  
 كهفين عيونها وخشمها بربخين  
 ماتت لكن الرعب لم عمره مات  
 مع إنه فات بدن التاريخ تاريخين  
 عجبني !!

---

عجبتني كلمة من كلام الورق  
 النور شرق من بين حروفها و برق  
 حبيت أشيلها ف قلبي .. قالت حرام  
 ده أنا كل قلب دخلت فيه اتحرق  
 عجبني !!!

---

رقبه قزازه و قلبي فيها انحسر  
 شربت كاس و اتنين و خامس عشر  
 صاحبت ناس م الخمرة ترجع وحوش  
 وصاحبت ناس م الخمرة ترجع بشر  
 عجبني !!!!

---

ليه يا حبيبتى ما بيننا دايماسفر  
 ده البعد ذنب كبير لا يغتفر  
 ليه يا حبيبتى ما بيننا دايمابحور  
 أعدي بحر ألقى غيره اتحفر  
 عجبى!!!!

---

ورا كل شباك ألف عين مفتوحين  
 و انا وانتى ماشيين يا غرامى الحزين  
 لو التصقنا نموت بضربة حجر  
 ولو افترقنا نموت متحسرين  
 عجبى!!!

---

## الساخر الكبير (صلاح جاهين)

### بقلم: سامي كمال الدين\*

مثل قطعة من وطن.. أو قطعة من حب.. أو قطعة من زهر.. أو مثل ابتسامة خرجت ولم تعد الشفاه مزومة مرة أخرى يأتي صلاح جاهين..

ذلك الوجه الذي مهما حاولت الريشة أن ترسمه فإنها تنتقص من حقه، فكتابات ورسومات صلاح جاهين مثل قصيدته "القاهرة في ألف عام".. حياة كاملة لهذا البلد ترسم أنها وضحاكاتها.. ثورتها وتحريرها ثم انكسارها.

عاش صلاح جاهين مثلما عاشت مصر.. كانا معاً مترافقين لحظة بلحظة وليلة بليلة ودمعة بدمعة، أحبها وهي في عز عنفوانها مقتدياً بجده الصحفي الكبير أحمد حلمي الذي لم يتبق منه سوى ميدان وشارع في حي شبرا وأغنية شعبية رغم أن أحمد حلمي ترأس تحرير جريدة النواء، وكان الصديق المقرب للزعيم مصطفى كامل ومحمد فريد، وكانت في بيت صلاح جاهين صورة كبيرة له بتوقيعه وعليها إهداء لجده أحمد حلمي وقد عاشت ثورة ١٩١٩ في أعماق صلاح جاهين رغم أنه من مواليد ١٩٣٠ لكن اسطوانات سيد درويش والتاريخ الذي كان يسكن بيتهم جعلوه مفتوناً بثورة ١٩١٩

كانت طفولة صلاح جاهين تحمل شقاوة وحنية لا مثيل لها -حسب وصف شقيقته بهيجة- التي تقول: كان يكره العدوانية ولا يميل إلى الصخب وكان جريئاً لدرجة أن هناك صديقاً للعائلة اسمه الدكتور محمد العناني جاء إلي بيتنا مرة وكان صلاح في الثالثة من عمره فوقف علي كرسي وقال كاني ماني ودكان الزلباني.. والدكتور العناني..

وبهيجة كانت تخطف اللعب من صلاح وتضربه، فتحاول أمهما أن تضربها فيقول لها صلاح: ما تضربيهاش.. هي لسه صغيرة.. وكانت تصغره بعامين.

وجد صلاح أمامه مكتبة ضخمة تركها جده أحمد حلمي فقرأ فيها المتنبي والجبيري ومدرسة أبو اللؤلؤ وشوقي، ولعل هذا هو سر اتجاهه للفصحى أما سر اتجاهه للعامية فيقول صلاح جاهين في حوار تليفزيوني مع الشاعر (فاروق شوشة) لم يذع ولم ينشر ولدينا نسخة منه أنا الحقيقة كنت في حالي وبعدين لقيت جريدة مكتوب فيها جنة صغيرة علي عامود في آخر الصفحة بإمضاء (فؤاد حداد) ولما قرأتها لقيتها مكتوبة بالعامية ومكتوبة بألفاظ عادية يعني كده من حديث كل يوم لكن مشحونة بمشاعر كبيرة جداً من وجهة نظر رقيقة وفي نفس الوقت معرفش مشحونة بإيه يعني، فأنا أعجبتني النغمة دي جداً ومن وقتها قررت أني مش ح اكتب إلا باللهجة دي.

ورغم أن كل إبداعات صلاح جاهين تستحق التأمل والتوقف سواء دواوينه (كلمة سلام) ١٩٥٥ والذي كتب له كمال عبد الحليم مقدمة رائعة، وموال (عشان القناة) ١٩٦٥ وعن (القمر والطين) ١٩٦١ و(قصايق ورق) عام ١٩٦٦ و(أنغام سبتمبرية) ١٩٨٤.. أو رباعياته الفلسفية الشعرية الرائعة التي كتبها أول مرة في شارع قصر العيني وهو ذاهب إلي مجلة صباح الخير - حسب رواية ابنه الشاعر بهاء جاهين - وترددت في خاطره كلمات تقول:

مع أن الناس من أصل وطين  
وكلهم نازلين مغمضين  
الدقائق والشهور والسنين  
تلاقي ناس أشرار وناس طيبين  
عجبي

ووصل المجلة فالتقي برئيس تحريرها (أحمد بماء الدين) وأسمعه رباعيته ليأخذ رأيه فطلب منه أحمد بماء أن يكتب رباعية كل أسبوع لتنتشر في صباح الخير، ولما طلب منه هيكل أن ينتقل إلى الأهرام رسام كاريكاتير عام ١٩٦٢ توقف عن كتابة الرباعيات حتى عاد عام ١٩٦٦ رئيساً لتحرير مجلة صباح الخير فأكمل الرباعيات وبعد حرب ١٩٦٧ عاد مرة أخرى إلى الأهرام.

من إبداعاته أوبريت الليلة الكبيرة والقاهرة في ألف عام الذي لم يحقق النجاح المتوقع.. وكتب خللي بالك من زوزو، ليستمر في دور العرض عامين ونصف العام ثم أميرة حيي أنا ثم المتوحشة الذي سقط ولم يحقق نجاحاً ثم شفيقة ومتولي.. أقول رغم آلاف الإبداعات لصلاح جاهين فإننا نحاول هنا أن نركز على سخرياته فهو واحد من أعظم الساخرين.. ودوره في السخرية مثل دوره المتميز في الشعر الذي قال عنه (سيد حميس): لقد أنزل صلاح جاهين الشعر الحقيقي من سماء التفاسيح (التعقيد اللغوي والمعنوي) مسترداً للناس بعض شعرهم الحقيقي المسروق والمستكر المبعد عن ديوان الشعر الرسمي لأحقاب تاريخية طويلة.. كما نفخ عن الشعر الحقيقي تراب الواقع وغلظته وتشوّهه، ليعيد للصورة الشعرية الواقعية جمالياتها المنسية.. وصلاح منذ بداياته امتلك ناحية الشعر وأوصله لدرجة أكثر من البساطة تأمل قوله في أول دواوينه كلمة سلام:

أربع إيدين علي الفطار  
أربع شفايف يشربوا الشاي باللبن  
ويوسوا بعض ويحضنوا نور النهار  
بين صدرها وصدره وبين البسمتين  
ويحضنوا الحب، اللي جمعهم سوا علي الفطار  
ويحضنوا الشمس اللي بتهز الستار  
وتخش من بين الخيوط وبعضها مع الهوا

سأله (زكريا الحجاوي) ذات يوم عن سر اتجاهه إلي الشعر فقال صلاح: لأنني أريد أن أقول تيرلم تيرلم.. تيرلم.. وبالفعل قال صلاح تيرلم تيرلم، وقال أيضاً (بان عليه حبه) لنجاة.. و(ياما قلبي قاللي لأ) لفائزة أحمد و(أنا هنا يا ابن الخلال) لصباح وغيرهن.

ومن حقه أن يقول تيريلم فهو الولد الوحيد علي ثلاث بنات، ووالدته كانت تهتم به وعلمته القراءة والكتابة والحساب أيضاً.. بل يروي ابنه بماء عنه كان يروي لي.. كيف كانت تحمله وتقف به في الشباك وتقول له: شايف السما زرقا إزاي يا صلاح؟ شايف السحاب أبيض إزاي؟ وأرضته أمه أيضاً فيما أرضته الوطنية.. كانت أمه ممن خرجن في ثورة ١٩١٩ وزارت بيت الأمة أملاً في رؤية سعد زغلول بعد عودته من المنفي فلم تجد إلا سترة له معلقة علي مشجب فاحتضنتها في وجد وتقديس.

يضيف بماء: إن الله يسرّ الوالد (صلاح جاهين) لما خلق له، فشاء أن يلف مصر من أعلاها إلي أدناها لكي يتشربها وجدانه كلها بصعيدها ودلتاها، وهو بعد صغير فقد كان والده شأنه شأن الموظفين العموميين في تلك الفترة ينتقل كل عامين أو يزيد أو يقل، من بلدة لأخرى، ومن محافظة لأخرى، كان أبوه وكيلاً للنيابة لكنه كان وكيلاً من نوع عجيب في جلسات المحكمة، وفي انتظار مرافعته كان يرسم القضاة والمتهم والمحامي والشهود، وكانت زوجته تصنع تماثيل من الطين وتحرقها في فرن المنزل، وقد عملت قبل زواجها مدرسة للغة الإنجليزية في مدرسة السنية وفي الفترة القصيرة التي عملت فيها، كانت تكتب كل عام مسرحية لحفلة المدرسة وتخرجها وتصنع لها الملابس.. وقد نخلد (صلاح جاهين) حبّها في قصيدة كتبها في أحد أعياد ميلاده في ٢٥ ديسمبر عام ١٩٦٠ بعنوان ميلاد قال فيها:

بعد ولادتي في الزمن ثلاثين سنة  
صبحت تاريخ زي السيوف والسقائين،

## زي الشراكسة والشموع والسلطنة زي الخيول.. ضاعت سنين في السنين.

ولكن للفنان حسين بيكار قصة مع والد صلاح جاهين حين كان والد صلاح يرغب في أن يدرس ابنه الحقوق لكن صلاح كان يري نفسه في الفنون الجميلة.

يقول بيكار: جلست في مكنتي أستمع من بعيد إلي أصدقاء الصخب المنبعث من مرسوم قسم التصوير الذي كنت رأسه، وقد اختلطت أصوات الطلبة والطالبات محدثة خليطاً من الضجيج يتنافى مع جلال المكان الذي ينبغي أن يحاط بغلالة من الصمت الوقور الشبيه بمحاريب العبادة والصلاة..

وفجأة وأنا أحاول إبعاد هذا الضجيج من وجودي، إذا بطالب قصير القامة يقترب مني بحذر شديد ويقول: اسمي صلاح جاهين سنة أولي تصوير وجات أستشيرك في مشكلة تقلقني لدرجة أفقدتني توازي.. فأنا أحب والدي لدرجة التقديس، وكانت أميته أن أسلك نفس الطريق الذي سلكه، فألحقني بكلية الحقوق التي قضيت فيها عامين مرغماً لأن اهتمامي كله كان منصرفاً إلي الفن.. فقررت أن أنسلخ من كلية الحقوق وألتحق بكلية الفنون الجميلة، الأمر الذي كان يرفضه أبي تماماً.. ولهذا تجديني في غاية الحرج لا أريد أن أحبط والدي، كما لا أريد أن أكبت مشاعري الصادقة التي تتصاعد يوماً بعد يوم لدرجة الهوس!!

بهرتني شجاعة هذا الطالب وتشبته بمدفه النبيل، فقلت له: هل في إمكانك أن تجدد لي موعداً ألتقي فيه مع والدك؟

وفي اليوم التالي جاء صلاح بصحبة والده، الذي جلس فوق مقعده كأنه أحد تماثيل كهنة آمون.. بادرته بقولي: أرحب بك كوالد لواحد من أكفأ الطلبة الذين أتبأ له بمستقبل يشرفك ويشرف مصر، والفن يا سيدي المستشار ليس مهنة يتبرأ منها

الإنسان، فهناك من عمالقة التاريخ من يتربعون فوق قمة المجد والشهرة أمثال مايكل أنجلو ورمبرانت في الخارج وأمثال محمود مختار ومحمود سعيد في مصر، بينما لا نري في المهن الأخرى مهما تعاظمت من يحتل هذه المكانة في قلب ووجدان الجماهير.. إن مكان صلاح جاهين في الفن، ولا شيء غير الفن.

ارتسمت سمات الامتعاض علي ملامح الوجه المتجهم، ورحل الرجل دون أن يطلعني علي قراره الأخير!!

في اليوم التالي توجهت كعادتي إلي الرسم، بحثت عن صلاح بين زملائه فلم أعثر له علي أثر.. وفي اليوم اللاحق أيضاً كان المرسم خالياً منه، وتوالت الأيام دون أن أرى صلاح منهمكاً في رسم النماذج التي كان يقبل عليها بنهم شديد.. وعلمت من زملائه أنه عاد إلي كلية الحقوق إرضاءً لوالده.. ولكنه لم يلبث فيها إلا بعض الوقت حتى انسلك منها أيضاً وانقاد إلي قدره الذي حدده له التاريخ!!

وتألق نجم صلاح جاهين في جميع الميادين، في الشعر، في رسم الكاريكاتير، في التأليف الغنائي والمسرحي وغني ومثل قال جاهين لأبيه بعد ذلك إنه سيفخر بابنه، وبالفعل حدث هذا ومع أكبر رأس في البلد، مع الرئيس (جمال عبد الناصر) نفسه، فقد عين والد صلاح رئيساً لمحكمة الاستئناف العليا، وذهب ليودي اليمين الدستورية أمام عبد الناصر فهمس وزير العدل في أذن الرئيس عبد الناصر بعد ذلك بأن هذا والد صلاح جاهين فابتسم عبد الناصر وعاد ليسلم عليه مرة أخرى بكلتا يديه باهتمام أكبر من الأول.. ولما عاد والد صلاح إلي البيت قال لصلاح وهو سعيد: معقولة وصلت المسألة لأن أعرف بك.

جاءت بوادر السخرية مبكراً عند صلاح جاهين إذ يروي صديقه (هبة عنایت) إنه اكتشف-وهما طلبة في فصل دراسة واحد بمدرسة أسبوط الثانوية- فيه شاعر

فصحى يلتزم القافية والوزن وقال صلاح أحياناً من الشعر الفكاهي تلاها عليّ وكتبها في حينه، ومنها:

جاءت سنية للدكان باسمه.. عريانة الرأس كي تبتاع منديلاً،  
زغزغتها فاستبوخت عملي.. قلت ماذا؟.. قالت بس جاك نيلاً.

كان صلاح من الذين لا يعرفون الكثير عن العبقرية والإلهام في العمل الفني، ولكنه كان من الذين يعرفون أكثر عن العمل الشاق في الإبداع، كما كان الكاتب الروسي الفذ أنطون تشيخوف يقول عن نفسه، ولثقافته المتنوعة وتذوقه للفن الرفيع في الموسيقى والرسم والمسرح، ولفرط تهميزه وحججه، وعرف صلاح أنني وسيد منضمنا لأحد التنظيمات اليسارية السرية التي تقف علي يسار التنظيم اليساري الذي يتعاطف مع توجهاته، وبدلاً من أن ينفر منا وهو النجم الساطع في سماء الصحافة والفن ونحن لا نزال في بدايات الطريق، احتضنا عمودته وعاطفته الرحبية، وكان نقدنا لبعض رسوماته أو شعره أو مواقفه والذي لا يخلو من حماقة التطرف يزيد من حنوه علينا ومناقشتنا وتشجيعنا، واحترام رأينا في إنتاجه الفني الذي كان دائم الوسوسة بشأنه، كان يعرض علينا تجاربه الفنية في بداياتها فإذا اكتملت عرضها علي الكاتب الكبير أحمد بهاء الدين الذي كان صلاح يعتبره ضميره الثقافي والسياسي (سمي ابنه البكر الشاعر بهاء جاهين علي اسمه) بعد صدور الميثاق الوطني.

رأي صلاح أن نعد ورقة عن المفهوم الاشتراكي للأدب والفن، وفتح الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل في الأمر، فرحب بالفكرة وأجهدنا أنفسنا في صياغة الورقة المطلوبة (سيد حجاب وصلاح وأنا) وذهب صلاح بالورقة بناء علي توجيهات هيكل، إلي السيد حسين الشافعي عضو مجلس قيادة الثورة والمسئول عن الاتحاد الاشتراكي.

وتتجلى قمة السخرية عند صلاح جاهين في رسومه الكاريكاتورية وقد تناول قضايا في السبعينيات والثمانينيات مازالت تعيش بيننا حتى الآن.. ولو نشرت هذه الرسومات اليوم لما أحسست بفرق الزمن فيها فمثلاً كاريكاتير فيه مراقب وطالب في لجنة امتحان، والطالب يسأل المدرس:

- يا بيه يا بيه يا بيه.

- عايز إيه.

- ميدو بالألف والا بالهنيه؟

- ليه؟

- عايز أكتب اسمي علي ورقة الإجابة!

وستدهش حين تجد كاريكاتيراً عن المياه الملوثة عبارة عن رجل يضبط لَباناً بملاً فنطاس اللبن من طلمية مياه حبشية ثم يقول:

بس إذا ما أخلطش اللبن بمية البندر أبدأ..

أحسن يتلوث ويحمض!

وهناك كاريكاتيرات عديدة يعبر عن دخول خطوط التليفونات في بعضها وهي مشكلة لا زلنا نعاني منها ومنها واحد يقول لواحد:

- افكرت قابلتك فين..

في مكالمة تليفونية، والخطوط سايحة علي بعض!.

وهكذا ظل صلاح جاهين حتى رحيله في ٢٥ ديسمبر ١٩٨٦ شرساً في معاركه طيباً وبسيطاً في حياته.. وقد وقف كثيراً بجوار سعاد حسني وساندها في تحطيم جميع أزماتها وكانت تعتبره أباً الروحي وتأخذ رأيه في كل شيء يخص حياتها سواء علي المستوي الشخصي أو الفني.. وقد زارته سعاد في موسكو عام ١٩٧٢ حين كان يعالج

في مصحة نفسية بسبب الاكتئاب وبقي فيها ٥ أشهر.. وقد أصيب صلاح بالاكتئاب مرتين، الأولى بعد نكسة ١٩٦٧ وكان قد هوجم بشراسة من النقاد بعد أن كتب خلقي بالك من زوزو، والدنيا ربيع، والحياة بقي لوغها بمجي.

وفي آخر حياته عاودته نوبة الاكتئاب مرة أخرى.. ولم يستطع الفكك منها.. وراح يتذكر حياته كلها في شريط يمر أمامه ومنها الثورة وعبد الناصر الذي شطب اسمه من قائمة الاعتقالات خمس مرات مهما فسّر له من حوله، ثم علاقته بإخوته وزوجتيه الاثنتين وابنه بماء.. ثم سعاد حسني وكل شيء.. كل شيء مر بحياته .. ترك كلماته لبهاء:

أوصيك يا ابني بالقمر والزهور  
أوصيك بليل القاهرة المسحور  
وإن جيت في بالك اشتري عقد فل  
لأبي سمرا.. وقبري إوعك تزور..

عجبي

خرج ابن آدم م العدم قلت: ياه  
رجع ابن آدم للعدم قلت ياه  
تراب بيحيا.. وحي بيصير تراب  
الأصل هو الموت ولا الحياة؟

عجبي

\* \* \*

\*صحيفة الكرامة القاهرية.\*

## من رباعيات صلاح جاهين

نوح راح لحاله و الطوفان استمر  
مركبنا تايهه لسه مش لاقيه بر  
آه م الطوفان وآهين يا بر الأمان  
إزاي تبان و الدنيا غرقانه شر  
عجبي !!

---

علي رجلي دم .. نظرت له ما احتملت  
علي إيدي دم.. سألت ليه ؟ لم وصلت  
علي كتفي دم.. و حتي علي رأسي دم  
أنا كلي دم .. قتلت ؟ ..... والا انتقتلت  
عجبي !!

---

انا كل يوم أسمع ..... فلان عذبه  
أسرح في بغداد و الجزائر واتوه  
ما أعجبتش م اللي يطيق بجسمه العذاب  
و اعجب من اللي يطيق يعذب أخوه  
عجبي !!!

---

ينبوع وفي الحواديث أنا سمعت عنه  
إنه عجيب .. وف وسط لهاليب لكنه  
شقيت كما الفرسان طريقي .. لقيت  
حتى الخنازير والكلاب شربوا منه  
عجبي !!!

---

يا قرص شمس ما لهش قبة سما  
يا ورد من غير أرض شب و نما  
يا أي معني جميل سمعنا عليه  
الخلق ليه عايشين حياه مؤلمة  
عجبي !!!

---

شاف الطبيب جرحي وصف له الأمل  
وعطاني منه مقام يا دوب ما اندمل  
مجروح جديد يا طبيب و جرحي لهيب  
ودواك فرغ مني .... وإيه العمل  
عجبي !!!

---

أعرف عيون هي الجمال و الحسن  
و اعرف عيون تاخذ القلوب بالحضن  
و عيون مخيفة و قاسية و عيون كثير  
وباحس فيهم كلهم بالحزن  
عجبي !!

---

إيش تطلبي يا نفس فوق كل ده  
 حظك بيضحك و انتي متنكده  
 ردت قالت لي النفس : قول للبشر  
 ما يبصوليش بعيون حزينه كده  
 عجبي !!

---

إقلع غماك يا تور وارفض تلف  
 إكسر تروس الساقية و اشتم وتف  
 قال : بس خطوة كمان .. وخطوة كمان  
 يا اوصل نهاية السكة يا البير تجف  
 عجبي !!!

---

## صلاح جاهين .. الإنسان والفنان!!

### السيرة الذاتية

أنا اللي بالأمر المحال اغتوى  
مُفتت القمر نطيت في الهوا  
ظلته ماظلتوش إيه أنا يهمنى  
وليه مادام بالنشوة قلبى ارتوى  
وعجبنى !

ترى من هذا الذى اغتوى بالمحال ؟

إنه.. محمد صلاح الدين/ مجت حلمي/ أحمد حلمي/ حسن المهدي/ على /  
عامر المهدي/ السيد الشريف/ صقر/ جاهين. الشهير بـ "صلاح جاهين."

اغتوى بالمحال.. عشق الصعب، وطوع المستحيل... افترش خياله بساطاً نسجه  
من خيوط أفكاره وألوان أحاسيسه، وحلق به فوق المدن والقرى... دخل كل بيت  
وكل قلب، أبت نفسه التكلف، فخلق دنياه بسيطة .. رقيقة .. تشع منها أنوار  
الطفولة، وتملاً أرجائها ملامح البسطاء.

البسطاء .. تلك الكلمة السحرية التي أخرجت جنى الشعر ومارد الرسم، وهي  
نفسها التي استمد منها القوة في ضعفه، والهجة في حزنه .

استطاع صلاح جاهين ببساطته وتلقائته التعبير عن كل ما يشغل البسطاء  
بأسلوب سهل فهمه واستيعابه، وهو ما جعله فارساً يخلق برسومه وكلماته ويظوف  
بها بين مختلف طبقات الشعب المصرى، بل كانت جواز سفره لمختلف البلدان العربية  
التي رددت كلماته حَفراً للعمل والانجاز.

رغم الشهرة الواسعة التي حظى بها صلاح جاهين ورغم إجادته الحديث عن مختلف الموضوعات — كما يقول عنه المقربون منه — لم يُجد الحديث عن نفسه؛ فأوكل المهمة لأشعاره لتعبّر عن مكونات نفسه.

ولد صلاح جاهين في ٢٥/١٢/١٩٣٠ م بحى بشيرا في شارع جميل باشا.

وصلاح جاهين هو الأكبر بين إخوته.

والده المستشار بمجت حلمى الذى تدرج فى السلك القضائى بدءاً من وكيل نيابة حتى عُين رئيساً لمحكمة استئناف المنصورة.

كانت ولادة صلاح جاهين متعثرة تعرضت أثناءها والدته للخطر، فوُلد شديد الزرقة دون صرخة حتى ظن المحيطون أن الطفل قد ولد ميتاً، ولكن جاءت صرخة الطفل منبهة بولادة طفل ليس ككل الأطفال .

وكانت لهذه الولادة المتعثرة تأثيرها، فمن المعروف أن الولادة المتعثرة تترك آثارها على الطفل فتلازمه طول حياته وقد تسبب في عدم استقرار الحالة المزاجية أو الحدة في التعبير عن المشاعر - سواء كانت فرحاً أو حزناً، وهو ما لوحظ في صلاح جاهين الذى يفرح كالأطفال ويحزن لدرجة الاكتئاب عند المصائب

## مصر تحتفل بمرور ٧٦ عاما على ميلاد صلاح جاهين

القاهرة: أيمن القاضي

احتفل المجلس الأعلى للثقافة المصرية بالشاعر الراحل صلاح جاهين، وجاءت الاحتفالية بمثابة مرثية جديدة لجاهين، الذي سكن وجدان الناس بالأغنية والشعر والكاريكاتور، وبمناسبة ذكرى ميلاده السادسة والسبعين.

«لم يكن جاهين شاعر عامية فحسب، بل كان شاعرا من شعراء الفصحى الكبار». بهذا الرأي استهل الدكتور جابر عصفور، الأمين العام للمجلس، كلمته في الاحتفالية، واتفق معه الشاعر أحمد عبد المعطي حجازي، مقرر لجنة الشعر، فيما كشف الحضور الكبير من المثقفين والشعراء والكتاب، عن الدور الذي لعبه صلاح جاهين في الساحة الثقافية المصرية، وحضوره القوي، رغم رحيله منذ نحو عشرين عاما.

حضر اللقاء الشاعر بهاء جاهين نبجل صلاح جاهين وجميرة من المثقفين، من شعراء وكتاب وسينمائيين، وكذلك المخرج سعد اردش، الذي فاجأ حضوره الجميع، مما حدا بالدكتور محمد عد المطلب رئيس الجلسة الأولى، الى دعوته للمشاركة بالجلسة والتحدث كأحد المشاركين .

وكشف المخرج جلال الشرقاوي: خلال كلمته، أنه لجأ الى صلاح جاهين في وقت من الأوقات، ليكمل نصا مسرحيا، لم يكمله مؤلفه الراحل نجيب سرور، وأوضح الشرقاوي ان صلاح جاهين أكمل المسرحية في ليلة واحدة، وترك بيته في الثامنة صباحا ليذهب الى الشرقاوي، ويقول له هذا هو النص الذي تريده، حيث يصف الشرقاوي ما حدث بأن صلاح جاهين تقمص روح نجيب سرور واكمل

المسرحية باقتدار . وتحدث أحمد عبد المعطي حجازي عن زمالته لصالح جاهين في «روز اليوسف» ومجلة «صباح الخير»، وهواياته وغنائه في اوقات الفراغ بالعربية والاسبانية، والسهرات التي كان يشدو فيها لصالح جاهين مع الملحن سيد مكاوي، لتقاطع وتشابك مع احاديث الثقافة، عندما ينضم للجمع كامل الشناوي ولويس عوض ونجيب محفوظ ومحمد عبد الوهاب في جلسة سمر، تضم ايضا شعراء وصحافيين وكتابا .

ويصف حجازي لغة جاهين الشعرية بأنها ثمرة العامية والفصحى، فهي لا يشخصها معجمها او نحوها فحسب، بل يشخصها ايضا عالمها الفكري والعاطفي واحلامها وهمومها، الشقاء والأمل، والتقدم والحرية والسلام، والحب العائلي والأخوة البشرية. ثم تحدث زين نصار عن غنائيات لصالح جاهين واعماله التي اشترك بها في السينما، مثل «رابعة العدوية» و«الرص والكلاب» ومسرحية «الليلة الكبيرة»، كما تغنت ام كلثوم من كلماته في اللحن الوطني «ثوار» لرياض السنباطي، ثم «والله زمان يا سلاحي»، ثم غنى له عبد الحليم «احنا الشعب» و«بالاحضان» و«صورة» وغيرها .

كما كتب السيناريو والحوار لعدة أفلام مثل «خلي بالك من زوزو»، و«أميرة حبي أنا»، «شفقة ومتولي» و«المتوحشة»، كما شارك في إنتاج أفلام «أميرة حبي أنا»، و«عودة الابن الضال»، وشارك بالتمثيل في عدة أفلام، منها «شهيد الحب الإلهي» عام ٦٢ و«لا وقت للحب» عام ٦٣ و«الماليك» في عام ١٩٦٥ . ثم تحدث الكاتب الصحافي مصطفى عبد الله، في ورقة بعنوان «لصالح جاهين دين في عنتي»، عن بعض ذكرياته مع صالح جاهين، مشيرا إلى أن جاهين أخرجه من حالة اكتئاب كادت تودي بحياته، ثم تحدث عبد الله عن الشخصيات التي أثرت في صالح جاهين، أمثال زكريا الحجاوي وروز اليوسف ومحمد عبد المنعم والكاتب الألماني برتولد بريخت صاحب المسرح الملحمي.

وكشف عبد الله عن سر أخيره به صلاح جاهين، في أحد حواراته معه، حيث كان جاهين يعتقد أن رسمه قبيح، وأن درجاته في الرسم كانت سيئة في فترة المدرسة، وكان المدرسون يسخرون من رسوماته .

وصاحب الاحتفالية معرض كاريكاتير لاعمال صلاح جاهين نظم بالتعاون مع جمعية الكاريكاتير، واصدار كتابين بالمناسبة. وصلاح جاهين، شاعر العامية والشاعر الغنائي وشاعر الرباعيات، اسمه الحقيقي محمد صلاح الدين بمجت أحمد حلمي. ولد في ٢٥ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٣٠، بحي شبرا في شارع جميل باشا، وهو الأكبر بين إخوته، والده المستشار بمجت حلمي الذي تدرج في السلك القضائي بدءا من وكيل نيابة حتى عُين رئيساً لمحكمة استئناف المنصورة، وجده الصحفي الكبير أحمد حلمي .

تلقى جاهين تعليمه في مدرسة اسيوط الابتدائية، ثم مدرسة المنصورة الثانوية، ودخل كلية الحقوق، وفي نفس الوقت، مدرسة الفنون الجميلة عام ١٩٤٧ في جامعة القاهرة، وكان دائم الشعور بعدم الاستقرار نتيجة لتنقل والده والعائلة الى أكثر من اقليم بحكم عمل والده قاضيا.

كان حلمه ان ينهي دراسته في الفنون الجميلة ويسافر الى باريس، وفي نفس الوقت طامحا الى ارضاء والده ليصبح قاضياً مثله. ووصل به الحال الى عدم التخرج من أي كلية، ومن ثم قرر العمل في دار نشر في السعودية، وبعد قضاء ٣ أشهر عاد عن قراره واكتشف انه لا يرغب في تكوين المال ورجع الى القاهرة، وعمل في اعمال بسيطة في بداياته في صحيفة «القاهرة»، ونال عمله آنذاك بالرسم اعجاب اصدقائه، وكان جاهين يعتبره بمجرد هواية لا أكثر، وبعد زواجه عام ٥٥ احترف رسم الكاريكاتير كمهنة، لانهما كانت الاكثر دخلا بين اعماله الاخرى، مثل الكتابة والشعر والاغاني، فهو مسؤول عن عائلة مكونة من ابن وابنتين.

ويذكر انه قام بطباعة اول أعماله الشعرية بمبلغ جمعه من أصدقائه، وقام بتسديده من النسخ التي وزعها عليهم، كما عمل عام ٦٢ في جريدة «الاهرام»، ورئيس تحرير مجلة «صباح الخير»، وآخر ما كتب للفنانة سعاد حسني كلمات اغنية «صباح الخير يا مولاتي». بمناسبة الاحتفال بعيد الام للتلفزيون المصري عام ٨٦، وكانت ايضا آخر أعماله، فقد مرض بعدها بفترة ودخل المستشفى وفارق الحياة في ٢١ ابريل (نيسان) في العام نفسه، بعد حياة حافلة بعطاء خصب وتميز في الأدب والفن

## متقنون مصريون يحتفلون بشاعر العامية صلاح جاهين

سعد القرش

لا يحظى شاعر مصري بالحب والغضب الذي يوجه الى الان الى الشاعر صلاح جاهين رغم مرور عشرين عاما على رحيله. فالذين يحبونه يرون أنه مجدد حقيقي في فن الشعر كما كان مخلصا في كل ما كتب والفاضلون عليه يقولون انه برغم كونه شاعرا مجددا الا انه شارك مع لقيادة السياسية في الستينيات في بناء صرح من الاوهام. وفي الذكرى العشرين لرحيله بدأت يوم الاثنين احتفالية يلقي فيها متقنون أضواء على دوره في التجديد الشعري حتى الشاعر المصري أحمد عبد المعطي حجازي قال ان جاهين الذي كتب بعض قصائده بالفصحى "ليس مجرد شاعر عامية".

وأشار الى أن لغته كانت صوتا للجماهير وثمره مناخ "مكنه من لغة لا تلتزم حدود العامية ولا تلتزم حدود الفصحى وإنما هي لغة عامية فصحي في ذات الوقت. لغة شعرية للغناء.. لغة صلاح جاهين الشعرية لغة لا يشخصها معجمها أو نحوها فحسب بل يشخصها أيضا عالمها العكري والعاطفي. أحلامها وهمومها. الشقاء الانساني والامل الانساني..." وقال جابر عصفور الامين العام للمجلس الاعلى للثقافة في حفل الافتتاح ان جاهين "رمز عظيم من رموز مصر" مضيفاً أنه امتداد لشعراء قاوموا كل أشكال لظلم بشعر العامية الذي ارتبط دائما بمعاني المقاومة.

وأضاف أن شعره يحتمل تعدد المستويات ولا يمكن النظر اليه بوصفه أحد شعراء العامية المصرية ولكن بوصفه "الشاعر". ويعد جاهين (١٩٣٠ - ١٩٨٦) أحد المجددين في شعر العامية مع رفيق دربه الشاعر الراحل فؤاد حداد وأنت تجربتهما امتدادا في المضمون والشكل الفني الذي أرساه بيرم التونسي.

لكن جاهين امتاز عنهما بتعدد مواهبه في فن الكاريكاتير والتمثيل وكتابة السيناريو والمسرح ويأتي الاوبريت الغنائي (الليلة الكبيرة) في مقدمة الاعمال التي يعاد تقديمها الى الان وهي صورة غنائية تتعدد فيها الاصوات على خلفية موسيقية مميزة للمطرب والموسيقي الراحل سيد مكاوي.

بدأ جاهين ينشر قصائده في مطلع الخمسينيات وتحمس لثورة ٢٣ يوليو تموز ١٩٥٢ في مصر وزعيمها جمال عبد الناصر في عدد كبير من القصائد التي غنى معظمها عبد الحليم حافظ كما غنت له أم كلثوم نشيد (والله زمان يا سلاحى) الذي كتبه خلال العدوان الثلاثي البريطاني-الفرنسي-الاسرائيلي على مصر عام ١٩٥٦ ولحنه كمال الطويل وصار نشيدا قوميا للبلاد. ومن أشهر أعمال جاهين (الرباعيات) وهو ديوان صغير يرصد فيها بعض المفارقات والتأملات الفلسفية بإيجاز شديد حتى أن الاديب المصري يحيى حقي وصفه عند صدوره عام ١٩٦٣ بأنه "قنبلة يدوية" لما يتمتع به من براعة لفظية وجمال اسر وعمق المعاني. وفي أحدها يقول.. "أحب أعيش ولو أعيش في الغابات-أصحى كما ولدتني أمي وأبات. طائر.. حوان. حشرة. بشر. بس أعيش-محلا الحياة حتى في هيئة نبات".

وقال الشاعر بهاء ابن صلاح جاهين في افتتاح الاحفالية التي تستمر يومين "لم أر فنانا في مصر يحظى بهذا الحب من الجميع لانه (جاهين) أعطى الشعر فأعطاه". وأضاف في دراسة عنونها (صلاح جاهين يقدم قراءة سياسية لرباعياته) ان ثورة يوليو تموز ١٩٥٢ كان لها "وجه مشرق فيه ملامح وطنية عبد الناصر وزعامته القومية والعالمية ومشروعه الطموح لنهضة كبرى" وتوجه نحو العدالة الاجتماعية والانجازات المصرية ومنها تأميم قناة السويس وبناء السد العالي. وأشار الى أن الوجه الثاني للثورة "شرس متوحش من الفاشية العسكرية والبطش بكل أصحاب الرأي" وفي هذا قال جاهين عن ضحايا الرأي.. "أنا كل يوم أسمع فلان عذبه-أسرح في بغداد والجزائر

وأثوه. ما اعجبت م اللي يطبق بجسمه العذب-واعجب من اللي يطبق يعذب أخوه".  
 وقال عصفور ان جاهين رأى في ثورة يولييز "حلما قديما يتحقق وظل مؤمنا بما. لكن  
 الثورة عام ١٩٦٧ شهدت الكارثة العظمى وجعلت المؤمنين بما ينتقلون بما من مرحلة  
 الحلم الى مرحلة الكابوس" حيث فوجئوا في الخامس من يونيو حزيران بمحوم اسرائيلي  
 شامل أدى الى استيلاء الدولة العبرية على هضبة الجولان السورية وقطاع غزة والضفة  
 الغربية بما فيها القدس الشرقية العربية وشبه جزيرة سيناء المصرية. وأضاف أن جاهين  
 كتاب قصيدته (على اسم مصر) كمراجعة للحلم "ولكل الرشوط التي أفسدته".

وفي بعض أبياتها يقول جاهين..

“على اسم مصر التاريخ يقدر يقول ما شاء-أنا مصر عندي  
 أحب وأجمل الاشياء. باحبها وهي مالكة الارض شرق وغرب-  
 باحبها وهي مرمية جريحة حرب. باحبها بعنف وبرقة وعلى  
 استحياء-واكرهها وألعن أبوها بعشق زي الداء. وأسببها  
 وأطفش في درب وتبقى هي في درب-وتلثفت تلاقيني جنبها في  
 الكرب-والنبض ينفض عروقي بألف نغمة وضرب. مصر النسيم  
 في الليالي وبياعين الفل-ومراية بهتانة ع القهوة أزورها وأطل.  
 ألقى النديم ظل من مطرح م أنا طليت-وألقاها برواز معلق عندنا  
 في البيت”...

## مختارات من رباعيات صلاح جاهين

يا عندليب ماتخافش من غنوتك  
قول شكوتك و احكي عن بلوتك  
الغنوة مش هتموتك إنما  
كتم الغنا هو اللي هيموتك  
عجبي!

يا للي بتبحث عن إله تعبه  
بحث الغريق عن أي شيء ينجده  
الله جميل و عليم و رحمن رحيم  
إحمل صفاته ... و انت راح توجده  
عجبي!

غمض عينيك و امشي بخفة و دلع  
الدنيا هي الشابة و انت الجدع  
تشوف رشاقة خطوتك تعبدك  
لكن انت لو بصيت لرجليك ... تقع  
عجبي!

أوصيك يا ابني بالقمر و بالزهور  
 أوصيك بليل القاهرة المسحور  
 و إن جيت في بالك ... اشترى عقد فل  
 لأي سمرا ... و قبري إوعك تزور  
 عجبني!

لو فيه سلام في الأرض و طمان و أمان  
 لو كان مفيش و لا فقر و لا خوف و جبن  
 لو يملك الإنسان مصير كل شيء  
 أنا كنت أجيب للانيا ميت ألف ابن  
 عجبني!

جالك أوان و عرفت مشي الجنائز  
 كيف شفتها يا عبد رب اللذايد  
 قال: شفت شيل بالحيل فقير أو أمير  
 كما شالوا في الحمامير فوانسي القزايذ  
 عجبني!

## لجنة الشعر تحتفل بمرور ٧٦ عاما علي ميلاد صلاح جاهين:

صانع البهجة ومغني الثورة وابن الطبقة الذي انماز لغناء الشعب محمود قرني

٢٠٠٧/١٠/١٧

القاهرة \_ أقام المجلس الأعلى للثقافة، علي مدار يومين، احتفالية لشاعر العامية ورسام الكاريكاتير الراحل صلاح جاهين، بمناسبة مرور ستة وسبعين عاما علي ميلاده، وقد تضمنت الاحتفالية معرضا لرسوم صلاح جاهين الكاريكاتورية وذلك بالصالة الرئيسية بالمجلس الأعلى للثقافة، حيث شهد المعرض بالتزامن إذاعة متصلة لرباعيات صلاح جاهين التي لحنها سيد مكاوي وغناها الفنان علي الحجار، كذلك شهدت القاعة الغربية بمركز المؤتمرات بمكتبة الاسكندرية. وسوف يستمر المعرض حتي الثامن والعشرين من كانون الثاني/ يناير الجاري.

تضمنت الاحتفالية جلسيتين نقديتين تحدث فيهما كل من الشاعر أحمد عبدالمعطي حجازي، حسن طلب زين نصار، مصطفى عبدالله، سيد حجاب، فتحي الخميسي، محمد عبدالمطلب، ومسعود شومان، كما تضمنت الاحتفالية جلسيتين للشهادات تحدث فيهما أحمد عبدالمعطي حجازي، أمين حداد، بهاء جاهين، محمود أمين العالم، مصطفى حسين، سيد حجاب، كذلك أقام المجلس الأعلى للثقافة أمسيتين شعريتين لقراءة أشعار صلاح جاهين بأصوات الشعراء أمين حداد وأحمد أمين حداد حفيد صلاح جاهين، رجب الصاوي، سمير عبدالباقى، سيد حجاب، ماجد يوسف، محمد سيف، محمد الشهاوي، محمد كشيك، محمود الحلواني، نجيب شهاب الدين، وقدم الأمسية الشاعر محمد إبراهيم أبو سنة، أما الأمسية الثانية فقرأ فيها كل من أحمد بخيت، أحمد عبدالمعطي حجازي، أمين حداد، بهاء جاهين، محمد بغدادى، محمد عفيفي مطر، وهدي عبدالدايم.

كذلك أقيمت علي هامش الاحتفالية، أمسيتان غنائيتان شاركت في الأولى الفنانة سلمى الصباحي، والفنان إبراهيم رجب وشارك في الثانية الفنان علي الحجار، وكذلك الملحن إبراهيم رجب.

وسوف نحاول هنا إلقاء الضوء علي أهم المحاور التي تناولتها احتفالية ذلك الشاعر الكبير، والتي شهدت عددا من الأبراق المهمة قدمها كل من أحمد عبدالمعطي حجازي، زين نصار، فاروق عبدالقادر، محمد بغدادي، محمد عبدالمطلب، مسعود شومان، ونجمله بماء جاهين.

### مُغني سنوات النصر والازدهار

قدم الشاعر أحمد عبدالمعطي حجازي ورقة مطولة تحت عنوان صلاح جاهين ليس مجرد شاعر عامية قال فيها انه لا يستطيع أن يري مشهد صلاح جاهين منفردا، إنما دائما ما يستدعي حالة كاملة متصلة ومتداصلة.

قال حجازي: عرفت صلاح جاهين عن قرب، تزامننا في دار روزاليوسف ونحن نعمل معا في مجلة صباح الخير كنا: هو وصلاح عبدالصبور وأنا نعمل متجاورين في غرفة واحدة تضم مكاتبنا الثلاثة، حين كانت روزاليوسف لا تزال تحتل دارها الصغيرة العنيفة في شارع محمد سعيد باشا الذي غيرا اسمه دون مرر كما فعلوا في غيره ليصبح شارع حسين حجازي — ومحمد سعيد باشا — كما يقول حجازي — رجل قانون وسياسي بارز ترأس الوزارة المصرية في السنوات التي سبقت الحرب العالمية الأولى، وحسين حجازي لاعب كرة شهير، وهو يستحق أن تذكره بلا شك، لكن محمد سعيد لا يستحق أن ننساه.

ويعود حجازي إلى صلاح جاهين قائلا: كنا معا وكنت في العشرينيات وكان يكسرنى بخمس سنوات، وكان جاهين أكثرنا نشاطا ومرحا وحضورا، كان يرسم وينظم ويغني، بالعربية فقط، وكان أحيانا ما يغني بعض الأغنيات الإسبانية من تراث الحرب الأهلية ما متيا ماو لس كوانزو خنيراليس، وكان أيضا يغني أغنيات روسية، وكان له صوت قوي قادر علي أداء الألحان الصعبة، وأذكر انه كان يتلقي دروسا خصوصية في الغناء علي يدي أستاذة تلمذت عليها أصوات كثيرة من الأصوات التي ظهرت في الخمسينيات والستينيات، وهي مدام ركل، وفي تلك الغرفة التي كانت تضمنا نحن الثلاثة في دار روزاليوسف سمعت من صلاح جاهين معظم أغنياته التي نظمها بين أواسط الخمسينيات، وأوائل الستينيات وضمها ديوانه عن القمر والطين .

ويقول حجازي ان جاهين ربما أراد بهذا العنوان أن يقدم صورة للحلم في مقابل صورة للواقع، أو ما ينبغي أن يكون ابتداء مما هو كائن، فقصائد الديوان أغنيات وأناشيد نظمها في المعارك والانجازات التي تحققت في تلك السنوات، وكان صلاح جاهين يرفض أحيانا.

ويقول حجازي: انه رغم بدائه تعلم الفالس علي يدي صلاح جاهين، وقد كانت الحلقة التي تضمهما بابا واسعا للاتصال والتزواج بالحياة الثقافية علي اتساعها.

ويقول حجازي: كان جاهين في ذلك نموذجاً حياً للشاعر المغني في هذا العصر الذي نعيش فيه، الشاعر الذي كان يقصده الفرنسي لوتريامون وهو يتحدث عن الشعر كما ينبغي أن يكون حيث يقول: ينبغي للشعر أن يصنعه الجميع، لا شخص واحد .

ويضيف حجازي: بالإمكان أن نفهم من هذه العبارة معنى الكتابة الجماعية علي طريقة السوراليين الذين كانوا يجتمعون فيما يشبه الطقس السحري أو الحضرة الصوفية ليوقظوا لاوعيتهم ويطلقوا له العنان في قصائد يشاركون جميعا في نظمها.

ويقول حجازي: لم يكن صلاح جاهين صوتا بسيطا مغردا، وإنما كان مجمع أصوات، كان صوت مصر وصوت البشرية، صوت الجماعة المصرية كما رآها في الواقع وفي الحلم مع ناهضة حرة متقدمة سعيدة منتمة لحضارة العصر مشاركة في صنعها. فصلاح جاهين ليس ثمرة تراث قومي مغلق وإنما هو ثمرة التراث القومي والتراث الإنساني، وهو يدين للوركا وبول إيلوار بقدر ما يدين لشوقي وبيرم التونسي.

ويضيف حجازي: حين نقرأ قصيدة لصلاح جاهين ندرك علي الفور أنها لصلاح جاهين لا للمنتهي طبعاً، ولا لبيرم، ولا لرامي، ولا لسيد حجاب، ولا أيضاً ليهاء جاهين، وأن لم أقرأ شعر صلاح مترجماً إلى لغة أخرى وأعرفها لأحرب أن أتعرف عليه مترجماً، لكنني أقرأ لإيليوت، ولوركا، وناظم حكمت مترجمين إلى العربية فأعرف أن هذا إيليوت، وهذا لوركا وهذا ناظم حكمت.

والشعر إذن لغة أخرى لها من ناحية علاماتها التي تميزها عن لغة النثر ولغة الحياة اليومية، ولها من ناحية ثانية سماها وملاحمها التي تطبعها بطابع خاص يتميز به كل شاعر عن أي شاعر آخر. وهذا هو ما نسميه الإبداع.

ويضيف حجازي: نقرأ القصيدة الرائعة نتوقع أحياناً ما سيقوله الشاعر ونطرب لأن الشاعر استجاب، أو ندهش حين يخالف توقعاتنا وندرك مع ذلك أنه أصاب، وأن ما تفرد به أجمل واقع، ونشعر كأنه يتحدث بلساننا، ويترجم عن أفكارنا وعواطفنا، ويرري الوجود كما نراه، ويقف إزاءه كما يمكن لنا نحن أن نقف، ويهتز كما نهتز ويتأثر كما نتأثر نحن ونحن نقرأ الشعر الحقيقي أن هذا الشعر كان محبوباً داخل أعماقنا، وأن الشاعر لم يفعل إلا أن استخرجه كما لو كنا في يده قيثر ونايات ودفوفاً يلعب بأوتارها المشدودة وحواسها المرهفة وينطقها بهذه النغمات الرائعات وهذه الإيقاعات الراقصات.

ويردف حجازي: ها هنا يصبح الشعر لغة للجماعة أصدق من لغتها اليومية، وأكثر حميمية، هنا نستعيد ما قاله لوتريامون عن الشعر الذي ينبغي أن يكون لغة الجماعة لا لغة فرد واحد.

كذلك تضمنت الأوراق تلك الورقة التي كتبها الناقد فاروق عبدالقادر عن صلاح جاهين بعد وفاته تحت عنوان صلاح جاهين مغني سنوات الزهو والانتصار . يقول عبدالقادر:

من المؤكد عندي أن رحيل صلاح جاهين قد مس نبضا حيا في قلب كل مصري ومن المؤكد عندي أن رحيله ليس حدثا عابرا. لفنان عاش وكتب ورسم وصنع أفلاما ثم مات، ومن المؤكد عندي أن غياب صلاح جاهين انما هو غياب مرحلة كاملة، حين كان القلب الأخضر والآمال الممتدة الي أفق فسيح لا حد لانفساحه، حين كان القائد علي رأس شعبه يمتشق سيفه ويخوض المعارك ويعود مكمل المهمة بالانتصار حين خرجت جماهير المصريين لتتصدى للعدوان وتمزج ح نحراب — والله زمان نا سلاحي حين كانت سواعد المصريين والسوفييت جنبا إلي جنب وكتفا إلي كتف تقيم السد العالي وترفع قواعده، حين بدت الاشتراكية حلما دنا تحقيقه حين رفرفت راية الوحدة للمرة الأولى في تاريخ العرب الحديث: عرب الشمال والجنوب اتجمعم في حي — دقة قلوبهم غنا ونظرة عيونهم ضي ، ويضيف فاروق عبدالقادر أنه مهما تعددت وجوه صلاح جاهين وتنوع عطاؤه يبقى وجهه الحقيقي هو الممثل المؤدي دائم الولع بالأقنعة ولعب الأدوار، والذي حفظ له مكانه في قلب تاريخ مصر الحديث انه كان دون سواه وأكثر من سواه — مغني سنوات الصعود والزهو والانتصار، من هنا، من حقيقة أن صلاح رمز وشارة لمرحلة بأكملها، تفاوتت المواقف بعد رحيله وانصرفت عنه لتلك المرحلة: ثمة من يصفي حساباته القديمة معها، وثمة من يسقط عليه أخطاءها، وثمة من يرثي نفسه حين يرثيه، وما أسرع ما لبست كلمات الباطل أثواب الحق!، ومن

هنا ايضا يبقي الاقتراب الوحيد المتاح والمجدي هو ما عبر عنه صلاح في بكائياته الجميلة لأستاذه بيرم بيرم، فتحت ديوانه، رد عليا وما نحن نفتح ديوان صلاح جاهين، خير ما تبقي منه لنا.

ويقول فاروق عبدالقادر أن ازدهار شعر العامية المصرية لم يكن إلا إحدى ثمار تلك المرحلة ذاتها، حيث تزامن صدور مجموعته الأولى كلمة سلام عام ١٩٥٥ مع موجة جديدة صاعدة في القصة والرواية والنقد والمسرح وشعر العربية والغناء، الي جانب لون من الاهتمام الرسمي وغير الرسمي بفنون الشعب وآدابه، كان الرائد الكبير بيرم التونسي ١٨٨٣ — ١٩٦١ لا يزال يواصل عطاءه، لكن معظم اهتمامه كان موجها إلي الأغنية الفردية، ومعظم ما تبقي منه كان وراءه، لقد راد الطريق للخروج بالزجل من دائرة الإخوانيات والحلمنتيشيات التي ظل زمنا طويلا يتخبط فيها من سحف إلي سحف، وتسمع المصري الصغير وعبر بلغته عن همومه، والتفت الي مظاهر الجمال في الطبيعة المصرية وتغني بها، وارتفع في بعض أعماله الي آفاق أكثر إنسانية وشمولا، كل هذا قدمه في عامية عذبة ورائقة تنجو من الابتذال وتخللها مفردات عربية صحيحة طاعت لموهبة بيرم، فلم تعد نابية في السياق.

## صوت الشعب في صوت ابن الطبقة

أما الدكتور محمد عبدالمطلب فقدم ورقة تحت عنوان فصاحة العامية في رباعيات صلاح جاهين . يقول عبدالمطلب: هناك سؤال يلح علي الدارس للشعر كلما أقدم علي قراءة شاعر ما، ما المقياس الذي يحتكم إليه في تقديم هذا الشاعر علي سواه؟، ويردف عبدالمطلب: كان لهذا السؤال حضور لازم في التراث العربي، وربما كان المفضل العنبي من أوائل من شغلهم هذا السؤال عندما أقدم علي تدوين مفضلياته في القرن الثاني للهجرة، ويبدو أنه احتكم إلي ذوقه الخاص في اختياره، وهذا المقياس هو الذي اعتمده الأصمعي أيضا، ثم جاء أبو زيد القرشي ليقدم جمهرته محتكما الي الواقع الثقافي، حيث رتب قصائده المختارة حسب نسقها الثقافي: المعلقات، المحمهرات، المنتقيات، المذهبات، المراثي، المشوبات، الملحمات.

ويضيف محمد عبدالمطلب: توالى الاختيارات، في الحماسة الكبرى لأبي تمام ثم حماسة البحتري، ثم الحماسة الشجرية لأبي السعادات، ثم الحماسة البصرية لصدر الدين علي بن أبي الفرج ثم حماسة العبيدي.

ومن بين هذه المدونات تنفرد مدونة ابن سلام طبقات فحول الشعراء في القرن الثاني للهجرة، ببعض الأسس المنهجية، حيث قدم الشعراء تقديما زمنيا في طبقات الجاهليين — المخضرمين — الإسلاميين والسؤال الذي يطرحه عبدالمطلب كنتاج لهذه المقدمة أن هذه المعايير كانت مسلطة علي الشعر الفصيح فهل يمكن تسليطها علي شعر العامية، وهو ما يراه يستدعي سؤالا آخر عن الخلفية الثقافية، التي وجهت المبدع الي هذا الإبداع دون سواه، وهذه الخلفية هي المتلقي علي وجه العموم، سواء أكان متلقيا

للشعر الفصيح، أم متلقيا للشعر العامي، وإن كان المفترض أن متلقي شعر العامية يكاد يستوعب متلقي الفصيح، بينما متلقي الفصيح ربما لا يستوعب متلقي شعر العامية، أي مساحة استقبال الشعر العامي أكثر اتساعا، لأن هذا الشعر يؤدي وظيفة مزدوجة: الوظيفة الجمالية، والوظيفة الاجتماعية، وعلي الرغم من أن الوظيفتين لهما حضور في الشعر الفصيح، لكن الوظيفة الاجتماعية — في العامية — تسبق الوظيفة الجمالية، ولعل ذلك وراء ملاحظة أن تأثير شعر العامية طويل المدى، لأن جماعة مستقبلية تنظر إليه بوصفه إبداعا جماعيا تحمل أداءه شاعر بعينه، فشعر العامية شعر جماعي وفردى علي صعيد واحد. ويقول عبدالمطلب إن شعر العامية، بخاصة في المرحلة المتأخرة، تكمن أهميته في أنه حقق لنفسه انتشارا في الزمان وفي المكان حاملا ذخيرة الأبنية التعبيرية التي ترددها الألسن عفو الخاطر حيناً، وبالقصد أحيانا أخرى، بعد ذلك يتناول محمد عبدالمطلب بعض رباعيات صلاح جاهين ويتقدم لها قراءة لغوية وبنوية.

أما الشاعر مسعود شومان فقدم ورقة تحت عنوان: صلاح جاهين — الشعر شارد في الجبل، دراسة في استلهاهم وتوظيف التراث والمأثور الشعبي، ويحاول شومان في دراسته الكشف عن التداخلات النصية — حسب قوله — بين ما هو شعبي وما هو عامي وزجلّي، وهي خصيصة يري أنّها من أهم خصائص أشعار وأزجال الراحل صلاح جاهين، ويقول: إن هذه الظاهرة تطرح أسئلة جوهرية عن علاقتهما التناسية، وتحديد مستوياتها إحلالا وإزاحة، استلهاها وتوظيفها، إيماناً ونقياً، هذه الإشكالية تدعونا للتساؤل عن علاقة أشعاره بمادة الفلكلور، تراثاً ومأثوراً — بما تضم من معتقدات ومعارف شعبية — عادات وتقاليد — أدب شعبي — ثقافة مادية — ألعاب شعبية، وما يندرج تحت كل واحد منها من أنواع.

ويضيف مسعود شومان: إن العارف بسيرة تاريخ جاهين يدرك أنه ليس ابناً — طبقياً — للجماعة الشعبية، فجاهين الذي ولد في بيت بجي شبرا القاهري العريق يملكه

جده الصحافي الوطني الشهير أحمد حلمي، وكان أبود وكيلا للنيابة. يصعب القول انه تسرب في أحضان عادات وتقاليده وأشعار الجماعة الشعبية، لكن يجدد القول أنه تشرب الأغاني الشعبية، المواويل، المربع، لتؤكد مقولة ما الأسد إلي مجموعة خراف مهضومة .

ويردف شومان: بهذا المعنى المجازي والفيزيقي في آن واحد يتثبت الماثور الشعبي في محيطة بينما كان يتنقل مع والده في طفولته بين محافظات مصر، ومن خلال ارتحالائه استطاع عبر مشاهداته بعينه اللاقطة، وأذنه القادرة علي اصطيد الموسيقى، ووعيه الحاد باللون، واتقاده ذهنه في استلهاهم أشكال شعرية شعبية أن تكون له هذه الفرادة في كتاباته المتنوعة، إذ انه كتب شعر العامية والزجل والأغنية والأشعار المسرحية والسينمائية، فضلا عن مسرح العرائس والفوازير الإذاعية والتلفزيونية، إضافة الي السيناريو السينمائي والتلفزيوني، غير مواهب أخرى غير كتابية، وتستمر الدراسة فيما بعد في اكتشاف تناصات القصيدة لدي صلاح جاهين مع عناصر الفلكلور في مجر انتاجه.

## صلاح جاهين مغني الثورة

كان من بين الأوراق المهمة التي شهدتها الاحتفالية، تلك الورقة الراصدة التي قدمها المؤرخ والناقد الموسيقي الدكتور زين نصار تحت عنوان غنائيات صلاح جاهين

يقول نصار: احتل الفنان العبقري متعدد المواهب صلاح جاهين ١٩٣٠— ١٩٨٦ مكانة فريدة في تاريخ الفن المصري، فقد كان رساما بارعا للكاريكاتور وشاعرا للعامية لا يشق له غبار، وقد بدأ في نشر إبداعه في الشعر الشعبي منذ عام ١٩٥٥، وذلك بعد توالي إبداعه لكلمات منات الأغاني العاطفية والوطنية والتأملية.

وقد أصدر صلاح جاهين ستة دواوين هي: كلمة سلام، موال عشان القتال — عن القمر والطين — قصاقيص ورق — أنام سبتيمرية — رباعيات صلاح جاهين، ويرصد نصار مشاركة صلاح جاهين في عدد من الأفلام السينمائية هي لا وقت للحب، رابعة العدوية، اللص والكلاب ، كما كتب الأوبريت الشهير الليلة الكبيرة لمسرح العرائس ولحنها سيد مكاوي الذي قام أيضا بتلحين رباعياته حيث وزعها منير الوسمي وغناها علي الحجار.

ويرصد الدكتور زين نصار أنه بالإضافة الي سيد مكاوي لحن أعمال صلاح جاهين كل من رياض السنباطي، منير مراد، كمال الطويل، محمد الموجي، فني عام ١٩٦١ غنت له أم كلثوم ومن ألحان رياض السنباطي أغنية ثوار مطرح ما تمشي يفتح النوار، تنهض في كل صباح بحلم جديد، ثوار نعيدك يانتصار وتزيد، وطوال ما إيد شعب العرب في الإيد، الثورة قائمة والكفاح دوار ، وبعد هزيمة حزيران/ يونيو كتب جاهين نشيد راجعيز بقوة السلاح وغتها أم كلثوم ولحنها رياض السنباطي، وفي

السادس من تشرين الاول/ أكتوبر ١٩٧٣ تحققت نبوءة صلاح جاهين بالانتصار، الذي سبق له أن كتب نشيد والله زمان يا سلاحي ولحنه كمال الطويل إبان العدوان الثلاثي، ويذكر زين نصار أن أم كلثوم عندما ذهبت لتسجيل النشيد بالإذاعة أشيع أن المسبي معرض لقصف الطائرات فطلبوا منها الانتقال بفرقتها إلى مبني شارع الشرفيين لتسجيل النشيد فرفضت رفضاً قاطعاً وقالت اموت هنا ولا أغادر المكان . وبالفعل تم تسجيل النشيد في هذا الجو المتوتر، كما غني له الفنان عبدالحليم حافظ العديد من الأغاني الوطنية مثل إحنا الشعب التي غناها في ٢٤ - ٧ - ١٩٥٦ . بمناسبة اختيار الشعب المصري لجمال عبدالناصر كأول رئيس منتخب للجمهورية، ثم غني بالأحضان في عام ١٩٦١، ثم المسؤولية في عيد الثورة عام ١٩٦٣، ثم غني له عبدالحليم في ١٩٦٥ يا أهلاً بالمعارك ، ثم غني له صورة ، ثم ناصر يا حرية هذا بالإضافة إلى ما غنته له الفنانة القديرة سعاد حسني في فيلم خللي بالك من زوزو و يا واد يا تقيل و الدنيا ربيع وأغنية الأم بالإضافة الي مجموعة الأغنيات الشهيرة التي غنتها في مسلسل أنا وهو وهي الذي شاركها بطولته الفنان الراحل أحمد زكي.

هذا وقد تضمنت الأوراق التي قدمتها الاحتفالية ورقة للناقد والصحافي مصطفى عبدالله تحت عنوان صلاح جاهين ودين في عنقي ، ومحمد بغدادى وصلاح جاهين شاعر الكاريكاتير ورسام بدرجة مقاتل، كما قدم نجله الشاعر بهاء جاهين الذي أشرف علي إعداد كتاب الدراسات ورقة بعنوان صلاح جاهين يقدم قراءة سياسية لرباعياته

## من رباعيات صلاح جاهين

يا حزين يا قمقم تحت بحر الضياع  
حزين أنا زيك وإيه مستطاع  
الحزن ما بقالهوش جلال يا جدع  
الحزن زي البرد ... زي الصداع  
عجبي !!!!

---

في يوم صحيت شاعر براحة و صفا  
الهم زال و الحزن راح و اختفي  
خدني العجب و سألت روجي سؤال  
أنا مت ؟ و لا وصلت للفلسفة  
عجبي !!!!

---

الفيلسوف قاعد يفكر سيبوه  
لا تعملوه سلطان و لا تصلبوه  
ما تعرفوش إن الفلاسفه يا هوه  
اللي يقولوه بيرجعوا يكذبوه  
عجبي !!!

---

علي بعد مليون ميل من أرضنا  
من الفراغ الكوني بصيت أنا  
لا شفت فرق بين جبال و بحور  
و لا شفت فرق ما بين عذاب أو هنا  
عجبي !!

---

إنسان أيا إنسان ما أجهك  
ما أتفك في الكون و ما أضالك  
شمس وقمر و سدوم و ملايين نجوم  
و فاكرها يا موهوم مخلوقه لك  
عجبي !!

---

نظرت فوق للنجوم و انا ساير  
رجليا عتريت في الحفر و الحجاير  
بقيت أقول و انا ع التراب: يا سلام  
مش بس عبره أخذت لكن عبائر  
عجبي !!!

---

- يا نجم .. نورك ليه كده بيرتجف ؟  
هو انت قنديل زيت ؟ أو تختلف  
- أنا نجم عالي .. بس عالي قوي  
و كل ما انظر تحت اخاف انحدف  
عجبي !!!!

---

السم لو كان في الدوا منين يضر؟  
و الموت لو عدونا .. منين يسر؟  
حط القلم في الحبر و اكتب كمان  
.. و العبد للشهوات .. منين هو حر؟  
عجبي!!!!

---

وقفت بين شطين علي قنطرة  
الكذب فين و الصدق فين يا تري  
محتار ح اموت .. الحوت خرج لي وقال  
هو الكلام يتقاس بالمسطرة  
عجبي!!!

---

## البحث عن عروق الذهب في اللغة المصرية

محمد كشيك

\* المغامرة الابداعية، هي المبدأ الأساسي الذي يحكم عملية الكتابة عند صلاح جاهين، فهو لا يضع قيودا مسبقة يمكن أن تعرقل تحركاته الداخلية والخارجية أثناء عملية التأليف والابداع، فالفعل الشعري يبدو مستقلا، دائما ما يمتلك قوائمه الخاصة التي تتجاوز الثبات النسبي للقالب الفني، فالشكل يكاد ينهزم أمام الموهبة اجارفة التي تتحرك في العمق، فتعيد تركيبه، بحيث يصبح مجرد مقترح قابل للتعديل والاضافة، والتغيير عبر عملية مستمرة من الاختبارات والاستبدالات اللغوية والفنية.

والمغامرة عند صلاح جاهين، لا تعني سوي الحرية، تلك الحرية التي تستعصي علي القولية والنمطية والثبات، إنما عند الشاعر فعل حركة وحياة وديمونة يعكس جدلية من العلاقات المتشابهة والمتناقضة البسيطة والمعقدة في آن، ولقد بلغت هذه الحرية حدودها القصوي عند رحيل الشاعر.

ان ارادة الشاعر الخالقة تفرض نفسها عند عملية الكتابة، لذلك تتعدد طرائق وأساليب الكتابة عند صلاح جاهين، فهو لا يكتب قصيدة واحدة يعيد انتاجها في كل مرة، لكنه حسب مبدأ الحرية يعيش حالة مستمرة من التجدد والتمرد الابتكار، فتبدو كل قصيدة من قصائده فعلا مختلفا ومخالفا، لا تشبه ولا تتشابه مع باقي قصائده الاخري، ربما لأنها تستمد طاقتها من مياه جوفية عميقة قادرة علي اغناء عالم الشاعر بحدائق نغمية وفنية لا يمكن لها أن تذلل أو تنتهي أو تموت.

إن الشاعر يترك نفسه أثناء فعل الابداع، ليصل الي ذروة التوتر الانفعالي، لتصبح القصيدة مهياًة لكل أنواع الاحتمالات كما تمتلك القابلية للانفتاح علي تجارب متنوعة تضيف الي العالم الفني، الذي تتعدد مستوياته، وتشكل علاقاته داخل عملية متشابكة ومعقدة بالغة التعقيد من الحذف المستمر، والهدم واعادة البناء، ومن التفكيك والتركيب، لتصل اليها القصيدة في شكلها النهائي لتتجلي فيها بوضوح 'بصمة' الشاعر، وعبقريته، وقدرته الدائمة علي تجاوز القوالب والاشكال، من أجل العثور علي 'عروق الذهب' الكامنة في نهر الحياة الفائض.

### التحدي والاستجابة

والعملية الابداعية عند الشاعر العبقري 'صلاح جاهين' غالبا ما تعكس حركة دائمة من التحديات المختلفة، تواجهها علي نفس المستوي مجموعة من الاستجابات الخالقة.

فالثبات الظاهري للشكل المحدود الايقاعات، الذي يشكل تحديا دائما للشاعر، غالبا ما يقابله باستجابة تعكس مدي الحيوية التي تتأبي علي الجمود والثبات.

والقصيدة عند صلاح جاهين تبدي فيها بوضوح تلك المعركة المستمرة، التي تدور رحاها بين الشاعر المتمرد، الذي يريد أن يفرض علي القصيدة هذه الحيوية الكامنة والنشاط الايقاعي المتوتر، وبين الشكل الثابت والساكن الذي يريد قمع الشاعر، وسجنه، والابقاء عليه بداخل حدوده الضيقة وصفة الشاعر .

ولعلنا اذا اقتربنا قليلا من عالم 'صلاح جاهين' لنعاين بعض اكتشافاته الفنية، نلاحظ تلك المقدرة المائلة علي التنويع في الاداء، فالصورة الجزئية تتنافر أحيانا، مع باقي الصور الاخرى لنحصل في النهاية علي صورة فنية متكاملة، تتأزر فيها ومن

خلالها جميع المعطيات لتمنح ذلك البعد الخاص والمذاق المتميز، الذي تتسم به معظم قصائد صلاح جاهين. وحتى يمكن أن نقرب بشكل أكثر وضوحاً من أجل التعرف على 'وصفة' صلاح جاهين، فسوف نحاول أن ندخل في قراءة سريعة متعجلة لاحدي قصائده 'قصيدة' والتي يـمكس من خلالها أن نلقي الضوء على بعض من ملامحه الفنية وبمحمل رؤاد الابداعية.

انه في القصيدة يأخذ بيد المتلقي عبر شاطيء منبسـط سهل. غير متيد بتحركات مفاجئة، وهو لا يخدعه، انما يحاول أن يغريه ويجذبه الي عالمه المدهش فيقول في البداية:

### في يوم من الأيام راح اكتب قصيدة/

ويسمر الشاعر في تداع خلاق، ليوضح ماهية تلك القصيدة التي يريد أن يكتبها، ويبدأ المعني بسيطاً لا يحتاج إلي أي جهد أو تأمل..

عن السماء/ عن وردة علي راس نهد/ عن قطي/ عن الكمنجة الشريدة/ عن نخلتين فوق في العلالى السعيدة.

وبعد ذلك يتجه المعني من البساطة إلي التركيب، وتبدأ النغمات والايقاعات في التحول لتواكب ذلك التعقيد البنائي الذي يوجه الصورة باتجاهات مختلفة ومخالفة.

عن عيش بيتفتفت في أودة بعيدة،

عن مروحة من الورق،

عن بنت فايرة من بذات الزنج،

عن السفنج،

عن العنب،

## عن الهدوم الجديدة، عن حدايات شبرا، عن الشطرنج

وتستمر القصيدة في جلب الصور المتألفة والمتناقضة، لتشكل في النهاية بؤرة الفعل الشعري، الذي يشغى بالعلاقات التي تمنح القصيدة حضورها وحيويتها وخصوصيتها أيضا، كما يبدأ الايقاع في استقطاب الصور الجزئية، لاعادة تجميعها في عالم شعري أخاذ:

عن برطمان أقراص منومة/ عن مهر واثب من علي سور حديد/ وف بطنه  
داخله الحديدية/

ان الشاعر يبدو هنا مثل الساحر الذي يفاجئك دوما بما ليس في الحسبان، ليجعلك في دائرة الترقب والتوقع، مبهورا، منجذبا، إلي ما سوف يجيء من احتمالات، والشاعر في كل هذا مثل الطائر المخلق، يصعد الي أعلي الأعالي كي يتمكن من الرؤية جيدا، وحينما يبدأ في رصد هدفه، يهبط منقضا علي فريسته ليحصل في النهاية علي كنوزه الفنية.

ولعل أهم ما يميز الوصفة الشعرية لصلاح جاهين، هي تلك القدرة المعجزة علي اعتصار طاقة اللغة وما يمكن أن تمنحه من طاقة تساهم في بنائية العمل الفني، وشحنة بتلك القوة الهائلة في العمق والتي تجعل القصيدة قادرة علي الفعل الشعري مهما تعاقبت السنوات والدهور والأجيال .

وتعتبر خاتمة القصيدة درسا لكل من يمارس فعل الكتابة الفنية، فبعد العديد من الاستوقعات التي أوردها الشاعر، فها هو ياعتنا مرة أخرى في نهاية القصيدة بنتيجة لم

تكن في الحسبان، لكنها تتسق مع رغبة الشاعر في اللعب، وقدرته علي المغامرة، وحة للتمرد الذي هو الدافع الحقيقي لحالة الابداع الهائلة لديه، فيقول في نهاية القصيدة:

عن طفل بقميص نوم  
عن قوس قزح بعد الصلا في العيد  
ح اكتب قصيدة  
ح اكتبها وان ما كتبتها ش أنا حر  
الطير ما هو ش ملزوم بالزقزقة

### أسرار التجلي والخفاء

وفي معظم قصائد صلاح جاهين هناك مستويات متعددة للفعل الشعري، فالقصيدة تبدأ من الداخل عبر منطقة مظلمة لا يكاد يعرفها الشاعر نفسه، وتبدو مثل بذرة مؤهلة للتفتح، سرعان ما تنفجر حينما يصادفها لحظة مواتية، فتدب فيها الحياة، وتأخذ في الانبات، لتندفع الجذور الصغيرة بداخل المناطق المعتمة وتشكل مجالات الحركة، وحينما تكون متأهبة الخروج، يندفع الدفق الحي إلى أعلى متناغما مع طاقة الحياة، يستمد طاقته المتجددة من تلك الجذور العفية التي تشكلت في العمق، ثم اندفعت إلى السطح لتكتسب ملامحها الجديدة، وأبعادها المتجددة، تماما مثل الزهرة التي تكمن في رحم الأرض، وفي الربيع تطلق وجهه خضرتها لتهزم خرائب بأكملها، يقول الشاعر في قصيدته الجميلة: 'كلام إلى يوسف حلمي'

-----  
أنا باتكلم م الشارع  
والشارع فيه جامع  
والجامع مبني بقاله ميات م الأعوام

إنما شبابيكه كلام  
وعرايس أفريزه كلام،  
وحيطانه  
والمعمارجي اللي بناه واقف قدامه وبيكلمني  
بيمد لي أيده، بياخذ كبريت مني  
بيولع.. وبيضرب لي سلام..  
ياسلام!

### أقعة الحياة الموت

وكما سبق أن أوضحنا، فإن القصيدة عند صلاح جاهين، تبدأ من عند منطقة معينة، ثم تبدأ في النمو والتشكل، وفق منطق بنائي خاص، يعتمد على نشاط لغوي مكثف والعديد من الصور الجزئية، التي تنتشر أحيانا، لكنها تعود في النهاية لتلتئم في كيان كلي موحد.

وتعتبر قصيدة 'الموتي' التي كتبها الشاعر بمناسبة رحيل 'أمل دنقل' من أهم القصائد التي تتجلى فيها بوضوح مجمل الخصائص الابداع والفنية لعالم صلاح جاهين، فعلى الرغم من أن القصيدة تتحدث عن الموت، فهي تعكس حالة من التوحد والخلود تتجاوز مظاهر السطح الخادع الذي يشي بالتحول والتغير:

في صفحة الموتى  
بيكلموني كل يوم الصبح  
بصورهم الباهتة  
بعيرونهم الثابتة  
بيسألوني كما هم.. إمتي  
ها تنطبع صورتك كمان إنت

وبعد هذه البداية البسيطة، تبدأ القصيدة في التفرغ لتصنع شبكة كثيفة من العلاقات الخفية، لتصل الى منطقة المياه الجوفية، الحملة بثقل الرموز، وكثافة المعاني، وعمق الدلالات حيث تتحول الكائنات البشرية إلى معني أبدي خالد يتجاوز الأعراق والأجيال والديانات!

يا رسم علي وش التابوت مرسوم  
 في حفائر الفيوم  
 وحقاير الفيوم جبانة م الزمن العتيق  
 مشهورة بالصناديق  
 وعليها بالألوان صور . مخاليق  
 كاهن/ مراكبي  
 ست بيت/ تاجر  
 بنيه حلوة/ عسكري/ شاعر  
 صور بشر أيامهم انحصرت  
 مداينهم اندثرت  
 توابيتهم انكسرت  
 مافاضلشي منها غير وشوش

ويستمر الشاعر في استجلاب الصور الجزئية المتفرقة حتي يصل الي صورة كلية تنسجم والفكرة التي يريد الشاعر أن يعبر عنها والتي تعكس جوهر فلسفة الموت، وهي فلسفة انسانية تحاول اكتشاف المعني المشترك والتعبير عنه في بلاغة عميقة، أسرة،

: ببصّوا نفس البصّة  
 وببحكوا نفس القصة  
 مستغرقين في الموت بلا غصّة  
 وفي الخلود رايعين

" الله يرحمك يا عم صلاح "

وكما في معظم قصائده يحاول الشاعر مطاردة المعنى المركزي، يغوص في الأعماق، يبحث عنه، حتى يحصل عليه في النهاية

زي اللي في الجورنال في صفحة الموتى  
قلت الشبّة من أين يتأتى  
قالوا عشان الكجل مصريين  
الكجل نفس الهوية  
نعي المطارنة جنب نعي الشيوخ  
طالبين سوا الرحمة الإلهية  
طالعين سوا،  
أمجاد سماوية

\*\*\*\*\*

### القوالب الموسيقية

يعتبر الإيقاع بكل ما يتضمّنه من معان، العنصر الأساسي الأهم في تشكيل ملامح الفعل الشعري عند صلاح جاهين، وقد علمت أنه قبل أن يبدأ كتابة القصيدة ينتابه شعور موسيقي غامض، يأخذ في التشكل إلى أن يجد الألفاظ المناسبة في النهاية ولعل هذه الميزة هي التي ساهمت في تطور الرؤية الإبداعية عند صلاح جاهين، ورفعت به إلى التحريب، وقادته إلى تلك المغامرات العنية التي أكسبته هذا المذاق الخاص والبالغ التميز والفرادة.

وعلي هذا الأساس، فلم تكن هناك رؤية مستبعدة لكيفية كتابة القصيدة، ولم يتقيد 'صلاح جاهين' إلا بمصادر الإلهام الداخلي، عبر شبكة بالغة التعقيد من القوالب المقترحة، التي تتأهب وتشكل في كل لحظة لاستقبال هبات العبقرية، لذلك فلم يخضع صلاح جاهين أثناء الكتابة لأي شيء إلا شرط الشعر، وهذا يفسّر لنا ذلك الثراء

الموسيقي الذي تحفل به قصائد صلاح جاهين ناهيك عن أغنياته، وهو ثراء في إعتقادي ناجم عن تلك الشحنات الموسيقية والإيقاعية التي تتحرك داخله باستمرار، والتي هي سبب من أسباب تفرده، وخلود أشعاره، لترددتها أجيال بعد أجيال. والموسيقي في قصائد صلاح جاهين، لم تقصد لذاتها، ولم تكن مجرد حلية خارجية يمكن الاستغناء عنها، ولكنها كانت العنصر البنائي الأهم في تشكيل المعمار الشعري إنما لفرص ارتباطها بالمعنى الداخلي تكاد أن تصبح المعنى ذاته، فلا يمكن، بل يستحيل عزل هذه القيم الموسيقية والإيقاعية عن التركيب البنائي للقصيدة. ومن أجل هذا كله فإن الإيقاعات تتسرب بداخل القصيدة كما يتسرب الماء في باطن الأرض، فتبعث فيها تلك الحياة والحيوية والحركة، وتدفع بالأبنية الداخلية إلى النمو والتركيب باستمرار.

ونظرة واحدة إلى طرائق 'جاهين' في طريقة بناء وصوغ قصائده، سوف تبين وضوح لنا مدى إرتباط العنصر الموسيقي بالتحركات الداخلية والخارجية للقصيدة، فأحيانا ما يأتي الإيقاع هادئا، بطيئا، متأنيا، متسللا، وفي أحيان أخرى، نعثر عليه وهو يتحرك بقوة وعصبية وإنفعال، يكاد يجهر من بين السطور، وفي أغلب الأحيان نجده يتحرك في عمق القصيدة، بحيث نشعر بأثاره ولا نكاد نراه 'فيك يا حديد روحانية' وهناك العديد من القصائد التي يكاد يغيب فيها الإيقاع، ليظهر إيقاع من نوع آخر، ينبثق مثل النور من باطن القصيدة، يدفع بضوء شفاف لينير العمق المتوتر بالعلاقات الحية وفي قصيدة 'ياسلام يادكتور' يتبدى مثل هذا النوع من الإيقاع، والذي يتسرب همدوء من باطن القصيدة، بلا أي ضجيج، وبغير عظام شكلية، أو جمالية. ولفرط بساطة الإيقاع تأتي القصيدة بدون أي قواف، وتخفي الزركشة اللغوية، ليحل محلها إيقاع سحري لا يبين فوق السطح:

أظن ياملهماني الفن والأشعار،  
 وقلبي: بلاصك، اللي بتطلعي به الفجر..  
 من بعد أذنك، بلاش النوبة م الترعة،  
 أمليه لي من عند أبوالباطو النضيف الابيض،  
 وقولي له، يازينة الجدعان، صباح الخير

وتستمر الإيقاعات تساب في العمق هادئة لتشكل الملامح الخارجية للقصيدة،  
 دون أي تزويق، لينسجم مع المعنى الجليل، حين إكتشف علماء الاسكندرية مصلا  
 يمكن أن يعالج أمراض البلهارسيا.

الفلاحين صفر ، لكن صلبهم جامد،  
 شالوا الجبال، قلقلوها، وهما لسه صفر ،  
 إشحال بقي، لما يجري الدّم في خدودهم،  
 بدال ما يجرح مع الروح نفسها في البول،  
 وقولي له: يازينة الجدعان، براوة عليك

والأمثلة السابقة من قصيدة 'ياسلام يادكتور' تعطينا أدق مثال علي تلك العبقرية  
 الفنية التي لا تحكمها رؤية مسبقة، لكنها تتقي وتجلب وتختار، ما يلائم عالم القصيدة،  
 لتخرج لنا في أبلغ صورة وكما فرضت نفسها علي الشاعر، ليحدث ذلك الإنسجام  
 الذي يمنح العمل الفني حضوره الخلاق.

وفي قصيدة 'روحانية' يتحرك الإيقاع بلا أي ضجيج بداخل هياكل القصيدة،  
 متخفياً، لا يريد الإفصاح عن نفسه بجلاء، لكنك تشعر به، تكاد تمسك بعناصره، لكنه  
 يندمج بداخل السطور والكلمات والمفردات، ليُعبّر عن تلك الروح المسيطرة التي تفصح  
 وتبين:

فيك يا حديد روحانية  
 إن كنت مسمار، والأفاس  
 إن كنت مفتاح، والأبريمة،  
 إن كنت سيف، والأبرة،  
 إن كنت محراث،  
 إن كنت مشبك شجر،  
 إن كنت مروحة موتور،  
 إن كنت مطرقة،  
 إن كنت سيخ،  
 إن كنت جنزير خردة في التراب،  
 فيك روحانية..  
 عسان ما بين الرب والحديد،  
 فيه ابن آدم.

وغالبا ما يأتي الإيقاع، ليتكرر قلبه الخاص، ويعّدي العمل الفني بشحنات  
 موسيقية هائل، ويدفعه دفعا إلى النمو في الاتجاهات التي يريدها الشاعر، من أجل خلق  
 حالات مختلفة ومخالفة لذلك يكتب صلاح جاهين 'السوناتا' وهي قالب غريب علي  
 أدبنا العربي، لكنه يستفيد من هذا القالب ويحاول تطويره من أجل التعبير عن حالات  
 فنية متنوعة، وعبر هذا القالب الجديد يكشف الشاعر أبعادا موسيقية بالغة الثراء وهي  
 هنا تظهر بوضوح، ودون أي مواربة، لتفصح عن تجلياتها في تشكيلات ساطعة،  
 توظفها قواف داخلية وخارجية تستوعب شحنات موسيقية مكثفة وطاقات نغمية  
 تكاد لفرط حسيتها أن تندوّفها أو تمسك بها، يقول صلاح جاهين في إحدى سوناتاته  
 الأولى :

أنا في الخلا، بانشد ولا أنام  
 صلوات غرام، وياحرام يتمحي

الليلة بل الطل كل الكلام،  
ولا ملام، ما أنا الخلا مطرحي  
خلا خلا، أنا شعري قد الوجود  
وقدّها وقدود وقلبي.. عني  
كأنه عود، في الجود مايعرف حدود،  
وحبيبته عواد، وعليه مجنّني  
طلع النهار والشمس من غير غما،  
الشعر شتّ وطار، كأنه البخار،  
داريت حبيبتي عن لهيب السما  
وصرخت فين السقف، فين الجدار

\*\*\*\*\*

ثم ينهي الشاعر 'السوناتا' هذا 'الثنوي' الذي يمثل الحكمة، والخلاصة، والبلاغة  
الموجزة.

أنا بيت حبيبتي، وهي بيتي أنا،  
لكن ياريت، يبقي لنا بيت م البناء،

ويستمر الشاعر في تقديم اكتشافاته الموسيقية عبر عمليات من الإستبدال  
المستمر، وأشكال عديدة لا حدود لثرائها، ليصل في النهاية إلى عروق الذهب التي  
ليس لجمالها مثيل،:

وفرشت عشي ريش في ريش في ريش  
ومشاغله، وتوشويش، وصوصوه  
سوا سوا ح نعيش نعيش نعيش،  
نعيش نعيش، نعيش، نعيش سوا

\*\*\*

لسّاه يا عصفور الربيع ماجاش،  
عمّال تزقزق ، واحنا في الشتا؟  
شجر الشوارع لسّه ما أنكساش،  
ولا مئّه فتفوتة منبّة!

أنا أغني صيف شتا ربيع خريف،  
أغني.. غنوه خضرا، مع الدوام.  
ورق الشجر يقع، علي الرصيف  
وانا، والغنا، متشبكين تمام.

\* \* \*

عندك يا عصفور يابني، ألف حق.  
الريّح ما بتوقّعش غير ورق!

\* \* \*

وفي قصيدة 'كلام إلي يوسف حلمي' تتجلى القدرة الهائلة علي التعبير، وفق معايير بنائية بالغة الخصوصية، يلعب فيها الايقاع الدور الأهم، في تشكيل الصورة المحورية للقصيدة، حيث يتم تبادل الأدوار فالصمت يدل علي الكلام، إذ تمتليء الفراغات بأصوات الذين غابوا، فلا شيء يمكن أن يندثر أو يأفل أو يضيع، وتتمرّر الإنسانية نفسها عبر الأنساق الزائلة، لتمنحها تلك القدرة علي الاستمرار والبقاء والخلود:

أنا باتكلم م الشارع  
والشارع فيه جامع  
والجامع مبني بقاله ميّات م الأعوام  
إنما شبابيكه كلام، وببياته كلام،

وعرايس أفریزه كلام، وحیطانه...  
والمِعْمارِجِي اللّٰي بناه واقف قَدّامي، وبيكلمّني،  
بيولع، وبيضرب لي سلام...  
ياسلام..

موت مين ده يا يوسف حلمي اللّٰي يحوشكُ عني؟  
تَصْبِح علي خير.

\* \* \*

## الحرية/ القيد القلب الملحمي/ علي اسم مصر

كتب صلاح جاهين قصيدته الملحمية الكبرى 'علي اسم مصر' أثناء رحلته العلاجية إلى موسكو عام ١٩٦٩، ثم استكمل الجزء الثاني من الملحمة بعد عودته من الخارج في خريف ١٩٧١ .

وهذه الملحمة عبارة عن جدارية كبرى تستوعب تاريخ مصر القديم والمعاصر، وأعتقد أن الانجازات الفنية الاعجازية التي قدّمها صلاح جاهين في هذه الملحمة فقط... ترتفع به إلى مقامات شعراء عظام، بل وتتجاوزهم أمثال: 'طاغور' 'جلال الدين الرومي' و'الشبازي' و'لوركا' و'نيرودا' وغيرهم، فهذه الملحمة تستوعب طاقات موسيقية وفنية وجمالية، قل، بل ندر، أن توفرت مثلها في أدبنا العربي المعاصر 'العامي والفصح' إنما في بنائها البسيط والمركب مثل شجرة بديعة وسط غابة استوائية، إنما في بنائها البسيط والمركب مثل شجرة بديعة وسط غابة استوائية، تحتزن بداخلها أغصان موسيقية متشابكة، قادرة علي استجلاب الإيقاعات الحية من بحار جوفية عميقة، لايمكن لها أن تغيض.

وفي أغلب مقاطع القصيدة/ الملحمة استخدم صلاح جاهين قالب 'الموال' وهو قالب غنائي قديم، عريق في مصريته، إستعملته المخيلة الشعبية للتعبير عن نفسها، ولاكتشاف البلاغة الخاصة الكامنة في وعي الجماعة، ولا وعيها أيضا منذ مئات السنين.

ولقد أعاد صلاح جاهين اكتشاف ما يحتزنه هذا الشكل من ثراء نغمي، وتراكيب موسيقية، يمكن لها أن تستوعب هذا الفيض الابداعي المنهمر، طويل النفس، الذي لا يستطيع القوالب الموسيقية المحدودة، أن تمسك به أو تحاصره، وتسيطر عليه.

وتستجيب الموهبة الخلاقة في علي اسم مصر لتحديات القلب الفني، فالشاعر الذي يريد التحليق والتحرك عبر أنشطة لغوية متنوعة، يتمكن من تطويع الشكل.. وتزويده بأوتار موسيقية غنية، ليتزحج الشكل الثابت، ويسمح بتحركات في العمق تساهم في تطويع القلب وتجعله مجرد مقترح نام، يمتلك القابلية لكل أنواع الاحتمالات، فيفتح الشكل المغلق علي فضاءات إبداعية لحدود لها، كما يتمكن الشاعر من تقديم إكتشافاته الفنية، عبر قدرة معجزة علي إختبار وإختيار المفردات الدالة التي تعكس وعيا عميقا لدي الشاعر بقدرة اللغة علي تجاوز أعادها المألوفة والتعارف عليها، لتشكل تلك السبيكة الخاصة، والبالغة الخصوصية، القادرة علي التعبير عن أعقد النغمات وأبسطها في آن :

النخل في العالي والنيل ماشي طوالي  
معكوسة فيه الصور، مقلوبة وأنا مالي  
ياولاد أنا في حالي، زي النقش في العواميد  
زي الهلال اللي فوق مادنه بنوها عبيد  
وزي باقي العبيد باجري علي عيالي  
باجري وخطوي ونيد: من تقل أحمالي  
محنية قامتي وهامتي كأن فيها حديد  
ويمينا رمل العريش فيها، وملح رشيد  
لكني بافتحها زي اللي اتولدت جديد  
علي اسم مصر

\*\*\*\*\*

ولعل أهم ما يقدمه 'اصلاح جاهين' في قصيدته الملحمية الطويلة. من انجاز، يتمثل في تلك السهولة الغنائية بداخل تعقيد معماري وتصاميم فنية مركبة فالسطح البسيط الظاهر، يكاد يخفي ما يخزنه العمق من تأويلات لحدود لها..

لقد كتب 'صلاح جاهين' ملحمة الرائعة وفق بنائية بالغة البساطة، لكنها بالغة التركيب أيضا، تعكس الحرية التي يمكن أن يمتلكها الشاعر بداخل القيد، فالقصيدة/ الملحمة، تم ابداعها وفق طرائف معينة التزم بها الشاعر فالقوافي تتوالي وفق ترتيبات بنائية ثابتة (أ، ب ب، أ، ب ب ب، أ، ب ب) لكنها تتمتع في نفس الوقت بمجالات واسعة من الطفو الدلالي الذي يمنحها القدرة علي النفاذ من السطح المراءوغ لتستغرق العمق الذي يشفي بمختلف الانفعالات، لتتجلى في النهاية تلك 'الوصفة' السحرية، التي رفعت من مقام هذا الشاعر، وجعلته علامة حية من علامات الزمن العبقري، القادر دوما علي تجاوز ذاته وأزماته:

(أ) مصر التلات أحرف، الساكنة اللي شاحنه، ضجيج

(أ) زوم الهوي، وطقش موج البحر، لمّا يهيج

(ب) وعجيج حوافر خيول بتجر، زغروطه

(ب) حزمة نغم صعب داخله مسامعي مقروطه

(أ) في مسامعي مضغوطة، مع دمي لها تعاريج

(أ) ترع وقنوات سقت من جسمي كل نسيج

وجميع خيوط النسيج علي نبره، مربوطه

(ب) اسمعها مهموسه، ولا اسمعها مشخوطة

(ب) شبكة رادار قلبي جوه ضلوعي مضبوطة

علي اسم مصر

ولانعرف كيف تمكن صلاح جاهين من أن ييئ الحياة والديناميكية، بداخل هذا القلب المحدود فاستطاع أن يمدّه بأنشطة فنية ولغوية لاحدود لها، جعلته صالحا للتعبير عن مختلف الحالات، كما تمكن صلاح جاهين أيضا أن يصوغ سبيكة لغوية خاصة، تستوعب صوت الشاعر، وصالحه للقراءة، لاتنتمي إلي اقليم معين، بل هي صالحه بما تختزنه من مقومات جمالية أن تنمو وتزدهر لتصبح في النهاية لغة مستقلة بذاتها لها قوانينها الخاصة التي تحكمها وتجعلها قابلة للانفتاح والتجدد علي شفاة شعراء آخرين، ولهذا يمكن تبرير ذلك التأثير الطاغى للشاعر/ صلاح جاهين علي الأجيال الجديدة، والبراعم التي تحاول التفتح، بل وعلي جميع الأجيال من جميع بقاع وانحاء الوطن الكبير.

ان الموهبة الأساسية لصلاح جاهين تكمن في تلك القدرة الاستثنائية علي تحويل كل ما هو عادي ومألوف إلي شيء خارق ومبدع وخلاق، إنها العبقرية الخالقة، وتعويذة السامر الذي يجعل من الأشياء البسيطة غريبة، لفرط بداحتها، والعادي بالغ الدهشة، والملتصق بمحذقات العيون من فرط عدوبته وكأننا نري للوهلة الأولى..

وتحللي هذه المقدره كأوضح ما يكون التحلي في تلك التحفة الفنية الخالدة 'علي اسم مصر' والتي يحاول الشاعر من خلالها أن ينجز سيرة فنية وجمالية وتاريخية أيضا لتحركات الشعب المصري من أجل الفكاك والحرية والإنعتاق، يبدع ملحتمه لتصبح شاهدا علي العبقرية المصرية حين تريد التعبير عن نفسها في صياغات فنية مبدعة:

علي اسم مصر التاريخ، يقدر يقول ما شاء أنا مصر عندي أحب وأجمل، الأشياء باحبها وهي مالكة الأرض شرق وغرب وباحبها وهي مرميه جريجة، حرب باحبها بعنف وبرقه وعلي استحياء وكرهها والعن أبوها بعشق زي الداء واسيها،

واطفش في درب، وتبقي هي في درب وتلتفت تلتفتي جنبها، في الكرب والنبض  
ينفض عروقي بألف نغمه وضرب علي اسم مصر.

كما تبرز الروح المصرية الصميمة بداخل التعبيرات والصور والأخيلة والمفردات،  
التي تنبع من صميم الواقع، لتصبح شاهده عليه:

مصر السما الفزدقي وعصافير معدية  
والقلة مملية ع الشباك.. منديه  
والجد قاعد مربع يقرأ، في الجورنال  
الكاتب المصري ذاته مندمج، في مقال  
ومصر قدامه أكثر كلمه مقرية  
قريتها من قبل ما أكتب اسمي بإيديا  
ورسمتها في الخيال، علي أبداع الأشكال  
ونزلت أيام صبايا، طفت كل مجال  
زي المنادي وفوادي يرتجف، بجلال  
علي اسم مصر

ومما سبق يتضح أن الحرية عند صلاح جاهين، لم تكن بديلا عن الفعل، لكنها  
تكاد تصل أحيانا إلي أن تصبح الفعل ذاته، إذ أدرك أن الحياة سوف تعجز عن اتمام  
دورها دون أن تتحقق هذه الحرية، لها حرية غير مشروطه، مرتبطة بقدرة الانسان علي  
الفعل والتحدي، تدور في فلكه وجودا وعندما فالانسان الموجود، هو الانسان الحر،  
القادر علي أن يتخذ قراراته بنفسه، لذلك فهو انسان مسئول يتحمل تبعات هذه  
الحرية، ولايتهرب منها، وفي قصيدة 'في الخنة'، حيث يتوفر للفرد كل ما يشتهي، الا  
أن الشاعر يدرك علي نحو حدسي بعدم قدرته، وقلقله، واسترابته، فيقول:

تطلب وتطلب في حاجات، لاتنتهي  
 كله يجاب  
 ما هي جنه طبعا يامهاب  
 لكن ما فيش غير بس شيء واجد وحيد  
 لو تطلبه، لايستجاب  
 انك تعوز تخرج من السور الحديد

وفي معظم أعمال 'صلاح جاهين' يمكن أن تعثر علي معاني متعددة للحرية، أها مثل خيوط النسيج بداخل الثوب، ومثل الضوء الذي يتخلل الظلام فيمنح الدنيا هذا البهاء لذلك فهو يؤمن بدور الكلمة وقدرتها السحرية علي الفعل، وانتاج المعني، وإثراء الحياة:

الكلمة إيد، الكلمة رجل، الكلمة باب  
 الكلمة نجمه كهربيه في الضباب  
 الكلمة كوبري صلب فوق بحر العباب  
 الجن يا احباب ما يقدر.. يهزمه  
 فاتكلموا..

ولسن تقتصر هذه الحرية عند 'صلاح جاهين' عند حدود معاني الكلمات فقط، فهي ليست حلية، أو زركشة لفظية، أو معدن جميلة تختزنها قصائده: لكنها تتجاوز هذا المعني لتصبح الجزء الفاعل من بناء متكامل، حاول الشاعر أن يؤسس لدعائمه في كل أعماله، وكانت أهم هذه الأعمال، وأكثرها قدره علي التجاوز والتأثير هي 'الرباعيات' التي سوف يكون لنا معها وقفة متأنية لمعانيه هذا المعمار العبقري الفريد.

## فلسفة الرباعيات

تعتبر الرباعيات من أهم إبداعات صلاح جاهين وأرقاها، وأقربها إلى ذاته، ربما لأنها تعكس حركة تحولات الشاعر، موضحا فيها رؤيته إزاء الحياة والمجتمع والكون، ويمكن من خلالها التعرف على سيرته الذاتية والنفسية، وقالب الرباعيات من القوالب المعروفة في الأدب العربي القديم والحديث، بل في الأدب العالمي المعاصر أيضا، وقد تمكن صلاح جاهين بعبقريته المرفهة، من تحميل هذا القالب بحمل أفكاره وتصويراته الحياتية، وقد أبدع فيه ومن خلاله، إلى الدرجة التي كدنا نعتقد.. أن صلاح جاهين هو أول من ابتكر هذا القالب، وكتب فيه، وأبدع طرائقه الفنية، إذ بلغ تفردَه إلى حد أن أصبحت 'الرباعيات' علامة عليه، كما أصبح هو علامة عليها، وكانت بصمته الفنية قوية واضحة، لا تحطئها عين، فصارت الرباعيات واسطة العقد، بين أعماله الكثيرة المتعددة، التي تتميز بأصالة الصوت الخاص، هذا الصوت الذي يتغلغل عميقا، بداخل النصوص الشعرية، ليهبها هذه الطاقة، التي تخلق مجالا مغناطيسيا جاذبا.. يسهم كل أعمال صلاح جاهين.

لقد كتب صلاح جاهين رباعياته منذ أوائل حقبة الستينيات من القرن الماضي، في لحظة من لحظات التحولات الكبرى للشاعر، وللمجتمع أيضا الذي كان يحاول اكتشاف ذاته عبر التوصل إلى خصائص الصوت الخاص.

والمستفحص للمضامين الأساسية للرباعيات سوف يكتشف بسهولة عمق هذه التحولات، ومدى ما تحمله بداخلها من تناقضات، قادت الشاعر إلى رحلة عميقة في محاولة للتعرف على التحركات الداخلية للذات، والبحث عن القوانين المنظمة لايقاع الحياة، ومن هنا يمكن فهم تلك الثنائيات المتناقضة التي تشغل في جدل مستمر بداخل أعماق الشاعر، إضافة إلى الأسئلة المتتالية، التي تعكس القلق الوجودي للإنسان، الذي

يسعى دائما إلى التحرر والانعقاد بلا جدوي، واستطاع صلاح جاهين أن يصنع اسطوره الخاصة عبر رحلة طويلة من المعاناة والصراع، ولعل القراءة المنصفة والمتأنية لهذا الشاعر الاستثنائي، سوف تؤكد لنا مدى صدقه وأصالته، وسوف يتبين لكل الذين حاولوا الانتقاص من تفرد، بتصنيفه باعتباره أحد شعراء سلطة 'يوليو' أن محاولتهم خائبه، لا يمكن لها أن تفلح، فقد ذهبت، الثورة بكل ما لها وما عليها، وبقت أشعار 'صلاح جاهين' تكتب في كل يوم ألقا جديدا، لا يمكن أن يخفت، وثبت أن 'صلاح جاهين' لم يخضع طيلة حياته لأية سلطة غير سلطة الشعر، فأصبح علامة فارقة في تاريخ شعر العامية المصرية، منذ بداية سطره الأولي، وحتى هذه اللحظة التاريخية التي اختطلت فيها الأحجام والألوان.

### العثور علي عروق الذهب.

وكما في معظم أعمال 'صلاح جاهين' فإن البحث عن الحرية، هو السبيل الوحيد للانفتاح علي أعماله، وفهم دوافعه الأساسية للكتابة.. ومن هنا يمكن فهم جرأته وغوصه في العميق من أجل تقديم اكتشافات جديدة، لم يسبقه إليها أحد يمكن إستثناء الشاعر الأكبر فؤاد حداد وفي معظم قصائده هناك محاولة لتقديم مقترح جديد، وحتى بالنسبة للقوالب المألوفة، فقد تمكن من أن يعيد اكتشافها عبر إعادة تفكيك انساقها البنائية، ومدّها بطاقة خلاقه، مثلما فعل في قالب الرباعيات، ليصبح الشكل في النهاية مجرد مقترح قابل لمختلف التأويلات.

لقد أعاد صلاح جاهين، اكتشاف قالب الرباعية، فجاء علي نحو ما قرأنا: منظومة فنية، بالغة التحديد والكثافة، عبر بنائية تعتمد صيغة السؤان المستمر، الذي يصعد من عمق القاع، ليتوتر السطح بمجموعة من الدوائر الصغيرة التي ترخذ في

الاتساع، لتستوعب في النهاية كونا بأكمله، لذلك فقد أصبح 'التحول' الدائم بمثابة النواة الأساسية داخل بناء الرباعية، وعلامة عليها، وهي تحولات تستمد غناها من مياد جوفية عميقة، مليئة بغابات من الرموز والصور والايحاءات البسيطة والمركبة في آن:

أنا كنت شيء، أصبحت شيء، ثم شيء  
شوف ربنا قادر علي كل، شيء  
هز الشجر شواشييه، ووشوشني قال:  
لا بد ما يموت شيء، عشان يحيا شيء

\* \* \*

وتأتي كلمة 'عجي' في نهاية كل مقطع، مثل حيلة فنية من الشاعر الذي يثير تساؤلات لاحصر لها، ولا يمكن، بل يستحيل أن يقدم لنا الاجوبه، فهو يترك مساحة من الفراغات التي تمتليء بشحنات قوية من الطاقة التي تعمل دائما علي إبقاء السؤال معلقا، بحيث تصبح الاجوبه إفتراضية متعددة بتعدد القراءات المختلفة، لتعكس ذلك القلق الوجودي إزاء معظم القضايا الكبرى للإنسان.

وفي النهاية فإن العبقرية الخلاقة 'لصلاح جاهين' مكنته من أن يصوغ القضايا الفكرية والانسانية والفلسفية الكبرى في قالب غنائي بسيط، متعدد الأوتار، قادر علي إستجلاب أعقد النغمات وأبسطها، ليكتب ويدع تلك الشحنات الإيقاعية المركزة، التي أمكن لها أن تتجاوز عصرها، لتشارف أمكنة وعصور أخرى مختلفة ومخالفة وتكتب معان متجددة لا يمكن حصرها أو حصارها.

## البحث عن المشروعية

لقد ثبت الآن، وبما لا يدع مجالاً لأي شك، أن طائر العامية مما كان بإمكانه أن يخلق عالياً بغير جناحيه القويين 'فؤاد حداد، وصلاح جاهين' وأن بناء المثلث الذهبي ما كان يمكن أن يكتمل بغير قاعدته المكيئة الشاعر الكبير 'بيرم التونسي' الذي منح أجيالاً كثيرة من بعده مشروعية التحريب، والجرأة علي الاقتحام والمغامرة والاكتشاف في مناطق غير مأهولة..

لقد جاء 'صلاح جاهين' مثل الشهاب، ليضيء سماء مصر بأكملها، ويؤكد عبر ملاحظته المصرية عن أصالة اصوت بمتد النسب، انه وريث شرعي لتراث عريق.. تجتمع في ذراته المتنافرة والمنسجمة كافة عناصر ملامح العبقرية المصرية، حين تشهر وجهه حضرةً، وتصبح قادرة علي التعبير عن مكنون شخصيتها، كما تظل قادرة أيضاً علي تجاوز أزماتها، للنهوض من جديد، لتنفذ الرماد عن كاهلها، وتحلق عالياً في سماءات من المحبة والتسامح ونبالة المقصد والضمير.

محمد كشيك

### من ربا عيات صلاح جاهين

سرداب في مستشفى الولاده طويل  
صرخات عذاب ورا كل باب وعويل  
.. وفي الطريق متزوقين البنات  
متزوقين للحب و المواويل  
عجبي !!

---

الدنيا أوده كـبيره للانتظار  
فيها ابن آدم زيه زي الحمار  
الهم واحد .. و الملل مشترك  
و مفيش حمار بيحاول الانتحار  
عجبي !!

---

أيوب رماه البين بكل العـلل  
سبع سنين مرضان وعنده شلل  
الصبر طيب .. صبر أيوب شفاه  
بس الأكـساده مات بفعل الملل  
عجبي !!!

---

نسمة ربيع لكن بتكوي الوشوش  
طيور جميلة بس من غير عشوش  
قلوب بتخفق إنما وحدها  
هي الحياه كده .. كلها في الفاشوش  
عجبي !!!!

---

يا طير يا عالي في السما طظ فيك  
ما تفتكر شي ربنا مصط فيك  
برضك بتاكل دود و اللطين تَعَوْدَ  
تمص فيه يا حلو .. و يمص فيك  
عجبي !!!

---

كروان جريح مضروب شعاع م القمر  
سقط من السموات فواده انكسر  
جريت عليه قطه علشان تبلعه  
أتاربه خيال شعراء و مالهوش أثر  
عجبي !!!

---

ياللي نصحت الناس بشي رب النبيت  
مع بنت حلوه .. وعود ، وضحك ، وحديت  
مش كنت تنصحه مئين يكسبوا  
تمن ده كله ؟ ... و الا يمكن نسيت  
عجبي !!

---

ما حد في الدنيا واخذ جزاته  
و لا حد بي فكر في غير لذاته  
ما تعرفيش يا حبيبتى .. أنا و انتي مين؟  
إنتي عروس النيل ... و أنا النيل بذاته  
عجبي !!

---

رقاصه خرسا و رقصه من غير نغم  
 دنيا .. يا مين يصلحها قبل النوم  
 ساعتين تهز بوجههـــــــــــــــــا يعني  
 يترجرجوا نهديها يعني نــــــــــــــــم  
 عجبني !!!

---

إخطفني ياللي تحبني ع الحصان  
 الدنيا قالت يوم في ماضي الزمان  
 إخطفني ياللي تحبني ع السفرس  
 الدنيا قالت .. قام خطفها الشيطان  
 عجبني !!!!

---

من بين شقوق الشيش و شقشقت لك  
 مع شهقة العصافير و زقزقت لك  
 نهار جديد انا .. قوم نشوف نعمليه  
 انا قلت يا ح تقتلني .. يا ح اقتلك  
 عجبني !!!

---

جالك أوان ووقفت موقف وجود  
 يا تجود بده يا قلبي يا بده تجود  
 ما حد يقدر يبقي علي كل شئ  
 مع إن - عجبني - كل شئ موجود  
 عجبني !!!

---

جالك اوان وعرفت مشي الجنايـز  
كيف شفتها يا عبد رب اللذايـذ  
قال : شفت شيل بالحيل فقير أو امير  
كما شائوا في الخمامير فواضي القرايز  
عجبي !!

---

أنا كنت شئى و صبحت شئى ثم شئى  
شوف ربنا .. قادر علي كل شئى  
هز الشجر شواشيه ووشوشني قال :  
لا بد ما يموت شئ عشان يحيا شئ  
عجبي !!

---

يا مشرط الجراح أمانة علـيك  
و انت ف حشايا تبص من حواليك  
فيه نقطة سوده في قلبي بدأت تبان  
شيلها كمان .. و الفضل يرجع إليك  
عجبي !!!

---

كيف شفت قلبي و النبي يا طبيـب  
همد و مات و الا سامع له دبيـب  
قاللي لقينه مختنق بالدمـوع  
و ما لوئش دوا غير لمسـه من إيد حبيب  
عجبي !!!!

---

تسلم يا غصن الخوخ يا عود الحطب  
 ببيجي الربيع .. تطلع زهورك عجب  
 وانا ليه بيمضى ربيع وبيجي ربيع  
 ولسه برضك قلبي حته خشب  
 عجبى !!!

قلبي عليل يا ناس و في الكاس دواه  
 مديت له ايدي شربت م اللي حواه  
 جنبي الشمال خف .. اليمين اتوجع  
 و ايه يداوي الكبد م اللي كواه  
 عجبى !!

.. دي مذكرات و كتبتها من سنين  
 في نوتة زرقا لون بحور الحنين  
 عترت فيها .. رميتها في المهملات  
 وقلت صحيح أما صحيح كلام مخبولين  
 عجبى !!

دخل الشتا وقفل البيبان ع البيوت  
 وجعل شعاع الشمس خيط عنكبوت  
 وحاجات كتير بتموت في ليل الشتا  
 لكن حاجات أكثر بترفض تموت  
 عجبى !!

الدنيا من غير الربيع مـيـتـه  
ورقة شجر ضعفـانـه و مـفـتـتـه  
- لا يا جدع غلطان تأمل وشوف  
زهر الشتا طالع في عز الشتا  
عجبي !!!

---

ياللي انت بيتك قش مفروش بريش  
تقوي عليه الريح .. يصبح ما فيش  
عجبي عليك حوالياك مخالبا كـبـار  
و ما لكش غير منقار و قادر تعيش  
عجبي !!!!

---

سمعت نقطة ميه جوه المحيط  
بتقول لنقطه ما تنزليش في الغويط  
أخاف عليك م العرق .. قلت أنا  
ده اللي يخاف م الوعد يبقي عبيط  
عجبي !!!

---

بحر الحياه مليان بغرقى الحياه  
صرخت خش الموج في حلقي ملاه  
قارب نجاه .. صرخت قالوا مفيش  
غير بس هو الحب قارب نجاه  
عجبي !!!

---

فارس وحيد جوه الدروع الحديد  
 رفر ف عليه عصفور وقال له نشيد  
 منين .. منين.. و لفين لفين يا جدع  
 قال من بعيد و لسه رايح بعيد  
 عجبي !!

---

كان فيه قمر كأنه فرخ الحمام  
 علي صغره دق شعاع شق الغمام  
 أنا كنت حاضر قلت له ينصرك  
 إشحال لما حتبقي بدر التمام  
 عجبي !!

---

النهد زي الفهد نط اندلع  
 قلبي انهيش بين الضلوع و انخلع  
 ياللي نهيت البنت، عن فعلها  
 قول للطبيعة كمان تبطل دلع  
 عجبي !!!

---

## صلاح جاهين بقلم جابر عصفور

لعل من يتابع جيداً شعر العامية يدرك للوهلة الأولى أنه مرتبط بمعنى المقاومة. وهو شعر ضد الضرورة، ضد شروط القهر التي ظل الشعب المصري يعانيها، ولا يزال، بمعنى من المعاني. وصلاح جاهين من هذا المنظور هو امتداد لكل شعراء المقاومة بالعامية كالسندم وبسرم التونسي، ويمكن أن نضيف فؤاد حداد والأبنودي وغير هؤلاء من الشعراء. وللمقاومة عند صلاح جاهين محاور ثلاثة: المحور الأول هو الحب، لأن من يقاوم إنما يقاوم من أجل شيء يحبه وفي مواجهة شيء يبغضه. وكان صلاح جاهين طوال حياته الإبداعية يحب الفقراء، البؤساء، أبناء القاهرة الذين يعني لهم دائماً، ويحتفي بهم، ويأسى لما يحدث لهم؛ ويواجه من أجلهم كل قوى البطش والطغيان في تجلياتها المختلفة وفي أشكالها المتعددة. من هنا كان شعر صلاح جاهين شعر مقاومة بامتياز، بقدر ما ينطوي على معنى الحب وقيمه ينطوي في الوقت نفسه على معنى الرفض وقيمه. كان يرفض كل ما يشوه الحياة، وكل ما يسيء إلى الفقراء، وكل ما يؤدي إلى ظلمهم، ولهذا تعلق بثورة عموز (يوليو) ١٩٥٢، ورأى فيها حلماً قديماً يتحقق، فغنى لها ومن أجلها ومن أجل أهدافها أجمل الأغنيات، وظل مؤمناً بما مثل أبناء جيله: أحمد عبد المعطي حجازي وصلاح عبد الصبور وغيرهما من الذين آمنوا بعودة الثورة في تحقيق الحرية والعدل للجميع. لكن الثورة نسيت وعردها وانقلبت عليها، فكانت كارثة العام السابع والستين التي أحالت الأحلام إلى كوابيس، والإيمان إلى رفض وعدم يقين.

وبدأت المراجعة المأسوية ودروامة الموموم والاستغراق في التأمل والإدانة للذات. وبقدر ما كتب أحمد عبد المعطي حجازي «مرثية العمر الجميل» من هذا المنطلق، وصلاح عبدالصبور «تأملات في زمن جريح» كتب صلاح جاهين قصيدته المبدعة «على اسم مصر» من المنطلق نفسه، مراجعاً الحلم الذي تحمّس له، مواصلاً الرفض لكل القيم السلبية التي قضت على الأمل وكل الشرور التي أفسدت الحلم على البسطاء. هكذا ظهر الوجه الثاني لصلاح جاهين الرفض، الساخر، المتأمل في ميثافيزيقا الوجود التي لم تمنع الإنسان من معانقة المستحيل وتحديّي العدم. وكان من ذلك، وفي سياقها، «الرباعيات» التي لا تزال درة جاهين التي لا مثيل لها. وظل الرفض مرتبطاً بصفة أخرى، لعلها نتيجة لمعنى المقاومة في بعده الخاص بالحب والرفض على السواء، وهي صفة الارتحال بين الأنواع الفنية، الأشكال المختلفة لقصيدة العامية، وأنواع الفنون المختلفة، فظهر الشاعر والرسام والممثل وكاتب الأوبريت والأغاني الساخرة. ولم يكن ذلك كله سوى تعبير عن حال ارتحال متعددة الأبعاد، وعلامة على صلاح جاهين الذي لم يكن يهدأ من القلق والتوتر والتمرد الذي لا يستكين، فقد انطوى على نوع من النار المقدسة التي ظلت تلتهب داخله وتدفعه إلى التجريب والمضي في كل طريق، يراه مساعداً كي يحقق حلمه الأكبر، وأمله الأعظم، وهو الانتقال ببلده من وهاد الضرورة إلى آفاق الحرية. ولهذا ظل شعر صلاح جاهين في حياته وبعد مماته قريباً من الشعب والبسطاء كل القرب، بعيداً من قوى الشر والطغيان كل البعد.

ولكن صلاح جاهين ظل شاعراً بالدرجة الأولى، وارتحاله في الشعر أكثر أهمية من ارتحاله في كل مجال غيره. قد ناقش أثره بصفته ممثلاً، ظهر في بعض الأفلام، وكان خفيف الظل مؤثراً إلى حد كبير، في أدوار صعبة. ويمكن أن ناقش دور صلاح جاهين بوصفه كاتب أوبريت بالقياس إلى الشاعر، لكن المؤكد أن الشاعر فيه كانت له السطوة الأولى. ولم تكن مصادفة أن صلاح جاهين ولد عام ١٩٣١، وولد صلاح

عبدالصبور في العام نفسه، وأن هذا وذاك ومعهما الفارس الثالث أحمد عبد المعطي حجازي - الأصغر منهما سنوات قليلة - قد شقوا في الشعر المصري طرقاً جديدة وأفقاً واعداداً لم يكن لهما وجود من قبل، فكانت قصيدة العامية موازية في النشأة التأسيسية لقصيدة التفعيلة - أو الشعر الحر - غير بعيدة من قصيدة النثر، في مدى التمرد العام على قيود الضرورة الإبداعية، والبحث عن دروب مغايرة. ولذلك دخل الشعراء الثلاثة - صلاح جاهين وصلاح عبدالصبور وحجازي - معارك طاحنة مع العقول الرجعية الجامدة المتكلسة. ولم يتردد صلاح جاهين، فيما أذكر وتؤكد الجرائد المصرية، أن يخوض معركة الشعر الحر إلى جانب أحمد حجازي وصلاح عبدالصبور في مواجهة العقاد بصفته أكبر قوة أدبية في ذلك الوقت، وكان العقاد في المجلس الأعلى للثقافة (كان اسمه في ذلك الوقت المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب) مقررًا للجنة الشعر، وكان يرفض شعر أمثال حجازي وعبدالصبور ويحيله إلى لجنة النثر للاختصاص. لقد أدرك صلاح جاهين، وكان مدركاً منذ البداية، أنه جزء من حركة إبداعية متمردة، حركة طليعية يمارس فيها ومعها دور الطليعة الرافضة مع حجازي وعبد الصبور وأقرائهما من البدعيين في الفنون الموازية، ومع الرائد الذي سبقهم جميعاً: عبد الرحمن الشرفاوي، فضلاً عن فؤاد حداد في قصيدة العامية، مدفعين إلى الأمام، محطمين عوائق المعارضة التي كانت تبديها وتمارسها العقول الجامدة. ولهذا وقف صلاح جاهين بالصورة المرسومة للكاريكاتير، والتعليق، والأغنية، والقصيدة، مع حركة الشعر الجديدة.

لذلك، ينبغي علينا، نحن النقاد، أن نعدّه واحداً من أعلام حركة الشعر الحر في مصر، ورافداً من أهم روادها، ذلك لأنه انتقل بالقصيدة العامية - التي كانت مجرد زجل أو موال - إلى قصيدة إبداعية بكل معاني الإبداع، ولا فارق جذرياً بين قصيدة لصلاح جاهين وأخرى لصلاح عبد الصبور من هذا المنظور، إلا في بعض النوارق

الأدائية اللغوية التي لا تقضي على جوهر الإبداع الشعري هنا أو هناك. ومن يُعدُّ قراءة قصائد صلاح جاهين، سوف يجد أنها قصائد بالمعنى الكامل للقصائد، لكنها مكتوبة بالعامية فقط. ولكن حتى هذه العامية كانت أقرب إلى الفصحى، بل إنني لا أزال أذكر مجموعة من القصائد التي يمكن أن نُنطقها بالفصحى فلا يتأثر المعنى بحال من الأحوال، فالتراكيب والصياغات والصور أقرب إلى الفصحى، وبذلك ارتفع صلاح جاهين بما كنا نسميه شعر الزجل أو شعر العامية إلى مستوى قصيدة العامية، فاتحاً الطريق للأجيال التي جاءت بعده، ابتداءً من عبدالرحمن الأنودي وسيد حجاب. ولعل انتشار هذا المصطلح - قصيدة العامية - كان دلالة على التحول الكبير الذي أحدثه صلاح جاهين وأستاذه فؤاد حداد في الكتابة بالعامية، حيث انتقلا من المستوى الذي كان يكتب به بيرم التونسي أو النديم أو غير هذين الشعارين إلى مستوى آخر، يختلف كل الاختلاف، ويؤدي وظائف مغايرة، نسميه قصيدة العامية وليس الشعر العامي، فالشعر العامي أو الشعبي أو الزجلشي شيء، وقصيدة العامية شيء مختلف جذرياً، وليس الاختلاف مسألة لغة في هذا السياق، بل في مجموعة من الخصائص الفنية والإبداعية التي تجعل من قصيدة العامية شعراً يختلف عن شعر العامية بمعناه الساذج المرسل.

إن شعر صلاح جاهين شعر صورة بالمعنى الذي يؤكد جوهر الشعاعية والخيال. والصور التي كان يلجأ إليها، في أغلب الأحيان، تمتلئ بالكثير من أدوات التشبيه التي تعتمد عليها الأسطر الشعرية. وإلى جانب الصورة التشبيهية، هناك الصورة الكنائية التي تصور المشهد الذي يبدو من الظاهر وصفاً بصرياً، لكنه في نهاية الأمر يتحول إلى مجاز أو استعارة أو رمز لشيء أبعد منه. أذكر مثلاً حديثه عن الليل في قصيدة «تراب ودخان»، وأذكر أشعاره عن القمر، و «رباعياته» عندما يتحدث عن مفردات الطبيعة - الأعشاب، والهواء - والرغبة في ممارسة المستحيل، أقصد إلى تلك الرغبة التي تجعله يتطلع إلى القمر ويقفز إليه في الهواء، ولا يعنيه أن يطول القمر أو لا يطوله، يصل أو لا

يصل إليه، فالمهم هو المحاولة، والسعي إلى المستحيل. والإبداع في جوهره هو بحث عن لؤلؤة المستحيل، كما قال أمل دنقل ذات مرة، وهو بحث عن الذي لا يتحقق، والذي ينبغي أن لا نكف عن محاولة الوصول إليه حتى لو لم نصل، فالأهم من محطة الوصول الرحلة نفسها، ومتعة السفر في ذاتها، بهذا المعنى كان للفلسفة الوجودية مغزاها عندما أكدت أن سيزيف كان عارفاً بأن محاولاته مقضي عليها بالفشل، لكنه لم يكن يكف عن المحاولة، لأنه كان يدرك أن وجوده كإنسان خالق متمرد لا ينفصل عن المحاولة. هذا هو ما نجده في شعر صلاح جاهين، حيث المحاولة الدائمة من خلال الصورة والرمز والكناية للوصول إلى المستحيل الذي يتباعد كلما اقتربنا منه، وكنا نتمسك بأصابع آمياتنا. لكن وجود هذا المستحيل يظل شرطاً لحياتنا التي لن يكون لها معنى دون المحاولة المستمرة الدؤوبة التي تفرض على العبد واللاجدوى في حياتنا المعنى والمغزى، وتميزنا نحن البشر الفانين، الذين - مع علمنا بأننا محدودو القدرة - لا نكف عن التشبه بالآلهة.

والأمر الذي يلفت الانتباه في شعر صلاح جاهين - إلى جانب ذلك - هو صفة «الدرامية». ولعل من يقرأ هذا الشعر متأملاً يجد أنه ينطوي على صوتين على الأقل: صوت الشاعر الذي يتحدث، وصوت الشاعر الذي يُتحدث إليه، كأن صلاح جاهين ينقسم دائماً في قصائده إلى ذات وموضوع. الذات تتأمل الموضوع خارجها، لكنها في الوقت نفسه تتأمل الموضوع الذي هو إياها. ولهذا نلاحظ أنه بمقدار ما يقيم موازاة بين نفسه وهرم صغير مثلاً، يقيم موازاة بين نفسه وأشياء أخرى، كي يتأمل الحضور المحاصر لهذه الذات، التي كان اليأس ينتابها أحياناً، لكنها لم تكن تكف عن محاولة التحدي. ولهذا كانت الدرامية موجودة في قصائد صلاح جاهين العامة منذ البداية إلى النهاية. ول ذلك لم أستغرب مثلاً أنه كتب «الليلة الكبيرة» بأصواتها المتعددة. التي انتقلت من الأوبريت إلى قصيدته العامة الشهيرة جداً «على اسم مصر»، وهي قصيدة

تحمل كل ما يمكن أن يتميز به شعر صلاح جاهين، وكأنه في هذه القصيدة كان يحاول أن يستعرض تاريخه الشخصي، ممزوجاً بتاريخ مصر كلها، متأملاً الذات في الموضوع، والموضوع في الذات. وللأسف لم يستطع أن يكمل الاستعراض التاريخي، فتوقف عند نقطة صعبة حاسمة لم يستطع أن يكمل بعدها فاحتبس صوته واحتقن: مستسلماً للإحباط العظيم الذي قاده إلى الموت، حسرة على سقوط كل الأحلام التي غنّى لها أجمل ما كتب. وعندما قرأت هذه القصيدة للمرة الأولى أدركت أن صلاح جاهين سوف يفارقنا، وأنه لا بد من أن يرحل عن هذا العالم القبيح الذي أسهم في وجوده بمعنى أو آخر عندما لم يكف عن الإيمان المطلق وبزعيمه الذي لم يكن هناك زعيم غيره.

إن شعر صلاح جاهين بمقدار ما يحمل من درامية يحمل في طياته تعدد مستويات اللغة، وهذا التعدد جزء من درامية القصيدة في الوقت نفسه، يقول في القصيدة نفسها:

**رحيلاً رحيلاً بغير هوادة/ رحيلاً فإن الرحيل سعادة /عبادة/  
إرادة / سيادة / ولادة/ رحيلاً... إلى أين ليس يهم/ وليس يهم  
بأي وسيلة.../**

ولعل اللافت للانتباه في المقطوعة كلها - وهي بالفصحى - تأكيد فكره الرحيل، أو الانعتاق، حيث الخروج من سجن المكان الذي ضاق بعاشقيه، والزمان الذي أحبط آماني المتطلعين الحالمين بمستقبله الذي بدا واعداء، خصوصاً حين تبدل المكان والزمان واستحالاً إلى واقع للضرورة، محاصر، كئيب. والانطلاق ليس سفيراً في الزمان والمكان، إنما هو سفر في الوعي، المعرفة، سفر لاكتشاف الذات وإعادة اكتشاف العالم الذي ازداد قبحاً، بعد هزيمة ١٩٦٧ وما أدت إليه من تدحور الدولة القومية وسقوط رموز المشروع القومي وأحلام هذا المشروع.

لذلك كان على صلاح جاهين الذي غنى حالمًا بأن يكون في كل قرية عربية أوبرا ومستحف...، أن يغتسي للتمرد الذي ينبغي أن يتوهج في النفس كي تقاوم به شروط الضرورة في العالم المنهار، المملوء أخطاء، والذي لم يتوقف انهيته، بل ازداد بعد وفاة عبد الناصر. ولهذا ظلت كتابة القصيدة عند صلاح جاهين مزيجاً من العذاب والمقاومة في الوقت نفسه، ونوعاً لا يتوقف عن حب الفقراء الذين ظل منحازاً إليهم إلى اللحظة الأخيرة في حياته التي لم تتوقف عن المقاومة، والتي ظلت تنطوي على معنى السخرية، لأن المقاوم لا يستطيع أن يستمر في مقاومة بطش برائن ومردة الظلام إلا بالسخرية منهم، السخرية التي تقلّم أظافر الطغيان، وتجعل الطغيان نفسه موضوعاً للضحك، والبسمة التي تخفف عذاب المقموع، وتجعله على المستوى التحليلي - على الأقل - يتصور إمكان انتصاره على القامع. ومن يقرأ الرباعيات، أو أشباهها، سيجد صلاح جاهين يسخر من نفسه، العالم حوله، لكنها السخرية التي تبعث على البسمة التي تتحول بمعنى من المعاني إلى مقاومة لعبث الوجود وعبث السياسة، ومقاومة انحدار الأحلام وانكسارها وتحطمها، بسبب صعود قوى الشر. وظل صلاح جاهين يواجه بهذه السخرية واقعه المتدهور، ويحمي بها نفسه من الآثار المدمرة لهذا الواقع. ولكن لم تنفصل السخرية، قط، عن التأمل الوجودي في كائنات الوجود وبعد الوجود. لذلك، فبقدر ما تكثر نبرة السخرية ترتفع نبرة التأمل وتحديقه العين المتأمل، فالسخرية قرينة التأمل، والعلاقة بينهما متبادلة في قصائد صلاح جاهين التي لم تكف عن الارتحال بين المسدن، والمسيدين، والأماكن، والأفكار، محدقة في كل شيء، كي تحيل كل شيء إلى موضوع لسخرية المقاوم لا العاجز الذي أبدع شعراً، يظل نوعاً من الفرح المختلس.

## الحياة

جابر عصفور

## احتفالية صلاح جاهين

القمح زى الفلاحين  
 القمح مش زى الذهب  
 القمح زى الفلاحين  
 عيدان نحيلة  
 جذرها بياكل فى طين

هكذا تحدث صلاح جاهين، فى أول دوارينه كلمة سلام، وصلاح جاهين هو شاعر العامية المصرى الكبير والرسام والممثل الذى احتفلت الأوساط الثقافية المصرية منذ أيام قليلة - فى المجلس الأعلى للثقافة - بذكرى ميلاده السادسة والسبعين، على مدار يومين كاملين أعدتهما لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة.

تحدث فى جلسات هذين اليومين عديدون من أهل الشعر والفن والنقد، من بينهم د. جابر عصفور أمين عام المجلس وأحمد عبدالمعطى حجازى مقرر لجنة الشعر وسيد حجاب المشرف على الاحتفالية وبهاء جاهين الشاعر ابن الشاعر، كما تحدث: حسن طلحسب وزين نصار وفتحى الخميسى ومصطفى عبدالله ومحمد عبدالمطلب ومسعود شومان وجلال الشرقاوى ومحمود أمين العالم ومصطفى حسين وأمين حداد والمعنى على إسماعيل.

وصلاح جاهين ثانى اثنين، إذ هما نقلا كتابة العامية المصرية من طور الزجل إلى تطور الشعر الحديث فى مواكبة أصيلة لحركة الشعر الحر الفصيح التى نقلت القصيدة الشعرية من طور العرود الرومانتيكى التقليدى إلى طور الشعر الحديث، منذ أوائل الخمسينيات الثانى هو: فؤاد حداد.

من عناصر هذه النقلة - التي فُحِضَ بها جاهين وحداد - أن صار البعد الاجتماعي والسياسي أشمل من الاقتصار على المهجاء الاجتماعي للنماذج البشرية بطريقة لاذعة مثلما كان في طور الرجل السابق عند عبدالله النديم وبيروم التونسي، ومن عناصرها أن تحررت القصيدة شكليا من النمط الهندسي المحدد سلفا لعدد الوحدات الموسيقية التفعيلة باتجاه اعتبار التفعيلة - لا عدد التفعيلات في بحر معين - هي الأساس الموسيقي للوزن الشعري، وهكذا تضافرت انقلتان: النقلة الفصيحة التي قادها صلاح عبدالصبور وأحمد عبدالمعطي حجازي، والنقلة العامية التي قادها فؤاد حداد وصلاح جاهين.

لذلك فمن الطبيعي أن يتحدث أحمد عبدالمعطي حجازي عن صلاح جاهين، موضحا أن الشعر عند جاهين يصبح لغة للجماعة أصدق من لغتها اليومية وأكثر حميمة، وهنا نستعيد ما قاله لوتر يامون الشاعر الفرنسي المجدد عن الشعر الذي ينبغي أن يكتبه الجميع، لا فرد واحد، والشعر، إذن، عند جاهين وعند كل مبدع أصيل، هو عمل فردي وعمل جماعي في الوقت نفسه، بحيث يغدو مغامرة فردية في اكتشاف روح الجماعة التي يستطيع كل شاعر أن يصل إليها بطريقته، وها هي قطعة من قطع جاهين، التي تعد مثالا دقيقا على فكرة حجازي:

أنا لوحدى مفيش حاجة  
مجرد اسم متشخبط على ورقة  
في إيد واحد مدير  
أصله قومسيونجي.

**تجربة وجودية:**

كان الأساس النظري هذه النقلة في شعر العامية التي قادها جاهين مع رفاقه تقوم على ثلاث ركائز: الأولى هي أن الكتابة بالعامية لا تعني الحرمان من التطور والتقدم

الفنى والفكرى، والثانية هى أن الشعر الحقيقى هو ذلك الذى يعبر عن تجارب البشر البسطاء وعن حركة المجتمع الداخلية تحت قشرة الحياة الخارجية وعن نبض العصر الذى ينبت فيه، والثالثة هى تمهيم الفكرة السطحية التى سادت تجاه الكتابة بالعامية، والزاعمة أن هذه الكتابة طالما هى تستخدم لغة العامة فليس لها أن تطمح إلى التعبير عن هموم الإنسان المعاصر وأشواقه الإنسانية: الوجودية والفكرية والمركبة، سيقول لنا جاهين، مصداقا لكل ما سبق:

ولدى نصحتك لما صوتى أتنبج  
 ماتخافش من جنى ولا من شبح  
 وان هب فيك عفريت قتيل اسأله  
 مادافعش ليه عن نفسه يوم ما اندبج.

كاتب سجل الثورة:

كان صلاح جاهين مترجم ثورة يوليو الغنائى، بحق، وسيظل تاريخنا الثقافي يذكر له أنه استطاع أن يحول المبادئ والقيم والشعارات والأهداف الوطنية والمؤسسات السياسية والخطط الإنتاجية، إلى جمل شعرية، صارت تتردد على كل لسان حينما أداها صوت عبدالحليم حافظ، حتى صارت هذه الأغنيات سجلا لمرحلة طويلة وهامة من مراحل الثورة المصرية، حافلا بمفردات العمل السياسى لثورة يوليو ١٩٥٢: إحنا الشعب، التنظيم السياسى، الاتحاد الاشتراكى، التصنيع الثقيل، الاشتراكية، الوحدة، السد العالى، فلسطين، الميثاق، قوى الشعب العامل:

كلنا هنا فى الصورة زمايل  
 نوفى اللى ميثاقنا عليه قايل  
 من أصغر طفلة بجدايل  
 على زرع وحصد بتتمايل

للفلاح أبوخير وجمائل  
للواعظ حافظ القرآن  
للجندي الأسد اللبي شائل  
على كتفه درع الأوطان.

والواقع أن الحديث عن هذه المواكبة الشعرية الغنائية التي ترجم بها جاهين شعارات الثورة، تدفعنا للقول بأن جاهين - في ذلك - كان يجسد دور الحامل الأيديولوجي لفكر الثورة. ينقله - بالترجمة الغنائية إلى الجماهير المراد شحنها بهذه الأيديولوجية الجديدة، وكان ذلك وجهها من وجوه عبقرية جاهين الكبيرة من جهة، لكنه كان في الوقت نفسه وجهها من وجوه مأساته الكبيرة، من جهة ثانية، لاسيما بعد الهزيمة القاسمة للتجربة الناصرية من ١٩٦٧، وانكشاف الغطاء المزركش البراق عن خراب عميق عميم، ذلك الخراب الذي دفع حجازي - نظير جاهين في النقلة على الجانب الفصيح - يسائل جيله المسائلة المفجعة الشهيرة، قائلا بلسان نفسه ولسان جاهين:

من ترى يحمل الآن عبء الهزيمة فينا؟  
المغنى الذى طاف يبحث للحلم عن جسد يرتديه؟  
أم هو الملك المدعى أن حلم المغنى تجسد فيه؟  
أم ترانا خدعنا معا بسراب الزمان الجميل؟

عاش صلاح جاهين، المرحلة الأخيرة من حياته (بدءاً من رحيل عبدالناصر ١٩٧٠، انتهاء برحيله هو في منتصف الثمانينيات) معانيا إحدى الأزمت الروحية الكبرى التي يعانيتها الشعراء الكبار الصادقون، اتجه فيها إلى الأغنيات الخفيفة والأفلام الخفيفة لكن جاهين، برغم هذا التوجه الخفيف الناجم عن الأزمة الثقيلة، لم يترلق إلى كتابة أعمان أو قصائد تترجم أو تجسد أو تبرر الاتجاهات السياسية والاجتماعية

والاقتصادية التي سادت في عصر السادات. كما أنه أصدر ديوانه أنغام سبتيمرية في هذه المرحلة (١٩٨٤) في رثاء عبدالناصر، وفيه رائحة من أريج جاهين القدم، وفي كل حال من أحواله، استمرت قدرته الباهرة على إلهام المصريين.

وفي قلب هذه الأزمة الكابية خرجت مآثرته العظمى الرباعيات، التي حفلت بالفن الرفيع، والحكمة المصفاة، والبساطة الجارحة، والألم الباسم أو البسمة الأليمة، حيث ضرب الطبيعة والأنوثة بريشة واحدة في قوله:

النهد زى الفهد نط اندلع  
قلبي اتهبش بين الضلوع وانخلع  
ياللى نهيت البنت عن فعلها  
قول للطبيعة كمان تبطل دلع

وحيث صرخ في وجه الكبت والتمتع، داعيا إلى الحرية والصراحة والهواء الطلق، في رباعيته الساحرة:

يا عندايب ماتخافشى من غنوتك  
قول شكوتك واحكى عن بلوتك  
الغنوة مش حتموتك، إنما  
كتم الغنا هو اللي حايموتك

تاجر السعادة الحزين:

تميز شعر صلاح جاهين، في قصائده الشعرية لا في أغانيه السياسية، بالاقتراب من روح الشعر الحديث، في حين كانت أغلب قصائده شريكه فؤاد حداد على الرغم من خصوصيتها العارمة وموسيقيتها الجارفة تكاد تقترب من روح النظم المهندس هندسة تجالسه مقاربا للشعر العمودي الفصيح، وقد عبّر جاهين، نفسه، عن هذا التباين حينما قال في مقدمة أعماله الكاملة: تأثر فؤاد بخطابية الشعر العربي القديم أكثر مني، لأنني

كنت قد بدأت أغازل الشعر الحديث الذى حطم عمود الشعر، والذى كان شعراء الفصحى قد بدأوا ينشرونه، ولكنه لم يكن يتزل لتؤاد حداد من بلعوم.

فى أواخر الستينيات، سُئى جاهين عن حداد فقال: فؤاد حداد أشعر منى، لكننى أشطر منه، والحق أن هذا الرأى لا ينطوى على الحقيقة بقدر ما ينطوى على التواضع والغيرية والبساطة التى يتسم بها السامقون، فقد حرثت شعرية جاهين الطاغية فى كل حقل، وحفرت فى كل وجدان، فهو بحق تاجر السعادة فى شعر العامية المصرية الحديث، حتى وإن لم يكن هو نفسه سعيدا، ولعل هذا المعنى هو ما قصد إليه جابر عصفور، حينما قال فى افتتاح الاحتفالية: إن جاهين رمز عزيز من رموز مصر الثقافية الكبيرة، رابطا بين حركة شعر العامية المصرية وبين حركة المقاومة الوطنية المصرية، وجاهين - بهذا المعنى - شاعر مقاومة من الطراز الرفيع.

أما أوبريت الليلة الكبيرة حيث: طار فى المواء شاشي/ وانت ما تدراشي، وكلمات هو وهى حيث: البنت زى الولد/ ماهيش كماله عدد/ فى الاحتمال والجلد/ مذكورة فى المعجزات، وقصيدة بحر البقر، كل ذلك سيظل لبنات أساسية من بنيان الضمير المصرى الحديث، والبهجة المصرية الحديثة.

سلام، يا صاحب كلمة سلام.

حلمى سالم

## صلاح جاهين صوت مصر وصوت البشرية القاهرة - مكتب "الرياض"، شريف الشافعي

وصف مثقفون وأكاديميون مصريون الشاعر والرسام والكاتب متعدد المواهب صلاح جاهين (١٩٨٦-١٩٣٠) بأنه "صوت مصر وصوت البشرية"، وذلك في احتفالية نظمها أخيراً المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة بالتعاون مع مركز توثيق التراث الحضاري والطبيعي وجمعية فناني الكاريكاتير على مدار يومين بمناسبة مرور عشرين عاماً على رحيل جاهين .

شارك في الاحتفالية عدد من المبدعين والشعراء والباحثين والأكاديميين، من بينهم: الدكتور جابر عصفور الأمين العام للمجلس الأعلى للثقافة، والشاعر أحمد عبد المعطي حجازي مقرر لجنة الشعر بالمجلس، والشاعر سيد حجاب مقرر الاحتفالية، والدكتور فتحي صالح مدير مركز توثيق التراث الطبيعي والحضاري، والشاعر بهاء جاهين الذي ألقى كلمة أسرة الراحل صلاح جاهين، والناقد الدكتور محمد عبد المطلب، والشاعر حسن طلب، والناقد محمود أمين العالم، والفنان مصطفى حسين نقيب التشكيليين، والشاعر أمين حداد، وآخرون. اشتملت الاحتفالية على جلسات نقدية لمناقشة أعمال جاهين الأدبية والفنية في مختلف المجالات، وأمسيات شعرية بمشاركة كبار الشعراء ومنهم: محمد عفيفي مطر وحجازي وسمير عبد الباقي وماجد يوسف وغيرهم، فضلاً عن أمسيات غنائية للفنانين والموسيقيين علي الحجار وسلمي الصباحي وإبراهيم رجب .

الدكتور جابر عصفور أشار إلى أن صلاح جاهين هو امتداد لكل شعراء المقاومة، والمقاومة لديه تتحلى في ثلاثة محاور: الأول الحب؛ فهو يدع من أجل شيء يحبه، وفي مواجهة شيء يبغضه، وكان يحب الشعب البسيط ويكره كل ما هو غير إنساني من قهر وظلم وتعسف. والثاني الرفض، رفض كل ما يشوه الحياة وكل أشكال الظلم، ولهذا غنى جاهين لأجل ثورة يوليو ولأجل أهدافها، لكن هذه الثورة شيدت الكارثة في عام ١٩٦٧م جعل المتحمسين لها ينتقلون من الحلم إلى الكابوس. والثالث الارتحال، فقد كان جاهين لا يكف عن الارتحال بين الأنواع الفنية داخل الشعر، وبين أنواع الفنون المتعددة كالكاريكاتور والأوبريت وحتى التمثيل السينمائي.

وأشار الشاعر والتشكيلي محمد بغدادي إلى أن عبقرية جاهين الكاريكاتيرية تكمن في امتلاكه لرؤية واعية وثقافة ذات حس وطني ورغبة أكيدة في إحداث تغيير في المجتمع، وقال بغدادي: لأن جاهين شاعر، فإن إحساسه بنض الشارع المصري والعربي جعله دائماً على خط التماس مع مشكلات الناس وقضاياهم، وهذا ما جعله يشترك مع الواقع، وبالتالي فإن أعماله الكاريكاتيرية كانت نابعة من قبل هذا الشعب في هنزله وجسده، إذ إنه لم يسع مطلقاً لافتعال الموقف الكاريكاتيري، بقدر سعيه للبحث عنه واستخراجه من أعماق هذا الشعب الساخر دائماً.

وأوضح الناقد الدكتور محمد عبد المطلب أنه من الممكن مقارنة رباعيات صلاح جاهين، لا بوصفها نصوصاً إبداعية فحسب، بل بوصفها نصوصاً ثقافية تأسست في نصب جمالي يجمع بين الفردية والجماعية على صعيد الشعرية التي تحولت إلى أنشودة جماعية ينشدها شاعر فرد. وعن التحليل اللغوي لمفردات الرباعيات الجاهينية قال الدكتور محمد عبد المطلب: عند قراءة رباعيات جاهين من خلال المتابعة الكمية لمفرداتها اللغوية نجد نتيجة لافتة، فجملة مفردات الرباعيات تبلغ ٣٦٤٣ مفردة، منها ٣٩٦٠ مفردة فصيحة و ٦٨٣ مفردة عامية، والنسبة بينهما ٨٢% للفتحة و ١٨%

للعامية، ومعنى هذا أن الرباعيات تنتمي للغة الفصيحة على نحو من الأنحاء، حتى أن بعض الرباعيات جاءت مفرداتها فصيحة خالصة .

وقال الشاعر بهاء جاهين: إن رباعيات صلاح جاهين لم تكن تأملات فلسفية محضة كما هو شائع، بل عكست تجارب شخصية ووطنية طاحنة، ولم ينفصل لديه ما هو قومي عما هو فلسفي أو شخصي .

أما الشاعر أحمد عبد المعطي حجازي فإنه أكد أن صلاح جاهين لم يكن مجرد شاعر عامية مصري وحسب، ولكنه شاعر عربي كبير، وحين نحتفل بجاهين فإننا نحتفل بقيمة شعرية كبيرة ليس في مصر وحدها، بل في شعر العامية كله، نحتفي بابن عروس والندم وبيرم التونسي وفؤاد حداد وحسين شفيق المصري. وقال حجازي: لم يكن جاهين صوتاً بسيطاً مفرداً، وإنما كان مجمع أصوات، كان صوت مصر وصوت البشرية، صوت الجماعة المصرية كما رآها في الواقع وفي الحلم معاً، فجاهين ليس ثمرة تراث قومي مغلق، وإنما هو ثمرة كل من التراثين القومي والإنساني، وهو يدين للوركا وبول إيلوار بقدر ما يدين لأحمد شوقي وبيرم التونسي .

والشاعر والفنان متعدد المواهب صلاح جاهين من مواليد ديسمبر في عام ١٩٣٠، ويعد من أبرز الذين كتبوا بالعامية المصرية مستخدماً ألفاظ الشارع المصري البسيط لتصوير الأحداث الجارية في مجمل أشعاره وكلمات أغنياته وفي رسومه الكاريكاتيرية المعيرة عن الواقع .

وقد اعتبره النقاد امتداداً لبيرم التونسي سيد الرجل الشعبي والسياسي في مصر في القرن العشرين، وقد وصل جاهين إلى مختلف الفئات والأوساط الاجتماعية حتى الأطفال الذين قدم لهم أشعاراً وأغنيات ومسرحيات ذائعة الصيت، فضلاً عن الفوازير الرمضانية المحببة، وأوبريت "الليلة الكبيرة الشهير، كما كتب جاهين بعض

السيناريوهات والحوارات التليفزيونية (مثل حلقات "هو وهي") والسينمائية (مثل أفلام: "خلي بالك من زوزو"، و"أميرة حبي أنا"، و"شفيقة ومتولي"، و"المتوحشة")، كما شارك في التمثيل في بعض الأفلام (مثل: "شهاد الحب الإلهي"، و"لا وقت للحب"، و"الممالك").

وقد أصيب جاهين بحالة من الاكتئاب والعزلة في أعقاب نكسة ١٩٦٧ استمرت حتى رحيله في عام ١٩٨٦، حيث توقف عن كتابة الأغاني والأنشيد الوطنية، واتجه إلى الكتابة في اتجاهين: الشعر التأملية العميق كما في "الرباعيات"، والأغاني الخفيفة التي غنت الراحلة سعاد حسني أغلبيتها، ومنها "صباح الخير يا مولاي"، و"الدنيا ربيع"، "بانوا بانوا"، وغيرها.

## من رباعيات صلاح جاهين

صوتك يا بنت الإيه كأنه بدن  
يرقص يزبح الهم يمحي الشجن  
يا حلوتي و بدنك كأنه كلام  
كلام فلاسفه سكروا نسيوا الزمن  
عجبي!!!!

كرباج سعادته و قلبي منه اجلد  
رمح كأنه حصان و لف البلد  
و رجع لي نصل الليل و سألني .. ليه  
خجلان تقول انك سعيد يا ولد  
عجبي!!!!

مزينة هادية الكون فيها انغمر  
وصيف و ليل و عقة فل و سمر  
يا هلترى الناس كلهم مبسوطين  
و يا هلترى شايفين جمال القمر ؟  
عجبي!!

إنشد يا قلبي، غنوتك للجملــــــــــــــــال  
و ارقص في صدري من اليمين للشمال  
ما هوش بعيد تفضل ل بكره سعيد  
ده كل يوم فيه الف الف احتمال  
عجبي!!



## عمر بن الخيام

(١٠٤٠ - ١١٣١ م)

ولد في نيسابور سنة ١٠٤٠ م وكان أبوه صانع خيام فاشتق اسمه من حرفته.  
 وكان أثناء صباه يدرس مع صديقين حميمين، وتعاهد ثلاثتهم على أن يساعد  
 من يؤاتيه الحظ الآخريين، وهذا ما كان ..  
 فقد وصل إلى الوزارة نظام الملك (الطوسي) فخصَّ عمر بن الخيام عندها بمائتين  
 وألف مثقال يتقاضاها من بيت المال كل عام.  
 وهكذا صار لعمر بن الخيام الوقت الكافي للتفكير بأمر وأسرار الحياة، بعد أن  
 توفرت له أسباب المعيشة.

يقول:

وكشف ما يحجبه في الخفاء  
 عمري وأحسست دبيب الفناء

أفنيت عمري في اكتناه القضاء  
 فلم أجد أسرارَه وانقضى

ويقول في رباعياته:

وحررت فيه بين شتى الفكر  
 أدركت لماذا جنت أين المقر  
 ولم أنل قصدي وحن الرحيل  
 كتاب هذا العمر حسم الفصول

لبست ثوب العمر لم أستشتر  
 وسوف أنضو الثوب عني ولم  
 لم يبرح الداء فؤادي العليل  
 وفات عمري وأنا جاهل

وهو يعجب لهذا الفناء السريع للشباب والحياة فيقول:

تناثر الأوراق حول الشجر

تناثرت أيام هذا العمر

فانعم من الدنيا بنذاتها      من قبل أن تسقيك كفاً القدر  
أطفئ لظى القلب ببرد الشراب      فانما الأيام مثل السحاب

وفي موضع آخر يتدارك نفسه فيقول:

يا عالم الأسرار علم اليقين      يا كاشف الضر عن البائسين  
يا قابل الأعذار فننا إلى      ضلك فاقبل توبة التائبين

من هنا نرى أن رباعيات الخيام تتراوح بين الإيمان والإلحاد وبين الدعوة للمحون والدعوة للهو وبين طلب العفو من الله عز وجل وإعلان التوبة.

لذا اختلف العلماء في تصنيف عمر الخيام والأرجح أنه لم يخرج عن المألوف إنما هي صرخة في وجه الظلم والأمور الدخيلة على الدين الإسلامي في عصره.

ولم يفكر أحد ممن عاصره في جمع الرباعيات. فأول ما ظهرت سنة ٨٦٥ هـ، أي بعد رحيله بثلاثة قرون ونصف. ولعلهم كانوا يحشون جمعها لما حوته من جرأة وحكمة.

وأول ترجمة للرباعيات كانت للغة الإنجليزية، وظهرت سنة ١٨٥٩، أما الترجمة العربية من الفارسية فقام بها الشاعر المصري أحمد رامي. وهناك ترجمة أخرى للشاعر العراقي أحمد الصافي النحفي.

## عمر الخيام بين فكي التاريخ

من أبرز حوادث التزوير في التاريخ أن معظم الناس يقولون بأن الخيام لم يكن إلا شاعراً. والصحيح انه كان من أكبر علماء الرياضيات في عصره، واشتهر بالجرير واشتغل في تحديد التقويم السنوي للسلطان ملكشاه.

وهو أول من اخترع طريقة حساب المثلثات والمعادلات الجبرية من الدرجة الثالثة بواسطة قطع المخروط.

وقد وضع الخيام تقويماً سنوياً أدق من التقويم السنوي الذي نعمل به اليوم.

وبسبب الفهم الخاطيء لفلسفته ولتصوفه اهتم بالإلحاد والزندقة وأحرقت كتبه، ولم يصلنا منها سوى الرباعيات لأن القلوب أحببها وحفظتها من الضياع. غير أن الخيام كان عالماً عبقرياً وملماً ومبدعاً أكثر بكثير من كونه شاعراً. وضياع كتبه في الرياضيات والفلسفة حرم الإنسانية من الاستفادة من الإطلاع على ما وضعه في علوم الجبر والرياضيات.

من جهة أخرى تم الكشف عن جزء بسيط فقط من عبقريته، من خلال ما تبقى لنا من رباعياته. ولو لم تحرق كتبه لساهمت في الكشف عما خفي على العلماء، وربما توصلوا لما في كتبه بعد قرون وربما لم يهتدوا حتى الآن إلى ما توصل إليه..

آه لو تمهّل أهل السلطة والقرار في إحراق الكتب القيمة.... فقد احرقوا على سبيل المثال لا الحصر كتاب الغزالي "إحياء علوم الدين" بحجة الكفر وحجج أخرى، وما لبث هذا الكتاب أن أصبح بعد سنين الكتاب من أهم الكتب الإسلامية!

ويذكر هنا أن الأقدار شاءت أن يموت الخيام، وهو الذي اهتم بالإلحاد وأحرقت كتبه بشكل ملفت للنظر.. مؤكداً إيمانه بالله.. فقد مات الخيام بعد أن صلى ركعتين.

## من رباعيات الخيام

سمعت صوتا هاتفا في السحر  
نادى من الحان : غفاة البشر  
هبوا املنوا كأس الطلى قبل أن  
تفعم كأس العمر كف القدر

\*\*\*

أحس في نفسي دبيب الفناء  
ولم أصب في العيش إلا الشقاء  
يا حسرتا إن حان حيني ولم  
يتح لفكري حل لغز القضاء

\*\*\*

أفق، وهات الكأس أنعم بها  
واكشف خفايا النفس من حجبها  
وروّ أوصالي بها قبلما  
يصاغ دنّ الخمر من تربها

\*\*\*

تروح أيامي ولا تغتدي  
كما تهب الريح في الفدق  
وما طويت، النفس هما على  
يومين أمس المنقضي والغد

\*\*\*

غد بظهر الغيب واليوم لي  
 وكم يخيب الظن في المقبل  
 ولست بالغافل حتى أرى  
 جمال دنياي ولا أجتلي  
 \*\*\*

سمعت في حلمي صوتا أهاب  
 ما فتق النوم كمام الشباب  
 أفق فإن النوم صنو الردي  
 واشرب فمثواك فراش التراب  
 \*\*\*

قد مزق البدر سنار الظلام  
 فاغنم صفا الوقت وهات المدام  
 واطرب فإن البدر من بعدنا  
 يسري علينا في طباق الرغام  
 \*\*\*

سأنتحي الموت حثيث الورود  
 وينمحي اسمي من سجل الوجود  
 هات اسقنيها يا منى خاطري  
 فغاية الأيام طول الهجود  
 \*\*\*

هات اسقنيها أيهذا النديم  
 أخضب من الوجه اصفرار الهموم  
 وإن مت فاجعل غسولتي الطلى  
 وقد نعشي من فروع الكروم  
 \*\*\*

إن تقتلع من أصلها سر حتي  
 وتصيح الأغصان قد جفت  
 فصغ وعاء الخمر من طينتي  
 واملأه تسر الروح في جنتي

\*\*\*

لبست ثوب العيش لم أستشر  
 وحررت فيه بين شتى الفكر  
 وسوف أنضو الثوب عني ولم  
 أدرك لماذا جنت أين المقر

\*\*\*

نمضي وتبقى العيشة الراضية  
 وتنمحي أثارنا الماضية  
 فقبل أن نحیی ومن بعدنا  
 وهذه الدنيا على ما هیه

\*\*\*

طوت يد الأقدار سفر الشباب  
 وصوحت تلك الغصون الرطاب  
 وقد شدا طير الصبى واختفى  
 متى أتى يا لهفا أين غاب

\*\*\*

الدهر لا يعطي الذي نأمل  
 وفي سبيل اليأس ما نعمل  
 ونحن في الدنيا على همها  
 يسوقنا حادي الردى المعجل

\*\*\*

أفق خفيف الظل هذا السحر  
 وهاتها صرفا وناغ الوتر  
 فما أطال النوم عمرا ولا  
 قصر في الأعمار طول السهر

\*\*\*

اشرب فمثواك التراب المهيل  
 بلا حبيب مؤنس أو خليل  
 وانشق عبير العيش في فجره  
 فليس يزهو الورد بعد الذبول

\*\*\*

كم ألم الدهر فؤادا طعين  
 و أسلم الروح ظعين حزين  
 وليس ممن فاتنا عاند  
 أسأله عن حالة الراحلين

\*\*\*

يا دهر أكثرت البلى والخراب  
 و سممت كل الناس سوء العذاب  
 وبا ثرى كم فيك من جوهر  
 يبين لو ينبش هذا التراب

\*\*\*

وكم توالى الليل بعد النهار  
 وطال بالأنجم هذا المدار  
 فاهش الهويانا إن هذا الثرى  
 من أعين ساحرة الإحرار

\*\*\*

أين النديم السمح أين الصبوح  
فقد أمض الهم قلبي الجريح  
ثلاثة هن أحب المنى  
كأس و أنغام ووجه صبيح

\*\*\*

نفوسنا ترضى احتكام الشراب  
أرواحنا تغدى الثنايا العذاب  
و روح هذا الذي نستله  
ونستقيه سانغا مستطاب

\*\*\*

يا نفس ما هذا الأسى والكدر  
قد وقع الإثم وضاع الحذر  
هل ذاق حلو العفو إلا الذي  
أذنب والله عفا واغتفر

\*\*\*

نلبس بين الناس ثوب الرياء  
و نحن في قبضة كف القضاء  
وكم سعينا نرتجي مهربا  
فكان مسعانا جميعا هباء

\*\*\*

لم تفتح الأنفس باب الغيوب  
حتى ترى كيف تسام القلوب  
ما أتعس القلب الذي لم يكد  
يلتام حتى أنكأته الخطوب

\*\*\*

عامل كأهلك الغريب الوفي  
واقطع من الأهل الذي لا يفي  
و عف زلالا ليس فيه الشفا  
واشرب زعاف السم لو تشتفي  
\*\*\*

أحسن الى الأعداء و الأصدقاء  
فإنما إنس القلوب الصفاء  
و اغفر لأصحابك زلاتهم  
وسامح الأعداء تمح العداء  
\*\*\*

عاشر من الناس كبار العقول  
وجانب الجهال أهل الفضول  
واشرب نقيع السم من عاقل  
واسكب على الأرض دواء الجهول  
\*\*\*

يا تارك الخمر لماذا تلوم  
دعني الى ربي الغفور الرحيم  
ولا تفاخرني بهجر الطلى  
فأنت جان في سواها أئيم  
\*\*\*

أطفئ لظى القلب ببرد الشراب  
فإنما الأيام مثل السحاب  
وعيشنا طيف خيال فنل  
حظك منه قبل فوت الشباب  
\*\*\*

بستان أيامك نامي الشجر  
فكيف لا تقطف غض الثمر  
اشرب فهذا اليوم إن أدبرت  
به الليالي لم يعده القدر  
\*\*\*

جادت بساط الروض كف السحاب  
فنزّه الطرف وهات الشراب  
فهذه الخضرة من بعدنا  
تنمو على أجسادنا في التراب  
\*\*\*

و إن تواف العشب عند الغدير  
وقد كسا الأرض بساط نضير  
فامش الهوينا فوقه إنه  
غذته أوصال حبيب طرير  
\*\*\*

يا نفس قد آدك حمل الحزن  
يا روح مقدور فراق البدن  
اقطف أزهير المنى قبل أن  
يجف من عيشك غض الفنن  
\*\*\*

يحلو ارتشاف الخمر عند الربيع  
ونشر أزهار الروابي يضوع  
وتعذب الشكوى الي فاتن  
على شفا الوادي الخصيب الينيع  
\*\*\*

فلا تتب عن حسو هذا الشراب  
فإنما تندم بعد المتاب  
وكيف تصحو وطيور الربى  
صداحة و الروض غُض الجناب  
\*\*\*

زخارف الدنيا أساس الألم  
وطالب الدنيا نديم الندم.  
فكن خلي البال من أمرها  
فكل ما فيها شقاء وهم  
\*\*\*

و أسعد الخلق قليل الفضول  
من يهجر الناس ويرضى القليل  
كأنه عنقاء عند السهى  
لا بومة تنعب بين الطلول  
\*\*\*

من يحسب المال أحب المنى  
و يزرع الأرض يريد الغنى  
يفارق الدنيا ولم يختبر  
في كده أحوال هذي الدنى  
\*\*\*

سرى بجسمي الغض ماء الفناء  
وسار في روعي لهيب الشقاء  
وهمت مثل الريح حتى ذرت  
تراب جسمي عاصفات القضاء  
\*\*\*

يا من يحار الفهم في قدرتك  
وتطلب النفس حمى طاعتك  
أسكرني الإثم و لكنني  
صحوت بالآمال في رحمتك  
\*\*\*

لم أشرب الخمر ابتغاء الطرب  
ولا دعنتي قلة في الأدب  
لكن إحساسي نزاعا إلى  
إطلاق نفسي كان كل السبب  
\*\*\*

أفتيت عمري في اكتناه القضاء  
وكشف ما يحجبه في الخفاء  
فلم أجد أسرارہ وانقضى  
عمري وأحسست دبيب الفناء  
\*\*\*

أطال أهل الأنفس الباصرة  
تفكيرهم في ذاتك القادرة  
ولم تزل يا رب أفهامهم  
حيرى كهذي الأنجم الحائرة  
\*\*\*

لم يجن شيئا من حياتي الوجود  
ولن يضير الكون أني أبيد  
واحيرتي ما قال لي قائل  
ماذا اشتعال الروح كيف الخمود  
\*\*\*

إذا انطوى عيشي وحن الأجل  
وسد في وجهي باب الأمل  
قرّ حباب العمر في كأسه  
فصبتها للموت ساقى الأزل

\*\*\*

إن لم أكن أخلصت في طاعتك  
فإتني أطمع في رحمتك.  
و إنما يشفع لي أنني  
قد عشت لا أشرك في وحدتك

\*\*\*

يا رب هيئ سبب الرزق لي  
ولا تذقني منة المفضل  
وأبقني نشوان كيما أرى  
روحي نجت من دانها المعضل

\*\*\*

أفانيت عمري في ارتقاب المنى  
ولم أذق في العيش طعم الهنا  
وإنني أشفق أن ينقضي  
عمري وما فارقت هذا العنا

\*\*\*

لم يبرح الداء فؤادي العليل  
ولم أنل قصدي وحن الرحيل  
وفات عمري وأنا جاهل  
كتاب هذا الدهر جم الفصول

## عمر الخيام: رباعيات شعرية و معادلات رياضية

قام كاتب إنكليزي من برينفيلد، سوفولك عام ١٨٥٩ بتعريف الغرب على مآثر رجل مسلم مميز من القرن الثاني عشر. اسم الكاتب هو إدوارد فيتزجيرالد، الذي نجحت ترجمته لرباعيات عمر الخيام في أن تغلغل في الثقافة الأنجليزية بفعل جاذبيتها لدرجة أن عناصر منها أصبحت تعتبر اليوم من قلة البعض وكأنها إنجليزية أصيلة. كما أصبحت أبيات الرباعيات الفارسية هذه والتي كتبت في القرن الثاني عشر من أكثر القصائد الغنائية انتشاراً بترجمتها الإنجليزية بين الناطقين بالإنجليزية. وتحوّل الكثير من أسيانها إلى تعابير شائعة في اللغة الإنجليزية من مثل "ما تفتحت وردة إلا ذبلت" و"من يبع نقداً نجحت تجارته" و"يكفيني رغيف وماء وأنت". ومن بين كل أبيات الرباعيات أشهرها هو:

أفق خفيف الظل هذا السحر ..... نادى دع النوم وناغ الوتر  
فما أطال النوم عمراً ولا..... قصر في الأعمار طول السهر

حين نشر فيتزجيرالد ترجمته للرباعيات أول مرة عام ١٨٥٩، لم يحقق الكتيب المتواضع المظهر والمجهول عموماً رواجاً كبيراً بين العامة. وربما كان هذا مصدر خيبة أمل كبيرة لفيتزجيرالد لأن نيته كانت نقل الروح الأصيلة للرباعيات، رغم استخدامه لاستعاراته التي ابتدعها هو حيثما رأى ذلك مناسباً. لكن ربما كانت التعبيرات الشعرية لرباعيات الخيام غريبة على قراءها الجدد. وبعد ذلك بعام، في ١٨٦٠، وقعت هذه الأبيات بيد أناس لهم وزهم في الأوساط الأدبية مثل داني غابرييل روزيني، ثم بعد ذلك بقليل أليخاندرو سوينبيرن. وهذا ما أطلق موجة من الاهتمام المتزايد بالشاعر والرياضي والفلكي عمر الخيام.

## حياة الخيام

ولد غياث الدين أبو الفتح عمر بن إبراهيم الخيامي النيسابوري في ١٨ مايو ١٠٤٨ في نيسابور بإيران ويعرف عموماً باسم عمر الخيام. ويوحى اسمه الذي يعني صانع الخيام، بأن صنعة أبيه كانت بيع الخيم. في نيسابور تلقى عمر الخيام تعليماً لأبأس به في العلوم والفلسفة خصوصاً. ثم انتقل لاحقاً إلى بلخ وبعدها إلى سمرقند ليتابع فيه تعلمه الجبر. وفيها أنتج أيضاً عملاً مميّزاً في هذا العلم.

وحظي عمر الخيام وهو يتقدم في حياته الأكاديمية باهتمام الحاكم السلجوقي سلطان مالك شاه الذي دعى هذا العالم الناشئ ليرأس مشروعه الفلكي الذي كان الهدف منه إعادة تنظيم التقويم. ولإنجاز هذه المهمة أشرف الخيام وبمجموعة أخرى من الفلكيين على بناء مرصد فلكي في مدينة أصفهان.

غير أن سلطان مالك شاه توفي عام ١٠٩٢ ليجد الخيام نفسه بدون دعم مباشر. وكان الوضع في ذلك الزمان يجعل من الصعب على أهل العلم، حتى لو كانوا بارعين مثل عمر الخيام، أن يتابعوا حياتهم العلمية إن لم يحظوا بمساعدة حاكم ما من حكام ذلك الزمان الكثير. وعن ذلك يقول عمر الخيام في أحد كتبه لم أستطيع أن أكسر نفسي لتعلم الجبر ومواصلة التركيز عليه بسبب العقبات التي ترميها أسمى تقلبات الزمان والتي أعاقني عن ذلك؛ لقد حرمتنا من كل أهل العلم إلا مجموعة قليلة العدد تعاني الكثير من المشكلات وكل همها في الحياة هو أن تقتنص الفرصة في غفوة من الزمان لتكرس نفسها للبحث وإكمال علم من العلوم؛ ذلك أن غالبية من يقلدون الفلاسفة يخلطون الحقيقة بالزيف؛ وهم لا يفعلون شيئاً سوى الغش وادعاء العلم، كما أنهم لا يستخدمون ما يعرفونه من علوم إلا لأغراض دنيئة ومادية؛ وإذا ما رأى هؤلاء إنساناً ما يسعى وراء الصحيح ويتحرى الحقيقة؛ ويفعل ما بوسعه لدحض كل ما...

زائف وغير صحيح تاركاً النفاق والغش جانباً، فإنهم يسخرون منه.

بالنظر إلى هذه الظروف التي يتحدث عنها رأى أن ذلك هو الوقت المناسب للذهاب في الحج. وبعد عودته من الديار المقدسة أصبح عمر الخيام أستاذاً في نيسابور وعمل للبلاط من وقت لآخر حين يطلب منه الإشراف على بعض الأمور. كان عمر يتعلم ويعلم في الوقت نفسه علوماً من مثل الفلسفة والرياضيات والفلك والقانون والتاريخ والطب. ونال إعجاب زملائه وطلابه لخبراته الواسعة.

وعنه كتب أحد طلاب الفلسفة قائلاً إن عمر الخيام "...قد وهبه الله حدة الذهن وأعلى قدرات الطبيعة." كما كان عمر مولعاً جداً بالشعر وكرس بعضاً من وقته لكتابة القصائد. وبعض أعماله النثرية الباقية تتضمن أيضاً عدة مقتطفات عن علم ماوراء الطبيعة ومقالة عن إقليدس.

## الخيام في أوروبا

بعد حوالي ٧٠٠ عام من إنتاج الخيام لأعماله أصبح يكتسب الشهرة في أوروبا والغرب الذي دخلها من باب ترجمة فيتز جيرالد لديوان الرباعيات. والرباعيات تتكون من أربعة أبيات تكون قافية الثالث منها مختلفة عن الأبيات الأولى والثاني والرابع التي تشترك بالقافية. فيما يلي مقطع من أشهر رباعيات الخيام التي ترجمها فيتز جيرالد:

سمعت صوتاً هاتفاً في السحر  
هبوا املاؤا كاس المنى قبل  
نادى من الغيب غفاة البشر  
أن يملأ كاس العمر كف القدر

لا تشغل البال بماضي الزمان  
واغنم من الحاضر لذاته  
ولا بآتي العيش قبل الأوان  
فليس في طبع الليالي الأمان

وكم يخيب الظن بالمقبل  
جمال دنياي ولا أجتلي

غدّ بظهر الغيب واليوم لي  
ولست بالغافل حتى أرى

والصدر قد ضاق بما لا يقال  
والماء ينساب أمامي زلال

القلب قد أضناه عشق الجمال  
يا رب هل يرضيك هذا الظماً

وفي ضرام الحب أن يحرقاً  
من غير أن أهوى وأن اعشقا

أولى بهذا القلب ان يخفقاً  
ما أضيع اليوم الذي مر بي

كانت الرباعيات شائعة في ذلك الوقت في الأدب الفارسي. كما انتشر هذا النوع الأدبي الشعري إلى البلدان الأخرى الخاضعة للنفوذ الفارسي.

بعد ترجمة فيتز جيرالد، ترجمت رباعيات الخيام إلى معظم اللغات الأوروبية وكان لها أثرها في تشكيل النظرة الأوروبية للآداب والثقافة الفارسية والشرقية، رغم أنه تأثير غير واضح أحياناً. ومن الجدير بالذكر أن كل رباعية من رباعيات الخيام كانت قد كتبت منفردة وفي مناسبتها الخاصة لتكون قطعة بحد ذاتها. لكن فيتز جيرالد في ترجمته لها رأى أن يدمج رباعيات الخيام في قطعة واحدة وذلك بإيجاد علاقة بين كل رباعية وأخرى لإعطاء عمل متكامل مترابط مع بعضه.

بقراءة دقيقة لكل رباعية من رباعيات الخيام، يمكن للدارس أن يستخلص صورة عن عقلية هذا الشاعر. فعمر الخيام، كما يبدو من شعره، لابد وأنه كان إنساناً شغل تفكيره بالطبيعة الفانية للحياة وغياب الشعور بالأمان فيها وتعمق جداً في محاولة فهمها مثلما يتبين في الأبيات التالية.

واغنم من الحاضر أمن اليقين  
غداً، وماض منذ ألوف السنين

لا توحش النفس بخوف الظنون  
فقد تساوى في الثرى راحل

ويسبدو أنه لم يتوصل إلى حلول مرضية تخفف حيرته. وهذا ما دفعه إلى محاولته التأني بنفسه عن هذه الجوانب من الحياة والتركيز على الجوانب المادية الإيجابية والمهجة فيها. غير أن الأشياء المتواضعة التي وجد متعة فيها تشي بعدم عمق وحدة حاجسه بالمسائل الفلسفية الجوهرية: الحياة والموت والسعادة والإيمان وغيرها.

وتجدر الإشارة هنا إلى قدر من التساؤل ثار حول أصالة نسب الرباعيات إلى عمر الخيام. ويعود هذا في الوجه الأكبر منه إلى عدم وجود مصادر تاريخية معاصرة لعمر الخيام أشارت بأي شيء لبراعته الشعرية. ولم تظهر بعض الرباعيات المنسوبة إليه إلا بعد حوالي ٢٠٠ عام على حياته. وما يزيد من التساؤل هو أن الرباعيات كأسلوب شعري كانت سهلة حينها على النظم والكثير منها ظهر في الشعر الفارسي في القرن الثالث عشر للميلاد وفي عدة حالات تجد الأبيات نفسها منسوبة لأكثر من شاعر. غير أن هذه الافتراضات لا يمكن إثباتها لوجود نصوص تعود إلى القرن الثالث عشر، ٢٥٠ منها على الأقل تم إثبات أنها رباعيات أصيلة نظمها عمر الخيام.

## فن الاستعارة والخيام

الاستعارة هي تقنية لغوية تعني المقابلة بين شيئين مختلفين بالمقارنة بينهما. وبالتالي فإن الاستعارة شيء يختلف عن تقنية التشبيه، والبعض يخلط بينها أحياناً، لأن التشبيه يستخدم أدوات التشبيه من قبيل كلمة "مثل" أو حرف التشبيه "ك" لبناء هذه المقارنة. أما في الاستعارة فإن المقارنة لا تأتي بهذا الشكل المباشر.

ويمكن اعتبار الاستعارة الركيزة التي يبنى عليها الشعر. والخيام في شعره ينتج استعارات أصلية ببراعة باستخدام استعارات موجودة شائعة الاستخدام. وقوله: "أظنني لظي القلب بشهد الرضاب - وإنما الأيام مثل السجباب" يشرح بجلاء هذه التقنية.

## الرياضيات والخيام

استطاع عمر الخيام بأعماله أن يعزز ويطور الأعمال التي قدمها علماء مسلمون بارزون وخصوصاً البيروني وابن سينا في الرياضيات. إذ رغم كل الصعوبات التي واجهت عمله هذا، ألف الخيام عدداً من الكتب في الرياضيات، ومنها كتاب "مشكلات الحساب" الذي يجمع بين موضوعي الجبر والموسيقى إلى جانب أشهر كتبه في الرياضيات وهو "رسالة في شرح مشكلات الجبر". ومن بين اكتشافاته الأخرى التي قدمها في كتبه هذه، اكتشاف الخيام طريقة عامة لتحديد جذر أي عدد مهما كبر. غير أن هذه الأعمال قد ضاعت وعرفنا طريقة تحديد الجذور وغيرها من الاكتشافات عبر مصادر غير مباشرة. وتضمن كتاب "الجبر" لعمر الخيام أول حل شامل للمعادلات الرياضية التكعيبية عبر استخدام طريقة القطع المخروطي. لكن هذه الاكتشافات المهمة جداً في عصره لم تجعل عمر الخيام يهجر التواضع والنظرة العميقة للأشياء حيث كان يقول دوماً إنه يأمل أن ينجح من يأتي بعده حيث فشل هو.

ورغم أن عمر الخيام في حياته وعالمه كان قد احتفي به باعتباره عالماً وباحثاً موهوباً وبارعاً، إلا أنه في العصور اللاحقة وفي الغرب كان يعرف أكثر باعتباره الشاعر الذي ترجم فيتزجيرالد رباعياته. غير أن عمر الخيام في كل العصور وحتى الآن يستحق منا أن نحتفظ له بمكانته كشاعر فلسفي عظيم وعالم رياضيات بارع س

## من رباعيات الخيام

صفا لك اليوم ورقّ النسيم  
وجال في الأزهار دمع الغيوم  
ورجع البلبّل ألعانه  
يقول هيا اطرب واخل الهموم

\*\*\*

الدرع لا تمنع سهم الأجل  
والمال لا يدفعه إن نزل  
وكل ما في عيشنا زائل  
لا شيء يبقى غير طيب العمل

\*\*\*

الله يدري كل ما تضمّر  
يعلم ما تخفي وما تظهر  
وإن خدعت الناس لم تستطع  
خداع من يطوي ومن ينشر

\*\*\*

وإنما بالموت كل رهين  
فاطرب فما أنت من الخالدين  
واشرب ولا تحمل أسى فادحا  
وخلّ حمل الهم للاحقين

\*\*\*

رأيت خزافا رحاه تدور  
يجد في صوغ دنان الخمور  
كأنه يخلط في طينها  
جمجمة الشاه بساق الفقير

\*\*\*

تمتلك الناس الهوى والغرور  
وفتنة الغيد وسكنى القصور  
ولو تزال الحجب بانث لهم  
زخارف الدنيا وعقبى الأمور

\*\*\*

إن الذي تأنس فيه الوفاء  
لا يحفظ الود وعهد الإخاء  
فعاشر الناس على ريبة  
منهم ولا تكثر من الأصدقاء

\*\*\*

زاد الندى في الزهر حتى غدا  
منحنيا من حمل قطر الندى  
والكم قد جمع أوراقه  
فظل في زهر الربى سيذا

\*\*\*

وأسعد الخلق الذي يرزق  
وبابه دون الورى مغلق  
لا سيّد فيهم ولا خادم  
لهم ولكن وادع مطلق

\*\*\*

قلبي في صدري أسير سجين  
 تخجله عشرة ماء وطين  
 وكم جرى عزمي بتحطيمه  
 فكان ينهاني نداء اليقين

\*\*\*

مصباح قلبي يستمدّ الضياء  
 من طلعة العيد ذوات البهاء  
 لكنني مثل الفراش الذي  
 يسعى الى النور وفيه الفناء

\*\*\*

طبعي انتناسي بالوجوه الحسان  
 وديدني شرب عتاق الدنان  
 فاجمع شتات الحظ وانعم بها  
 من قبل أن تطويك كف الزمان

\*\*\*

عاقب الأيام يدني الأجل  
 ومرها يطويك طي السجل  
 وسوف تفنى وهي في كرّها  
 فققض ما تغنمه في جدل

\*\*\*

لا تشغل البال بماضي الزمان  
 ولا يأتي العيش قبل الأوان  
 واغنم من الحاضر لذاته  
 فليس في طبع الليالي الأمان

\*\*\*

قيل لدى الحشر يكون الحساب  
 فيغضب الله الشديد العقاب  
 وما انطوى الرحمن إلا على  
 إنالة الخير ومنح الثواب

\*\*\*

كان الذي صورني يعلم  
 في الغيب ما أجنبي وما أثم  
 فكيف يجزيني على أنني  
 أجرمت والجرم قضا مبرم

\*\*\*

هات اسقني كأس الطلى السلسل  
 وغنني لحنا مع البلبل  
 فإنما الإبريق في صبه  
 يحكي خرير الماء في الجدول

\*\*\*

الخمير في الكأس خيال ظريف  
 وهي بجوف الدن روح لطيف  
 أبعد ثقيل الظل عن مجلسي  
 فإنما للخمر ظل خفيف

\*\*\*

باب نديمي ذو الثنايا الوضاح  
 وبيننا زهر أنيق وراح  
 وافترض من لؤلؤ أصدافها  
 فافتتر في الأفاق ثغر الصباح

\*\*\*

نار الهوى تمنع طيب المنام  
 وراحة النفس ولذّ الطعام  
 وفاتر الحب ضعيف اللظى  
 منطفئ الشعلة خابي الضرام  
 \*\*\*

القلب قد أضناه عشق الجمال  
 والصدر قد ضاق بما لا يقال  
 يا ربّ هل يرضيك هذا الضما  
 والماء ينساب أمامي زلال  
 \*\*\*

خلقتني يا ربّ ماء وطين  
 وصغنتني ما شئت عزاً وهون  
 فما احتيالي والذي قد جرى  
 كتبته يا ربّ فوق الجبين  
 \*\*\*

ويا فؤادي تلك دنيا الخيال  
 فلا تنوّ تحت الهموم الثقّال  
 وسلم الأمر فمحو الذي  
 خطت يد المقدار أمر محال  
 \*\*\*

## محاضرة نقابة المهندسين بحلب ٦/٨/٢٠٠٦

عمر الخيام المفترى عليه

بقلم : أ.د. بكري شيخ أمين

عضو اتحاد الكتاب العرب

عضو اللجنة العالمية للغة العربية

في كثير من بلاد العالم فنادق ومطاعم وملاهي ومراقص تحمل اسم (عمر الخيام)، وغالباً ما تكون هذه المواطن أمكنة للعبث، والانحراف، والإثم، والمحرمات .. كأن صاحبها يشير بشكل نخفي إلى العلاقة الوطيدة بين هذه التسمية وسلوك الخيام وآرائه .. أو كأن صاحب هذا الملهى لم ير تسمية موحية بالانفلات والانحراف أفضل مما يوحيه اسم (عمر الخيام) (في الشرق أو في الغرب).

ويقف الباحث أمام هذه الظاهرة مستغرباً، متعجباً، مندهشاً، ويتبادر إلى ذهنه أن عمر الخيام يُضرب به المثل في تعاطي السرور والخمور والفجور، وأنه طوال حياته ما كان يبالي بجنة أو نار، أو حساب أو عقاب، وإنما كان أبيقورياً يغتنم الساعة التي هو فيها .. وبعدها فليكن الطوفان .. ولولا ذلك ما اختاره صاحب الملهى الليلي، أو المتهى، أو الحانة عنواناً.

اعتقد بعض المسلمين أنه إباحي، وأنه مستهتر بأحكام الإسلام وتعاليمه، كما اتهمه بعض آخر بأنه دُهرى، وزعم بعضهم أنه تناسخي، وقال آخرون فيه أقوالاً ما أنزل الله بها من سلطان . منها : أنه باطني، أو لا أدري، أو تشاؤمي، أو جبري، أو

معري .. وادعى باحث أخيراً بأنه ثائر على كل شيء، على الدين، وعلى الأخلاق، وعلى العقل أيضاً.

ويزيد هذه الظنون والافتراءات تأكيداً وتثبيتاً انتشار آلاف الكتب في شتى لغات العالم، فيها أشعار منسوبة إلى عمر الخيام، تدعى ب (الرباعيات ) كثيراً ما تكون هذه الرباعيات مطبوعة على ورق صقيل فخم، في كل صفحة رباعية واحدة في عدة لغات منها : الفارسية والعربية والمرنسية والإنكليزية والألمانية والأوردية والإسبانية ومعظم لغات العالم، وفي الصفحة المقابلة صورة رمزية لرجل عجوز، طاعن بالسن، أشيب الشعر، لحيته تغطي نصف صدره، وأمامه غادة حسناء، غراء، فرعاء، مصقول عوارضها، تسكب من كوز بيدها خمراً في كأس، وتقدمه إلى العجوز .. وبيدها الأخرى آلة طرب .. وفي إطار الصورة طيور وبلابل، وزهر وعنادل، وأشجار وأثمار ..

ويظن القارئ أن هذا العجوز نفسه هو عمر الخيام، وأن حياته محصورة بكأس، وذن، وحسنا، وغناء . وليس لهم في ذلك دليل إلا تلك الرباعيات التي نسبوها إلى شخصيته، وظنوا أنها من الحكيم عمر الخيام ومقولاته وآثاره، وفلسفته وحكمته التي نسجها بقريحته، فكانوا يحكمون عليه ما يحكمون مستندين إليها ومعتمدين عليها، كأن تلك الرباعيات وصلت إليهم منه بسند صحيح، متصل، لا يبقى وراءه أي شك، ولا يذر دونه أي تردد .

والغريب في الأمر أن كتب الرباعيات منتشرة في كل مكتبات العالم، وهي في طبعات لا تكاد تحصى، وفي لغات الدنيا قاطبة .. وكثيراً ما تختلف رباعيات طبعة عن أخرى في اللغة ذاتها، أو في اللغات المختلفة . وليس من المستغرب أن يتجاوز عددها في شتى الطبعات ألفي رباعية، أو يزيد.

ويقف الباحث المدقق متسائلاً : أصحح أن عمر الخيام، الفارسي، المسلم، كان رجلاً متهتكاً، سكيراً، وعريداً .. أمضى حياته كما يصورون ويزعمون ؟

أصحح أنه نظم هذه الآلاف المؤلفة من الرباعيات الصارخة بالمجون والمعصية والفجور ؟ بل كيف انتقلت هذه الأشعار الفارسية المحلية إلى معظم لغات العالم، ومن الذي نقلها، ونشرها، ورسمها، وزينها، وأرخص ثمنها ؟

ويعود الباحث إلى مراجعه، وكتب التراجم، يستقصى سيرة عمر الخيام ويستوضح شخصيته، ليعرفه على حقيقته، ويعرف كل صغيرة وكبيرة عنه .

يبدأ بقراءة سيرة هذا الرجل، فيرى أن اسمه : عمر، وكنيته أبو الفتح، ولقبه غياث الدين، ووالده إبراهيم النيسابوري، وشهرته : الخيام، أو الخيامي، لاشتغاله بصنع الخيام.

اتفق أكثر المؤرخين على أن عمر ولد في نيسابور من أعمال خراسان في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري العاشر الميلادي، وتوفي قبيل انتهاء الربع أول من القرن السادس الهجري الحادي عشر الميلادي . ويحدد خير الدين الزركلي في كتابه " الأعلام " وفاته بسنة ٥١٥ هجرية، الموافقة لسنة ١١٢١ للميلاد .

ونيسابور مدينة من أجمل المدن الفارسية، فتحها المسلمون أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه على يد الأحنف بن قيس، وبني فيها أول جامع . وزارها ياقوت الحموي، ووصفها في معجم البلدان بأنها مدينة عظيمة، ذات فضائل جسيمة، وهي معدن الفضلاء، ومنبع العلماء، ولم أر فيما طوفت مدينة كانت مثلها، وعهدي بها كثيرة الفواكه والخيرات . وعدد ياقوت أسماء عشرات العلماء فيها.

## عمر ونظام الملك والحسن الصباح :

قُرنَت حياةَ عمر الخيامَ برجلين من مشهورِي ذلك العصر، أولهما هو الحسن الصباح، وثانيهما هو نظام الملك وزير السلطان ألب أرسلان نجل السلطان طغرل بك التتري، ثم وزير حفيده ملكشاه بعد ذلك . وطغرل بك هو مؤسس الدولة السلجوقية التي ما لبثت أن واجهت أوربا وقد شنت عليها الحروب الصليبية .

وقد حكى لنا الوزير نظام الملك كيف تعرف عمر الخيام والحسن الصباح فقال : " كان شيخِي الإمامُ الموفق النيسابوري من جلة علماء خراسان مبعلاً مهيباً، وقد نيف على الخمس والثمانين، وكان السائد في عقيدة أهل زمانه أن كل من قرأ عليه العلوم العربية نبغ فيها وبلغ الغاية، وانساق إليه العز والجاه والنعمة والثراء، ولذلك وجهني أبي من بلدة طوس إلى نيسابور لأقرأ على ذلك الأستاذ الجليل، وهناك حظيت به، وحضرت عليه، فتوشجت بيننا أواصر المودة، تأكدت عرى الصداقة، لحظني بعين رعايته، وأنزلته من نفسي أخص منزلة وألطفها، ولبثنا على ذلك سنين عدة، وكنت أول ما نزلت به، وجلست في حلقة لقيت تلميذين في مثل سني، حديثي عهد مثلي بالقراءة على الإمام الموفق، وهما عمر الخيام والحسن الصباح، وكانا آيتين في الفطنة والذكاء، فأنس كل منا بصاحبيه، وتمت بيننا نحن الثلاثة أحسنُ صحبة وأمتها . فكان إذا قام الإمام عن الدرس، وانفضت حلقة اجتمعنا فتذاكرنا ما تلقيناه من المعارف.

وكان الخيام من أهالي نيسابور، أما الحسن الصباح فكان أبوه ناسكاً ورعاً متقشفاً، ولكنه كان زنديقاً . فأقبل الحسن يوماً على عمر الخيام فقال له : لقد صح في أذهان الناس قاطبة أنه ليس من تلميذ يتخرج على الإمام الموفق إلا مصيباً عزاً وإقبالاً وثروة وجاهاً . فهب أن ذلك لم يتفق لنا نحن الثلاثة جميعاً فإنه لا بد أن يقع لواحد منا، فماذا يكون حق الاثنين الخائبين على ذلك الفائز الظافر؟ قلنا له : اقترح ما نشاء .

فقال : فلنتعهد الآن على أنه من أصاب الثراء فعليه أن يقسمه بيننا نحن الثلاثة على السواء، لا يؤثر نفسه بشيء دون أخويه . فأجيبناه : لِيَكُنْ ذلك كما قلت . ثم تحالفنا على ذلك وتعاهدنا .

ويتابع نظام الملك حديثه فيقول : مرت أعوام على ذلك، وغادرت خراسان متحولاً في فضاء الله إلى غزنة ثم إلى كابل . ولما عدت تقلدت منصب الوزارة في سلطنة السلطان ألب أرسلان ، وبعد مدة من الزمن عرف ذلك صاحبائي، فأتاني يطلبان إنجاز وعدي القديم، وإشراكهما فيما انحاز لي من النعمة والثراء .

وبر الوزير بقسمه، وأبجز وعده، والتمس الحسن الصباح منصباً في السلطنة، فمنحه السلطان إياه بوساطة الوزير نظام الملك، وعينه والياً على همدان، ولكن الحسن كره ذلك المنصب لانحطاط رتبته عما كان يطمح إليه من شرف المنزلة، فترك المنصب، ودس نفسه في بلاط احد أمراء المشرق منغمساً في غمار الدسائس والمكايد، محاولاً إسقاط أميره واغتصاب الإمارة منه . وبعد كثير من التحولات والتقلبات صار الحسن زعيم الطائفة المسماة بالإسماعيلية .

ففي سنة ٥٤٨٩ هـ / ١٠٩٠ م استولى على قلعة (ألموت) الواقعة جنوبي بحر قزوين . ومن ثم فصاعداً ذاع صيت الحسن الصباح، وأصبح اسمه مبعث الرعب والدعر في جيوش الصليبيين حتى سموه ( شيخ الجبل ) ومبعث الرعب أيضاً في جميع أنحاء العالم الإسلامي، وسميت فرقته ( فرقة الحشاشين ) نسبة إلى المخار ( الحشيش ) الذي كان الحسن ينشره بينهم تحديراً لأعضائهم قصد الاستيلاء على عقولهم حتى يسيرهم فيما يشاء من أغراضه المخوفة ومقاصده المخطرة المرهوبة . وكان من ضحايا الحشاشين العديدة نظام الملك نفسه صديق نظام الملك ذاته وقرين حدائته وزميل تلمذته، وهدد ملكشاه نفسه بالقتل .

أما عمر فقد قصد الوزير أيضاً غير طامع في رتبة أو طامح إلى منصب، وقال للوزير : لست أبغي لديك أكثر من أن أتفياً طرفاً من ظلال نعمتك الفيحاء، لأنشر ضياء العلم ونور المعرفة، وأدعو لك بدوام العز وطول البقاء . فأجابه الوزير نظام الملك إلى ذلك، وأجرى عليه رزقاً قدره ١٢٠٠ مثقال ذهب في العام تصرف له من خزينة نيسابور .

### دراسات الخيام وعلومه :

أما عن دراساته فيذكر المؤرخون أن عمر بن إبراهيم الخيمي عاش في القرن الخامس الهجري، وكانت كتب الفلسفة اليونانية المترجمة شائعة، ومؤلفات أرسطو طاليس وأفلاطون وإقليدس وبطليموس وجالينوس وفيثاغور وزنون وأبيقور في الفلسفة الطبيعية والإلهية والرياضية، وما يتفرع عنها من منطق وطب وهندسة وأخلاق وسياسة وهيئة ميسرة بين الناس، والجدل محتدم حول آراء السفسطائيين والمشائين الرواقيين وغيرهم من أهل المذاهب الفلسفية .

وفي عصره نضج علم الكلام، واشتد النزاع العلمي بين الأشاعرة والمعتزلة والحنابلة والجزيرية، وشاعت آراء الباطنية، وكثر الإقبال على التأليف في مختلف العلوم والفنون، وذاعت رسائل إخوان الصفا، وتعددت الفرق والطوائف، وكثر الأطباء والفلاسفة، وظهر أبو علي ابن سينا، واشتد النزاع بين الدين والفلسفة، وألف حجة الإسلام الغزالي كتباً في الرد على الفلسفة، وعظم أمر التصوف، وكثر القائلون بالجدل ووحدانية الوجود، وتفرد نفر بآرائهم الحرة فاتهموا بالزندقة والإلحاد .

وصفوة القول : عاش الخيام في وسط علمي، وفي بيئة علمية ريفية، فعاصر زمرة من الفلاسفة والأطباء والمهندسين والرياضيين والفلكيين من بناء الأرصاد، وتعلم على

نوابغ عصره وألعمهم من العلماء، وتردد إلى بعضهم، وتردد بعضهم إليه، وكثرت بينه وبينهم المحادثات والمحاورات والمراسلات في علوم شتى، وكان لأولئك الذين تتلمذ لهم وتعلموا عليه مكانة علمية عظيمة في عصره . وحسبنا أن تعلم أن من زملائه في الدراسة الحسن بن الصباح أمير الفرقة الإسماعيلية والفرقة التي دعيت فيما بعد بالحشاشين، ونظام الملك الوزير مؤسس المدارس النظامية في معظم الأقطار الإسلامية في عهده .

### أصحاب الخيام ومعاصروه:

معاصروه جميعاً وصفوه بأحلى وأجمل وأرفع ما وصف به الرجال والعلماء . رفاق دربه وأصحابه وأترابه كانوا من خيرة الناس وأفضلهم . منهم الإمام أبو حامد الغزالي، مجدد المائة الخامسة للإسلام، وصاحب ( إحياء علوم الدين ) . ومنهم الوزير نظام الملك، وزير ملوك السلاجقة، وباني المدارس النظامية في شتى أرجاء العالم الإسلامي . وجمار الله محمود الزمخشري، صاحب التفسير المعروف باسم ( الكشاف ) وصاحب الكتب اللغوية، والإمام ظهير الدين البيهقي، صاحب كتاب ( حكماء الإسلام ) . وكثيرون آخرون على هذا المستوى .. ناهيك عن صحبته لملوك عصره، أمثال جلال الدين ملكشاه، وألب أرسلان، وخاقان بخارى، وسواهم من أبناء مطلع القرن السادس الهجري.

### ألقاب الخيام عند معاصريه ورفاقه

مؤرخو عصره وصفوه ب ( الإمام ) و ( حجة الحق ) و ( حكيم الدنيا وفيلسوفها ) و ( الدستور ) و ( ابن سينا الثاني ) و ( العالم الفلكي ) و ( الفقيه )

و ( العالم بالقراءات القرآنية ) و(الزاهد ) و ( المتصوف ) .

ونتساءل عن معاني هذه الألقاب الفخمة التي وصف بها عمر، ومتى يطلق على العالم لقب : إمام، أليس لبلوغه من العلم درجة يفوق بها الناس، فيأتمون به، ويقتدون، وحينئذ يطلق عليه كلمة : إمام ؟

كذلك لقب " حجة الحق " وهي تعني أنه وصل إلى درجة ما عاد أحد على بلوغها، وقد أصبح حجة، وكل ما يلفظ به موطن احترام ورضى وقبول .  
و" حكيم الدنيا " لم يوصف بها من السابقين إلا النوادر من العلماء، وعمر واحد منهم .  
ومتلها " الدستور " و" الفقيه . "

وقصته مع شهاب الإسلام الوزير الفقيه عبد الرزاق بن عبد الله بن علي ابن أخ نظام الملك وشيخ القراء أبو الحسن الغزالي وتحكيمة في صحة قراءة آية، وشهادة الغزالي فيه بقوله : كثر الله العلماء مثلك، اجعلني من أدمة أهلك، وارض عني، فلاني ما ظننت أن أحداً في الدنيا يحفظ ذلك ويعرفه فضلاً عن واحد من الحكماء .  
ووصفه بالعالم الفلكي، وابتداعه تقويماً أضبط من التقويم الغربي المعروف بالغرغوري مشهور، وكذلك معرفته بالطب، وقصة مداواته لابن ملكشاه من داء الجرب مشهورة

ترى : هل يمكن أن يوصف إنسان بالعلم، والخلق، والزهد، والتقوى، والحكمة، والفلكي، والمقري، ومحالس الملوك، والعلماء، وأفاضل الناس بغير ما وصفه أبناء عصره، وما سطره معاصروه بتلك الأوصاف الرائعة ؟

لم يقل أحد من تلامذته، وشيوخه، وأصحابه، ورفاق دربه أنه كان زنديقاً، أو سكيراً، أو منحرفاً .. حتى بالنسبة للشعر ذكروا أن له عدداً من الرباعيات في الزهد لا تزيد على بضع عشرة رباعية .

## نبذة من أشعار الخيام:

جميعها أشادت به، وعرضت أشعاره بالعربية والفارسية وهي قليلة ومحدودة لا تتجاوز معاني الزهد، والشكوى من الأصحاب غير الأوفياء، والفقر، وهموم الحياة، والإيمان الكامل بالله الواحد الأحد، الفرد الصمد . ومنها:

بل الأفقُ الأعلى إذا جاش ناظري  
عفاً . وإفطاريّ تقديسُ فاطري  
بطرق الهدى من فيضي المتقاطر  
لعين على وادي العمى كالقناطر

تدين لي الدنيا بل السبعة العلى  
أصوم عن الفحشاء جهراً وخفية  
وكم عصبية زلت عن الحق فاهتدت  
فإن صراطي المستقيم بصائر

ومنها قوله :

يحصّلها بالكذ كفي وساعدي  
فكن يا زماني موعدي أو موعدي  
وفوق مناط الفرقدين مصاعدي  
يُعيد إلى نحس جميع المساعدي  
يخر ذراها بانقضاء المواعد  
فواعجباً من ذا القريب المبعاد  
فسيان حالاً كل ساع وقاعد

إذا قنعت نفسي بميسور بلغة  
أمنت تصاريف الحوادث كلها  
ولي فوق هام النيرين منازل  
أليس قضى الأفلاك من دورها بأن  
فيا نفس صبراً عن مقيلك إنما  
متى ما دنت دنياك كانت بعيدة  
إذا كان محصول الحياة منية

## الكتب المعاصرة التي تحدثت عن الخيام:

يشهد على ذلك ما جاء في ترجمة حياته بتلك الكتب التي كتبت في حياته، والكتب التي كتبت بعد وفاته بقليل، منها: كتاب ( جهار مقال ) لتلميذه أحمد بن عمر النظامي السمرقندي وكتاب ( حواشي جهار مقال )، وكتاب (الزاجر للصغار عن معارضة الكبار) للزمخشري، وكتاب (حكماء الإسلام) للإمام أبي القاسم البيهقي، وكتاب ( نزهة الأرواح وروضة الأفراح ) لشمس الدين محمد بن محمود الشهرزوري، وكتاب (فردوس التواريخ) لخسرو الأبرقوهي، وكتاب ( عجائب المخلوقات ) لعماد الدين زكريا القزويني، وكتاب (جامع التواريخ ) لرشيد الدين، وكتاب ( أخبار الحكماء ) لجمال الدين علي بن يوسف القفطي، وكتاب ( كامل التواريخ) لابن الأثير، وسواها.

جميعها أشادت به، وعرضت أشعاره بالعربية والفارسية وهي قليلة ومحدودة لا تتجاوز معاني الزهد، والشكوى من الأصحاب غير الأوفياء، والفقر، وهموم الحياة، والإيمان الكامل بالله الواحد الأحد، الفرد الصمد.

## السؤال الكبير :

ويثور في الذهن سؤال ضخم كبير : كيف نُسب إلى هذا الرجل هذا الكم الهائل من الرباعيات، وهو لم يقل إلا بضعة عشرة رباعية ؟ وكيف جعلت الأشعار عمر الخيام زنديقاً أو كالزنديق، وهو رفيق أكابر العلماء ونظيرهم ؟ وكيف انتقلت هذه الأشعار إلى لغات العالم ؟ ولماذا صورته بهذه النساوير ؟ ولماذا بذلت الرباعيات هذا البذل، وغدت بمتناول كل يد ؟

ونتساءل عن هذه الظاهرة التي انتشرت في العالم كله منذ ما يزيد على مئة عام، ونحاول أن نعرف العوامل التي دفعت إلى انتشار هذه الأشعار الماجن لشاعر مسلم .

## بدايات كشف الخيام:

كان أول من عرف الخيام من الفرنجة توماس هايد أستاذ العربية والعبرية في جامعة أوكسفورد، وتبعه المستشرق النمساوي هامر برغستل سنة ١٨١٨ م، ثم غرسن دو تاسي . وفي القرن التاسع عشر ترجم السير كور أوسلي رباعيتين، وإدوارد هارن بعض رباعيات، والفرنسي نيقولا السفير في طهران ترجم رباعياته وقال : صوفية تنصل بالعشق الإلهي والخمرة المقدسة، وشبهه بحافظ الشيرازي، وبلغ عد المترجمين للرباعيات في القرنين الماضيين أكثر من عشرين مترجماً، ومعظمهم من اليهود، والمؤلفين في الأدب العبري .

## فيتزجيرالد ابتدع الأكدوبة الكبرى:

وفي سنة ١٨٥٩ م نشر الشاعر الإنكليزي فيتز جيرالد الرباعيات شعراً، وبهذا الشعر انتشرت الرباعيات في جميع أصقاع العالم، وبدأ الناس يعرفون عمر الخيام، ويرددون شعره .

وفي سنة ١٨٩٣ م اجتمع عدد من الأدباء والصحفيين الإنكليز، وأسسوا في مدينة لندن نادياً سموه: "نادي عمر الخيام omar khayam club"، وزرعوا بعد سنتين شجرتي ورد على قبر الشاعر فيتز جيرالد أتوا بهما من إيران .

مهمة هذا النادي أن يذيع على الدوام ليل نهار أشعار الخيام التي ترجمها فيتز جيرالد، وعلى أنغام الموسيقى يشرب الرواد الخمر، ويظلون يسكرون، ويغنون، ويشتمون، ويلعنون السماء إلى أن يتعتهم السكر، ويرميهم أرضاً .

انتشرت فكرة النادي الحانة في إنكلترا أول الأمر، وشاع صيته وانتشر، فقلده عديد من بلاد العالم، من لاهور شرقاً إلى غربي العالم الأمريكي غرباً . وفيها جميعاً

دعوة صارخة إلى احتساء الخمر، وتعاطي الملذات، والكفر بكل ديانات السماء، وإنكار البعث والحشر والجنة والنار، وعدم الخوف من حساب أو عقاب مثل هذه النادي كثير من بلاد الشرق والغرب، ووصل إلى بلدنا: فلقد كان هناك في إحدى مدن أريافنا رجل كان يملأ دنانه بالخمر، ويأتي بشرط أم كلثوم الذي تغني فيه رباعيات الخيام، ويظل يشرب على سماع الشريط ولحن أم كلثوم إلى أن ينطرح أرضاً .. وهكذا كان يقضي العمر مستمتعاً لشريط الرعايات، ومتعاطياً الخمر، ومنكراً التعاليم الإلهية كما تقول رباعيات الأغنية، إلى أن وافاه الأجل المحتوم، ولم يخرج في جنازته أحد من أهل البلدة جميعاً .

ترى : أي سحر تحمله تلك الأشعار حتى راح يتغنى بها آلاف الناس في شتى بقاع الأرض؟؟

في الحق : إن من يقرأ أشعار الإنكليزي فيتز جيرالد الرائعة والمسبوكة لغة كأنها السحر، ينجذب على مضمونها، ويسحر بأسلوبها وجمالها كل من يقرأها . أشعار فيتزجيرالد التي أفسدت العالم وليس أشعار عمر الخيام :

وأعجب من هذا كله أن هذه الأشعار ترجمت من الإنكليزية إلى معظم لغات العالم، وما رباعيات الخيام العربية المغناة بالعربية، والتركية، والأوردية، والفرنسية، والروسية، وسائر اللغات الأخرى إلا ترجمة لرباعيات فيتز جيرالد، وليس لعمر الخيام الحقيقي يد فيها، ولا معرفة، ولا هو قائلها، بل لم تكن تخطر له على بال، وهو بريء منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب .

هذا التناقض العجيب بين رباعيات قال فيتزجيرالد إنها منسوبة لعمر الخيام ودراسة موضوعية رصينة لشخصية عمر الخيام تظهر لنا أن في الأمر سرًا.

ونتساءل : أصحيح أن عمر الخيام كان رجلاً متهتكاً، سكيراً، عريداً .. أمضى

العربي، وعلى الشعراء، والحكام، والعلماء المسلمين من قدماء ومعاصرين، ورجال  
الدين، والتاريخ العربي من أوله لآخره، ويدركون ما يحاك لهم هنا وهناك، وما يفتري  
المفترون، ويزعم الزاعمون، ويأفك الأفاكون؟

حلب المحروسة

بكري شيخ أمين

٥١١/٧/١٤٢٧

٥/٨/٢٠٠٦ م

ikahn.com

## من رباعيات الخيام

وإنما نحن رخاخ القضاء  
 ينقلنا في اللوح أنى يشاء  
 وكل من يفرغ من دوره  
 يلقي به في مستقر الفناء  
 \*\*\*

رأيت صفا من دنان سرى  
 ما بينها همس حديث جرى  
 كأنها تسأل : أين الذي  
 قد صاغنا أو باعنا أو شرى  
 \*\*\*

سطا البلى فاغتال أهل القبور  
 حتى غدوا فيها رفاتا نثير  
 أين الطلى تتركني غائبا  
 أجهل أمر العيش حتى النشور  
 \*\*\*

إذا سقاني الموت كأس الحمام  
 وضمكم بعدي مجال المدام  
 فأفردوا لي موضعي واشربوا  
 في ذكر من أضحي رهين الرجام  
 \*\*\*

حياته كما يصورون ويزعمون؟ صحيح أنه نظم كل هذا الفيض من الرباعيات الصارخة بالمجون والمعصية والفجور؟

ويكشف العلماء والباحثون السر، ويربطون بين حركة الاستعمار التي قويت واشتدت في القرن الثامن عشر، وما رافقها من حملات تبشيرية، وتنصيرية .

زعم المبشرون أنهم وجدوا مخطوطة في جامعة أوكسفورد فيها رباعيات منسوبة إلى رجل يدعى ب "الخيام"، كلها زندقة، ودعوة إلى السكر والعريضة، وسرعان ما ترجمها إلى الإنكليزية اليهودي (توماس ماير)، ثم تلقفها (فون هامر النمساوي) ونقلها إلى الألمانية .. حتى إذا حلت سنة ١٨٥٩ الميلادية وجدنا (فيتزجيرالد)، وهو أديب إنكليزي لامع، وشاعر مبدع، فاختر من الرباعيات ما شاء له الهوى، ونقلها بالمعنى شعراً إلى الإنكليزية . وكانت كما يقولون أشعراً رائعة، وفي غاية الجمال .. فأعجب بما الناس .. وانتقلت من الإنكليزية إلى معظم لغات العالم، حتى إلى الفارسية والعربية .. وولد من خلالها شاعر جديد، اسمه : عمر الخيام لا يمت بصلة إلى عمر الخيام الفارسي الأصيل المسلم بصلة إلا بصلة الاسم، لا أكثر .

وربح الاستعمار والمبشرون ربحاً لانظير له .. فلقد أوهموا المشاركة بخاصة أن من علمائهم الكبار من ينظم مثل هذه الأشعار، ويشرب هذه الخمر، ويفعل هذه الأفاعيل .. إذن، فلا حرج عليهم أن يقلدوا عالمهم .. ويتبعوا فلسفته .. شراً بشير، وذراعاً بذراع.

وانطلت الحيلة، أو اللعبة، على كثير من الناس، فإذا جمهور غفير من المخدوعين يسلك سلوك (خيام فيتزجيرالد)، ويتفلسف شيئاً فشيئاً من تعاليم الدين .. ويغدو في آخر العمر مدمن شراب، مرید شیطان رجیم .

كان أول من نقلها إلى العربية وديع البستاني مترجماً لأشعار فيتزجيرالد، وأعقبه

محمد السباعي المصري، ثم العراقي محمد الهاشمي نقلها من الفارسية، ومثله أحمد الصافي النحفي، وجميل صدقي الزهاوي، وأحمد زكي أبو شادي، وتوفيق مفرج لكن الطامة الكبرى هي التي ترجمها من الإنكليزية الشاعر المصري أحمد رامي، وكانت ترجمته من الجمال الفني والعبارات المعربة أشبه بترجمة فيتز جيرالد السحرية، وزادها حلاوة أسلوب وقبول عند كثير من دعاة الإلحاد غناء أم كلثوم لها، رغم تبديلها عدداً من الكلمات الأصلية.

وقد يقول قائل : ومن ناظم تلك الرباعيات المصورة المطبوعة، والتي وجدت في أو كسفورد، وترجمها ماير وهامر وفيتز جيرالد وسواهما ؟

والجواب سهل ويسير، فما أكثر دعاة الإلحاد في كل زمان ومكان، وما أكثر الوضاعين والمنتحلين والمختلقين، وهل من العسير أن ينحل الزنادقة والوضاعون والملحدون شعراً على لسان عمر الخيام، وغير الخيام، وهل ننسى ما نحل على لسان الجاهليين، وكم وضع على لسان السموات شعراً هو منه براء، وكم وضع على لسان الرسول الكريم أحاديث زعموا أنها نبوية، والتي منها براء، بل ألم يتجرأوا ويزيدوا في كتاب الله آيات هي من تأليفهم، ولم يسلم من الوضاعين والكذابين شاعر، أو حاكم، أو خليفة، أو نبي، حتى آدم عليه السلام قال شعراً وأقوالاً وأفعالاً ما أنزل الله بها من سلطان، ولا خطرت على نال، ولا مرت على شفتي إنسان .

إنها حرب صليبية كما قال الرئيس الأمريكي بوش ومعه بليز الإنكليزي ومع الصليبية دعوة يهودية صهيونية لإشاعة الباطل، والزندقة، والكفر، والفجور، ومحاربة الدين ورجاله وأهله والتمسكين به، والتحلل من كل فضيلة، والشك في التاريخ العربي والإسلامي والعلماء العرب والمسلمين في العصور كلها. ..

فهل ينتبه العقلاء إلى هذه المخاطر، والافتراءات، والأكاذيب على لسان النبي

عن وجنة الأزهار شف النقاب  
 وفي فوادي راحة للشراب  
 فلا تنم فالشمس لما يزل  
 ضياؤها فوق الربى والهضاب  
 \*\*\*

فكم على ظهر الثرى من نيام  
 وكم من الثاوين تحت الرغام  
 وأينما أرمي بعيني أرى  
 مشيعا أو نهزة للحمام  
 \*\*\*

يا ربّ في فهمك حار البشر  
 وقصر العاجز والمقتدر  
 تبعث نجواك وتبدو لهم  
 وهم بلا سمع يعي أو بصر  
 \*\*\*

بيني وبين النفس حرب سجال  
 وأنت يا ربّي شديد المحال  
 أنتظر العفو ولكنني  
 خجلان من علمك سوء الفعال  
 \*\*\*

شقت يد الفجر ستار الظلام  
 فاتهض وناولني صبوح المدام  
 فكم تحيينا له طلعة  
 ونحن لا نمك رد السلام

\*\*\*

معاقرو الكأس وهم سادرون  
 وقائموا الليل وهم ساجدون  
 غرقى حيارى في بحار النهى  
 والله صاح والزرى غافلون

\*\*\*

كنا فصرنا قطرة في عباب  
 عشنا وعدنا ذرة في التراب  
 جننا إلى الأرض ورحنا كما  
 دب عليها النمل حيننا وغاب

\*\*\*

لا أفضح السر لعال ودون  
 ولا أطيل القول حتى يبين  
 حالي لا أقوى على شرحها  
 وفي حنايا الصدر سري دفين

\*\*\*

أولى بهذي الأعين الهاجدة  
 أن تغتدي في أنسها ساهدة  
 تنفس الصبح فقم قبل أن  
 تحرمه أنفاسنا الهامدة  
 \*\*\*

هل في مجال السكون شيء بديع  
 أحلى من الكأس وزهر الربيع  
 عجبت للخمار هل يشتري  
 بماله أحسن مما يبيع  
 \*\*\*

هوى فزادي في الطلى والحباب  
 وشجو أذني في سماع الرباب  
 إن يصغ الخراف من طينتي  
 كوبا فأتزعها ببرد الشراب  
 \*\*\*

يا مدعي الزهد أنا أكرم  
 منك وعقلي ثملا أحكم  
 تستنزف الخلق وما أسنقي  
 إلا دم الكرم فمن آثم؟  
 \*\*\*

انخر كالورد وكأس الشراب  
 شفت فكانت مثل ورد مذاب  
 كأنما البدر نثا ضوءه  
 فكان حول الشمس منه نقاب  
 \*\*\*

لا تحسبوا أني أخاف الزمان  
أو أرهب الموت إذا الموت حان  
الموت حق لست أخشى الردى  
وإنما أخشى فترات الأوان  
\*\*\*

لا طيب في الدنيا بغير الشراب  
ولا شجي فيها بغير الرباب  
فكرت في أحوالها لم أجد  
أمتع فيها من لقاء الصحاب  
\*\*\*

عش راضيا واهجر دواعي الألم  
واعدل مع الظالم مهما ظلم  
نهاية الدنيا فناء فعش  
فيها طليقا واعتبرها عدم  
\*\*\*

لا تأمل الخل المقيم الوفاء  
فإنما أنت بدنيا الرياء  
تحمل الداء ولا تلتمس  
له دواء وانفرد بالشقاء  
\*\*\*

اليوم قد طاب زمان الشباب  
وطابت النفس ولذ الشراب  
فلا تقل كأس الطلى مرة  
فإنما فيها من العيش صاب  
\*\*\*

وليس هذا العيش خلداً مقيم  
 فما اهتمامي محدث أم قديم  
 سنترك الدنيا فما بالناس  
 نضيع منها لحظات النعيم  
 \*\*\*

حتام يغري النفس برق الرجاء  
 ويفزع خاطر طيف الشقاء  
 هات اسقنيها لست أدري إذا  
 صعدت أنفاسي ردت الهواء  
 \*\*\*

دنياك ساعات سراع الزوال  
 وإنما العقبى خلود المآل  
 فهل تبيع الخلد يا غافلاً  
 وتشتري دنيا المني والضلال  
 \*\*\*

يامن نسيت النار يوم الحساب  
 وعفت أن تشرب ماء المتاب  
 أخاف إن هبت رياح الردى  
 عليك أن يأنف منك التراب  
 \*\*\*

يا قلب كم تشقى بهذا الوجود  
 وكل يوم لك هم جديد  
 وأنت يا روعي ماذا جنت  
 نفسي وأخراك رحيل بعيد  
 \*\*\*

تناثرت أيام هذا العمر  
تناثر الأوراق حول الشجر  
فانعم من الدنيا بلذاتها  
من قبل أن تسقيك كف القدر

\*\*\*

لا توحش النفس بخوف الظنون  
وأغنم من الحاضر أمن اليقين  
فقد تساوى في الثرى راحل  
غدا وماض من ألوف السنين

\*\*\*

## عمر الخيام...

### سماه الشرقيون والحكيم والغربيون ملك الحكمة

بقلم: بندر عبدالحميد

شكلت الطبقات المتوالية لترجمة رباعيات الخيام، منذ الستينيات في القرن التاسع عشر، انقلاباً واضحاً في الثقافة الأوروبية والعالمية، وتجاوزت تأثيراتها الحياة الثقافية إلى الحياة الاجتماعية العامة، وانتقلت من اللغة الإنجليزية إلى اللغات الأخرى بشكل لم يسبق له مثيل، وقيل ان الاعداد الخيالية للنسخ المطبوعة تجاوزت كل نسخ الكتب الأكثر شهرة باستثناء الانجيل، وليس غريباً ان تترك تأثيراً على حركة التجديد في الشعر الاوروبي عامة، وفي الشعر الانجليزي المكبل بالقيود الكلاسيكية وتقاليد العصر الفيكتوري، وفاضت شهرة الخيام لترفع اسم مترجم الرباعيات ادوارد فيتزجيرالد إلى الصف الأول بين اعلام الادب الانجليزي.

والسبب الأول في هذه (المعجزة) هو ما تحمله هذه الرباعيات ولهذا اقبل على قراءتها حتى اولئك الذين لا تربطهم بالقراءة اية علاقة، واذا كان الخيام قد اخذ لقب الحكيم في الثقافتين الفارسية والعربية، فان الأوروبيين اعطوه لقب (ملك الحكمة)، واختطف الاضواء من شيكسبير لفترة طويلة، ولكن إعادة اكتشافه في الثقافتين الفارسية والعربية، اللتين ينتمي اليهما الخيام، تأخرت أكثر من نصف قرن عن اكتشافه في أوروبا والعالم، وعسى ان يكون نصف القرن، هذا، هو الفرق الزمني الحضاري بين الغرب والشرق، وليس أكثر.

## حياة الخيام

في نيسابور عاصمة خراسان ومدينة العلم والمعرفة، وفي منتصف ربيع عام ١٠٤٨ ميلادية حسب تقديرات المؤرخين ولد عياث الدين أبو الفتح عمر بن ابراهيم الخيام، الحكيم والشاعر والفلكي وعالم الرياضيات، الذي ظلت شهرته محدودة ومرتبطة بانجازاته العلمية، ولم يكتشف العالم سر عبقرية الشعرية في رباعياته الا بعد سبعة وثلاثين عاماً من وفاته في نيسابور عام ١١٣١ ميلادية.

كان الخيام يجيد اللغة العربية، ويكتب بها، وله بالعربية كتاب (الجبر والمقابلة)، وقد ترجم إلى الفرنسية عام ١٨٥١، اي قبل ترجمة الرباعيات إلى الانجليزية بسنة واحدة، ولكن بعض الدارسين يقولون انه عربي الاصل، حيث انتشرت القبائل العربية شرقاً بعد الفتوحات الاسلامية، ولهذا يقولون انه متأثر في شكل ما في رباعياته بشعر المعري الذي يسبقه بنحو خمسين عاماً.

## الخيام عالماً

تلقى الخيام علومه في نيسابور ثم رحل إلى سمرقند لمتابعة دراسة الجبر، وبرزت موهبته في علم الفلك، فاستعاه السلطان السلجوقي ملك شاه لتعديل التقويم، وكلفه ببناء برج فلكي في اصفهان، حيث عمل فيه مع عدد من العلماء، وجاءت جهوده العلمية لتكتمل الجهود التي بدأها البيروني بعد وفاته، وكانت انجازات الخيام في مجال الرياضيات أساساً لتطويرها في القرن التاسع عشر الميلادي، فقد اوجد طريقة هامة لاستخراج جذور الارقام، وعالج لأول مرة مسائل التكعيب في الجبر، وتمنى ان يكمل الذين يأتون بعده الحلول التي وصل اليها، وكان الخيام مشغولاً بالمسلمات الرياضية التي اثارت اهتمام العلماء العرب والمسلمين، وشعر بأن نظريات اقليدس غير كافية، في مجال النسبة، وانجز نظاماً للأرقام أكثر اتساعاً من نظام الاغريق.

## قبل اكتشاف الرباعيات

ظلت رباعيات الخيام موزعة في المخطوطات المختلفة في الشرق والغرب، وجاء الاختلاف كالعادة من سوء نوايا الناسخين أو تعصبهم، حيث يضيفون أو يحذفون ما يريدون، ولكن العدد السذي وصل من هذه الرباعيات إلى الغربيين كان كافياً لادهاشهم، وكانت صلة الباحثين والمؤلفين والقراء الغربيين قد بدأت منذ دخول العرب إلى الأندلس، حيث كانت الموشحات وقصص الحب العربية ذات أثر واضح على الشعر الإسباني والفرنسي في بداية القرن الثامن، وفي أول القرن الثامن عشر نقل انطوان غالان مختارات مكثفة من الف ليلة وليلة إلى الفرنسية، ثم ترجمت إلى اللغات الأوروبية الأخرى وتركت آثارها على أعمال فولتير وغوته وعدد كبير من الأدباء الأوروبيين، كما ظهرت تأثيرات ترجمة اشعار حافظ الشيرازي والمعلقات السبع العربية على أعمال غوته وبشكل خاص في (الديوان الشرقي للمؤلف الغربي)، ولم تنته حكايات شهر زاد حتى اليوم في المؤلفات والأعمال الإبداعية الغربية.

## فيتزجيرالد والخيام

اعتبر بعض النقاد ان ادوارد فيتزجيرالد (١٨٠٩ - ١٨٨٣) من أهم الشعراء الانجليز في القرن التاسع عشر، ليس لانه كتب شعراً، وانما لانه ترجم رباعيات الخيام بلغة شعرية عالية، توازي اللغة الشعرية الفخمة في الشعر الكلاسيكي الانجليزي في العصر الفيكتوري وما قبله.

كان فيتزجيرالد تخرج من جامعة كامبرج، وجمعته علاقة صداقة مع الشاعر الانجليزي لورد تينسون والمؤرخ الفيلسوف توماس كارليل، وكان تينسون قد كتب في تلك الفترة أهم قصائده (الذكري)، ولكنها لم تجذب انتباه القراء والكتاب كما فعلت رباعيات الخيام.

نشر فيتز جيرالد أعمالاً متفرقة، منها ست مسرحيات للكاتب الاسباني كالديرون قبل ان يتجه إلى الدراسات الشرقية، ويترجم مجموعة من رباعيات الخيام وينشرها دون ان يذكر اسم المترجم، في عام ١٨٥٩، وظلت هذه الرباعيات مهملة، تباع بسعر زهيد، لدى الناشر اللندني كارتش، لاثير انتباه احد حتى اكتشفها الشاعران دانتي جابريل روزيتي وصديقه الجرينون سوينبورن، واشترى ماتبقى من النسخ لتقدمها كهدايا إلى الاصدقاء، وكان ذلك في عام ١٨٦٠، وهو العام الذي شهد نشر كتاب (اصل الأنواع) لداروين، وبداية الانفتاح على الافكار الجديدة والثقافات الاخرى في بريطانيا، وكان للدعاية التي بثها روزيتي وسوينبورن اثر سريع وواضح على اهتمام القراء بالرباعيات وتوالي طبعاها المنقحة مع مقدمة موسعة للمترجم عن عمر الخيام وحياته وعصره، وهو العصر الذي يهتم الاوروبيون بدراسته لانه ارتبط بالحروب الصليبية والصراعات في الشرق، وكان توماس هايد استاذ اللغات الشرقية في جامعة اكسفورد قد ترجم الرباعيات إلى الإنجليزية قبل فيتز جيرالد، ولكن ترجمته لم تثر اهتمام عامة الناس.

وقد نشر فيتز جيرالد ترجمته بأسلوبين مختلفين: احدهما كان الترجمة النثرية الحرفية التي التزمت بالمضمون الدقيق لمنص وافكاره وصوره، والثاني كان الترجمة الشعرية التي ترصد المضمون وتضعه في قالب الشعر الانجليزي الكلاسيكي المؤلف الذي يعيل إلى الفخامة والبلاغة والغنائية العالية، ويمكن للقارئ ان يختار من هذين النصين ما يريد. لان النص الشعري لا يخلو من التصرف احياناً، بضرورة الشعر، كما يقولون، وكان عدد الرباعيات في ترجمة فيتز جيرالد مئة وخمس رباعيات.

## حكايات عن الخيام

ارتبطت بعبقرية الخيام حكايات نادرة حدثت معه أو بعد وفاته، وقد التقط الباحثون بعضاً من هذه الحكايات، ومنها: اجتمع ثلاثة من الطلاب الدارسين لدى الامام موفق الدين النيسابوري في جامعة خراسان وهم عمر الخيام ونظام الملك والحسن بن الصباح، وكانوا يراجعون دروسهم في غرفة خاصة، وهم يدرسون العلوم الدينية واللغة والهندسة والرياضيات والمنطق والعلوم واللغة الاغريقية والفلك.

وفي احد الايام قال الحسن ابن الصباح: دعونا نتعاهد على ان من يصل إلى الوزارة من بيننا نحن الثلاثة يساعد صديقيه الآخرين على الوصول إلى المراكز العالية.

ومرت الايام وصار نظام الملك وزيراً في بلاط الب شاه، فزاره الصديقان القديمان عمر الخيام والحسن بن الصباح، ولكن الخيام لم يطلب مركزاً في البلاط، ولكنه كان يريد الاهتمام بأعماله العلمية، فلبى له نظام الملك رغبته وحدد له منحة سنوية بألف ومئتي مثقال ذهبي، اما الحسن بن الصباح فقد حاول منافسة الوزير لدى السلطان، لكن المنافسة انتهت بخصومة شديدة، ثم هرب الحسن، وتحول بعد ذلك إلى قائد مشهور من قادة فرقة الحشاشين التي نظمت حملة من الاغتيالات السرية المنظمة للخصوم.

وكان احد ضحاياها الوزير نظام الملك نفسه، بينما كان الحسن بن الصباح يحتل (قلعة الموت) ويذكر فيتزجيرالد في مقدمته للرباعيات ان نظام الملك كان قد اعتاد ان يردد في حياته بعض العبارات من رباعيات صديقه الخيام، وكانت آخر كلماته عند اغتياله، وقبل ان يلفظ انفاسه الأخيرة: (يا الهي (انني امضي في قبضة الريح) وقد استعار هذا القول من الشطر الرابع من رباعية الخيام التي يقول فيها:

## (جنت كالماء وكالريح أمضي).

يذكر فيتزجيرالد في مقدمته نقلاً عن كتاب (جهاز مقاله) أربع مقالات للخزاجة النظامي السمرقندي، الذي كان تلميذاً للخيام، انه كثيراً ما كان يناقش استاذة الخيام في أمور مختلفة، وسمعه في إحدى المرات يقول: سيكون قبري في مكان تهب عليه النسائم الشمالية وينشر فوقه الورد والزهرة، وكان النظامي يستغرب ما قاله الخيام، ومرت سنوات طويلة، وسمع النظامي عن موت الخيام فعزم على زيارة قبره في نيسابور بعد ثلاثة عشر عاماً من موته، فوجد قبره إلى جانب سور حديقة مهجورة، فتدلت أغصان الأشجار فوق القبر ونثرت عليه من ثمارها وازهارها حتى غطت احجاره.

زار الخيام بلدة فسمع أهلها يشكون من كثرة اسراب الطيور التي تخوم فوقهم وتلقي ذرقها فوق رؤوسهم وثيابهم، فصنع الخيام لهم تمثالاً من الطين لطائر كبير، ونصبه في مكان عال يطل على البلدة، فهاجرت اسراب الطيور خوفاً من هذا الطائر الجارح. بعد وفاة فيتزجيرالد بنحو عشر سنوات تأسس في لندن ناد يحمل اسم عمر الخيام، وكانت مهمته تنحصر في الدعوة الى المزيد من الاهتمام بأعمال الخيام ورباعياته، وزيارة قبر مترجمه ادوارد فيتزجيرالد، كما وجه رسالة الى الشاه يطلب فيها صيانة قبر الخيام في نيسابور وتجميل موقعه بزراعة انواع الزهور من حوله.

## الخيام على الشاشة

قدمت هولسيوود في عام ١٩٤١ فيلماً روائياً طويلاً بعنوان (عمر الخيام)، من اخراج السيرت لويس، ولكن هذا الفيلم لم يستطع ان يرسم صورة حقيقية واضحة للخيام، ولكنه استلهم المرحلة التاريخية التي عاشها، فقل انه فيلم مزدحم بالمغامرات

والسيوف والرمال وشيء من الحب، واعتمد السيناريو على مصادر تاريخية شرقية وغربية عن حياة الخيام واحداث المرحلة التي عاشها، وكان من اهم المراجع ما كتبه مانويل كومورن، واصدره في كتاب ترجمه الى العربية بتصريف واسع عمر ابو النصر في بيروت عام ١٩٧٠ بعنوان (قلعة الموت).

وإذا كانت المراجع والدراسات عن عمر الخيام قليلة ومحدودة في اللغة العربية فإنما ليست كذلك في اللغات الاجنبية الحية، ويعتبر كتاب هارولد لام (قصة حياة الخيام) من اهم المراجع الموثقة والشاملة حول حياة الخيام واعماله العلمية ورباعياته الحكيمة:

فكم توالى الليل بعد النهار  
وطال بالانجم هذا المدار  
فامش الهوينى ان هذا الثرى  
من اعين ساحرة الاحورار

### الرباعيات في العربية

إذا كان الاوروبيون قد اكتشفوا رباعيات عمر الخيام في منتصف القرن التاسع عشر، فإن اكتشاف هذه الرباعيات عربياً تأخر الى بداية العقد الثاني من القرن العشرين، حينما نقلها الى العربية، بتصريف، وديع البستاني، على شكل سباعيات، من اللغة الانجليزية، عن فيتزجيرالد، وابتعد بما عن الاصل، ومنذ ذلك الحين شهدت الرباعيات عشر ترجمات الى اللغة العربية، منقولة عن اللغتين الانجليزية والفارسية، انجزها كل من: محمد السباعي، محمد الهاشمي، احمد الصافي النجفي (ترجمة شعرية عن الفارسية)، احمد رامي (ترجمة شعرية عن الفارسية)، جميل صدقي الزهاوي (ترجمة نثرية عن الفارسية)، احمد الصراف (ترجمة نثرية)، عبدالحق فاضل (ترجمة شعرية)،

د. احمد زكي ابو شادي (ترجمة شعرية عن الانجليزية)، د. محمد غنيمي هلال (ترجمة مختارات نثرية عن الفارسية)، الشاعر الاردني عرار (مصطفى وهبي التل).

واجمع النقاد والقراء على اهمية الترجمة الشعرية لأحمد الصافي النجفي، (عن الفارسية)، وترجمة احمد رامي (عن الفارسية) والتي انتشرت بشكل واسع بعد ان غنت ام كلثوم مختارات منها، من تلحين رياض السنباطي، وكان احمد رامي قد درس اللغة الفارسية في باريس في نهاية العشرينيات من القرن العشرين، ومع ان بعض النقاد الكلاسيكيين ذموا ترجمة احمد رامي، مثل روكس بن زايد العيزي في مقدمته لترجمة ابي شادي للرباعيات، الا ان شاعرية ترجمة رامي وغنائيتها الفريدة ترتفع بما الى مستوى شعر الخيام وترجمة فيترجيرالد.

اما ترجمة عبدالحق فاضل فقد رافقتها دراسة موسعة عن الخيام مع مقارنة بين الخيام والمعري، تتحرى نقاط الالتقاء والاختلاف بينهما، ويرز الالتقاء في طرح الاسئلة الجريئة المتأملة الحائرة عن الحياة وسر الوجود، بينما يظهر الخلاف واضحا في زهد ابي العلاء وانصرافه عن الملذات التي يدعو الخيام الى استترافها طولا وعرضا، ومع هذه الاختلافات فإن ما يجمع بينهما هو الحكمة والذكاء المتوقد.

وبين الترجمات الشعرية العربية تبدو ترجمة احدم زكي ابو شادي للرباعيات سلسلة. وموفقة في توصيل المعاني، ولكن الترجمات الشعرية عموما تعاني من الحشو وتبديل الالفاظ المناسبة بالفاظ غير المناسبة، حسب حاجة الوزن والقافية، وقد ضمت ترجمة (ابو شادي) مقدمتين، واحدة للمترجم، واخرى للأديب روكس بن زايد العيزي يقارن فيها بين الخيام والمعري ايضا، ويؤكد ان عدم زواجهما كان له تأثير خاص في شعرهما.. وتبدو ترجمة د. محمد غنيمي هلال لثلاث وعشرين رباعية مختارة، عن اللغة الفارسية، في كتابه (مختارات من التمر الفارسي عن الدار القومية للطباعة

والنشر القاهرة ١٩٦٥) هي الاقرب والاكثر دقة والتزاما بالاصل، وساعده في ذلك انه ترجمها نثرا حرا، ليس فيه حشو او تحوير في المعنى او الصورة الشعرية.

### تحديد عدد الرباعيات

ويلخص د. هلال نتائج الدراسات التي تناولت مشكلة الرباعيات المضافة الى رباعيات الخيام فيقول: .. ولكن يؤخذ من البحوث الكثيرة التي قام بها المتخصصون في مختلف اللغات الكبرى وبناء على الرجوع الى المخطوطات الكثيرة والقراين التاريخية ان سستا وستين رباعية هي من كلام الخيام على سبيل الافصح، وبناء على خصائص اسلوبها يمكن ان نلحق بها مئة وثمان عشرة رباعية اخرى على سبيل الاحتمال لا اليقين، فيكون مجموع الرباعيات الصحيحة يقينا واحتمالا مئة وثمان وسبعين بدلا مما يعزى اليه من رباعيات كثيرة منحولة، تبلغ مئات، بل انما في بعض المخطوطات تتجاوز الالف.

### صورة شرقية للخيام

لقي الخيام اهتماما باعماله في مجال الرياضيات والفلك، لدى الدارسين القدامى، الفرس والعرب، وتجاهلا او هجوما على رباعياته واتهامات بالزندقة من المتعصبين المتزمتين، فوصفه الرازي في كتابه (مرصاد العباد) بأنه (الدهرى التائه في ميدان الضلال)، كما يذكر محمد غنيمي هلال، وان القفطي في اخبار الحكماء قال بأن بعض متأخري الصوفية نقلوا ظواهر شعره الى طريقتهم، وناشروا هذا الشعر فاعتبروه افاعي سامة، وعندما استنكروه وتألبوا عليه، خاف على دمه، وامسك من حنان لسانه وقلمه وذهب الى الحج.

أما الباحثون المحدثون في الادب الايراني فلهم مواقف غريبة ومختلفة من عمر

الخيام، فبعضهم يعتبره رجل علم وتقيا، لا علاقة له بالرباعيات المنسوبة اليه، لما فيها من افكار حرة ودعوة الى الحياة بكل وحوهها لمشرقة، وينكرون انه كعالم ، يمكن ان يقول شعرا في الغزليات والخمريات والتأمل في حال الوجود واسئلة الحياة والموت، مع ان هذه الموضوعات هي الاغراض الاساسية لأهم اعلام الشعر الفارسي من الذين سبقوا عمرالخيام او عاصروه او جاؤوا بعده، ومنهم: رودكي، رابعة القزدارية. فرضي السيستاني، عسجدي، قطران التريزي، معزي النيسابوري، انوري، حافظ الشيرازي، ومن قبلهم أبو نواس الذي كتب شعره بالعربية. ويشير بعض الباحثين الى ان التعسف الذي تعرض له الخيام في حياته وبعد موته من المتزمتين كان في بعض جوانبه يرتبط بأن اسمه (عمر) تحديدا.

ان شعر الرباعيات كان مألوفا في الشعر الفارسي الذي تأثر كثيرا بالشعر العربي، لغة واسلوبا ومضمونا، ويقال ان اول من كتب الرباعيات الفارسية هي الشاعرة (محاسي)، كما كتبها ابو سعيد ابي الخير الذي توفي في فترة ولادة الخيام، ثم شاع هذ النوع من الشعر المكثف بين كبار الشعراء فيما بعد.

### لوركا يكتشف (الشرقي الرائع)

تتركز اهتمامات المستعرب الاسباني خوسيه ميغيل بويرتا حول (تاريخ الفكر الجمالي العربي) وهو عنوان بحث مطول وفريد، صدر في مدريد في اكثر من تسعمئة صفحة، وفي الذكرى المئوية لميلاد لوركا (١٩٩٨) ترجم الى العربية مقالة كانت مغمورة، حول عمر الخيام، وكتب خوسيه ميغيل مقالة، اعطاني نسخة منها، عن التأثيرات المبكرة لرباعيات الخيام على شعر لوركا، وهي غير منشورة باللغة العربية، جاء فيها:

(لا شك ان قراءة رباعيات الخيام تركت تأثيرا هاما في تكوين فضاء لوركا

الشخصي والادبي، وبالإضافة الى المقال الرقيق الذي نشره بعنوان (تعليقات حول عمر الخيام) في مجلة (آداب Letras) يوم ١٧/١٠/١٩١٧، حين كان مؤلفنا يصدر هذه المجلة مع فئة من الأصدقاء في غرناطة، وهو لا يزال في التاسعة عشرة من عمره. نجد اشارات اخرى الى الشاعر والعلامة النيسابوري، خليقة بالذكر، مبعثرة في قصائد ومحاضرات مختلفة، تنتمي عموماً الى بداية مشوار لوركا الادبي، واهم دليل على ذلك هو ان لوركا ارتقى بنفسه في روض الشاعر الشرقي الكبير، منذ الايات الاولى لما تعتبر اول قصيدة خطها لوركا في حياته، وهي اغنية (حلم والتباس) المؤرخة في ٢٩/٦/١٩١٧ ونقرأ في مطلعها:

كانت ليلة شيقية كاملة  
 ليلة ذهبية في الشرق العتيق  
 ليلة قبيلات ونور ودعابات  
 ليلة ملنفة بقماش العشق  
 اوجاع وورود على جسديك  
 وعيناك هما الموت والبحر  
 وفمك، وشفقتك، وظهرك، وعنقك  
 وانا كظل عمر (خيام) قديم  
 حلم اقمشة الجزائر ودمشق  
 كان يعطر، فاترا، قلبينا  
 وضافانرك تبث لنا  
 على نجوم هواك العظيم

وتتضح من قراءة نصوص لوركا المتعلقة بعمر الخيام ان سلوك مؤلف الرباعيات لمواجهة قضية استقرار المساة والتعاسة في حياة الانسان، يعني ممارسة الحب ولذات الجسد البسيطة وتعبئة روحانية تأملية خاصة تتلخص في تقييم الفرد بذاته واعادة الانسان الى بعده المادي الصيبي والانسجام مع بقية مخلوقات الكون، اصاب الكاتب الغرناطي المبتدئ بصدمة قوية، لأن الموقف الوجودي لعمر الخيام، بكل بساطته

وعمقه، ينافي تماما التقاليد المسيحية المطالبة بالتخلي عن اللذات الجسدية، بوصفها اقبح الخطايا، والاستسلام للاعتراف وانتظار مجيء حياة ثانية بعد الممات).

## لوحات عن عالم الخيام

حملت الينا بعض الطبعات الاوروبية والامريكية والطبعة العربية من ترجمة رباعيات الخيام للشاعر المهجري المصري احمد زكي ابو (شادي المكتبة العلمية بيروت ١٩٥٢) رسوما تخطيطية بارعة الحبر الصيني، بمعدل رسمة مع كل رباعية، ولوحات متفرقة بالألوان المائية، تستلهم الاجواء العاطفية والوجودية التي تبثها الرباعيات، بما فيها من دعوات مفتوحة الى اكتشاف جماليات الحياة والحب والامتع وتحرير العقل والحواس من المموم والمخاوف والاوهام.

وقد انجز هذه الرسوم واللوحات فنان عالمي، ايراني المولد، من اصل ارمني، هو سر كيس خجادروريان، وهو فنان، رسام وباحث اثري، قام بترميم الرسوم الرومانسية التاريخية على الخزف في اصفهان.

درس خجادروريان في كلية الفنون الجميلة في روما، وفي معهد فن الديكور في باريس، ثم في ميونيخ، وبعد ان انجز اعمالا فنية في اوروبا وايران سافر الى الهند للعمل في اكتشاف ودراسة الرسوم اتاريخية في شبه القارة الهندية، ثم عاد الى اوروبا في طريقه الى الولايات المتحدة، ووجدت اعماله اهتماما خاصا في الأوساط الفنية، وبعد رحلته الثانية الى الهند عاد في عام ١٩٤١ ليستقر في الولايات المتحدة، وله اعمال فنية في اكثر من عشرين متحفا عالميا تحمل الى مشاهديها صوراً من الاجواء الساحرة التي رسمها الخيام بالكلمات.

## أحمد رامي وترجمة رباعيات الخيام

انتشرت رباعيات الخيام كأشهر أغاني ام كلثوم .. و بصراحة الكل يستشهد  
بحكم عمر الخيام على لسان أم كلثوم ! و لكن ما مدى جودة الترجمة ؟ لماذا يثق الناس  
بأحمد رامي ك مترجم كونه شاعر جيد لا يعني أنه مترجم جيد أيضاً!

القارئ لترجمة أحمد رامي لرباعيات عمر الخيام يكتشف أن الشاعر للأسف لم يلتزم  
بأصول الترجمة الادبية الصحيحة . فهو في البداية لا يعرف عن عمر الخيام الكثير أو عن  
تاريخ الادب الفارسي .. و لو كان يعرف لكانت مصيبة ! فهو بهذا عالم متجاهل!

أعظم مصيبة أدبية و للأسف هي منتشرة بين بعض المترجمين و نقاد عمر الخيام  
هي فكرة أن عمر الخيام كان يشرب الخمرة ! و هذه من الأكاذيب السخيفة التي لا  
تعدو سوى جهلاً بالادب الفارسي و أصوله و هذا ما ذكره أحمد رامي في ترجمته  
للرباعيات بان عمر الخيام كان يشرب الخمرة لأنها تسمو بروحه فوق الأحزان والمهموم  
و نرد على هذه الشبهة بالتالي : أولاً يا عزيزي يا أحمد رامي من المفروض أن  
شاعراً كبيراً مثل أحمد رامي أن يعرف أصول الأدب الفارسي الكبير و الذي كان له  
كبير الأثر على الادب العربي في العصر العباسي خاصة من ناحية التصاوير و التشابيه  
الجميلة و هي من خصائص الشعر العربي في الفترات اللاحقة و عصور الانحطاط بينما  
كان الشعر العربي في الماضي يرسم صوراً بسيطة و غير معقدة نجد أن الشعر العربي في  
المراحل المتأخرة بعد تأثره بالادب الفارسي و دخول الفرس في وسط الثقافة العربية في  
العصر العباسي قد تحسنت بذلك التصاوير حتى نجد أبياتاً كاملة في تشبيه و صورة  
واحدة و ليست مجرد تشابيه بسيطة في كلمة أو كلمتين . الأدب الفارسي الصوفي اتخذ  
الخمير رمزاً للعشق الإلهي , السكران هو العابد الزاهد الذي في الحقيقة يبدو شكلاً

كالكسكران من شدة التعب و العبادة المتواصلة . و الساقى هو الذي يعطي الخمرة ويدخل الفرحة على قلوب المساكين العشاق والعباد و الساقى عادة يرمز إلى الله يَجْعَلُ .

إلى أن أحمد رامى تجاهل هذه الصور و هي منتشرة بكثرة في الأدب الفارسي ومعروفة وأصبحت جزءاً لا يتجزأ من التشاييه المعروفة لدى الايرانيين ودليل ذلك أن كبار الفقهاء ورجال الدين الشيعة والسنة في إيران الذين يكتبون الشعر كهواية يستخدمون هذه التصاوير .بابا طاهر وحافظ الشيرازي و جلال الدين الرومي وغيرهم كلهم استخدموا هذه الصور والتشاييه .. إلا أن أحمد رامى بكل رومانسية تصور نفسه عمر الخيام و فسر شعر الخيام حسب هواه متجاهلاً تاريخاً كبيراً للشعر الفارسي .ومن كبار الشعراء الذين ينتقدونه وينتقدون ترجمته البدائية هم محمد عبد الغفار الهاشمي مدرس الفارسية في الأزهر الشريف في الستينات . و فيها انتقد أحمد رامى في إشارة إلى كلام أحمد رامى حول عمر الخيام كونه يشرب الخمر لتسمى روحه ، قائلاً :إن رامى قد تحدث عن نفسه بدلاً من حديثه عن الخيام . لقد هام بحب الخمر والنساء ونظر في مرآة الخيام إلى نفسه هو فخدعته نظرتة ونسى الخيام و اجاد التعبير عما يختلج في صدره هو .

ونستدل بدليل آخر على كون الخيام لا يشرب الخمر الخيام فقيه من كبار فقهاء زمانه و قد كتب رسائل متعددة في الفقه و الشريعة و الفلك و الفلسفة و تذكر المصادر بعض رسائله في الفقه و الشريعة و منها رسالة في حكمة رب العالمين في خلق الكون و فيها يشرح فوائد العبادات و الفرائض واتباع الفرائض اهل من المعقول أن أكبر فقهاء زمانه يشرب الخمر ؟الواقع يقول العكس وهو أن الخمر كما ذكرنا سابقاً و ذكرها كبار المترجمين المتبحرين في أصول الأدب الفارسي بأن الخمر في شعر عمر الخيام هي خمرة العشق الألهي . والقارئ لشعره يجد أن عمر الخيام لم يصف الخمر وصفاً دقيقاً أبداً بل كان دائماً يصف الخمر كتأثير و هذا هو الهدف و المغزى من التشبيه ، هي حالة السكر التي يدخل فيها العاشق.

## من رباعيات الخيام

مررت بالخزاف في صحوة  
يصوغ كوب الخمر من طينة  
أوسعها دعا فقالت له :  
هل أقفرت نفسك من رحمة

\*\*\*

لو أنني خيرت أو كان لي  
مفتاح باب القدر المقفل  
لاخترت، عن دنيا الأسي أنني  
لم أهبط الدنيا ولم أرحل

\*\*\*

هبطت هذا العيش في الآخرين  
وعشت فيه عيشة الخاملين  
ولا يوافقيني بما أبتغي  
فأين مني عاصفات المنون

\*\*\*

حكمتك يا أقدار عين الضلال  
فأطلقيني آد نفسي العقال  
إن تقصري النعمى على جاهل  
فلست من أهل الدجا والكمال

\*\*\*

إذا سفاك الدهر كأس العذاب  
فلا تبين للناس وقع المصاب  
واشرب على الأوتار رنائة  
من قبل أن تحطم كأس الشراب

\*\*\*

لا بد للعاشق من نشوة  
أو خفة في الطبع أو جنة  
والصحو باب الحزن فاشرب تكن  
عن حالة الأيام في غفلة

\*\*\*

أنا الذي عشت صريع العقار  
في مجلس تحييه كأس تدار  
فعدّ عن نصحي لقد أصبحت  
هذي الطلى كل المنى والاختيار

\*\*\*

أعلم من أمري الذي قد ظهر  
وأستشف الباطن لمستتر  
عدمت فهي أن تكن نشوتي  
وراءها منزلة تنتظر

\*\*\*

طارت بي الخمر إلى منزل  
فوق السماك الشاهق الأعزل  
فأصبحت روعي في نجوة  
من طين هذا الجسد الأردل

\*\*\*

سئمت يا ربي حياة الألم  
وزاد همي الفقر لما ألم  
ربي انتشلني من وجودي فقد  
جعلت في الدنيا وجودي عدم

\*\*\*

لم يذل قلبي من دواعي الهموم  
أو ترض نفسي عن وجودي الأليم  
وكم تأدبت بأحداثه  
ولم أزل في ليل جهل بهيم

\*\*\*

الله قد قدر رزق العباد  
فلا تؤمل نيل كل المراد  
ولا تذق نفسك مرّ الأسى  
فإنما أعمارنا للنفاد

\*\*\*

إن الذي يعرف سر القضاء  
يرى سواء سعده والشقاء  
العيش فإن فلندع أمره  
أكان داء مسنا أم دواء

\*\*\*

يا طالب الدنيا وقيت العثار  
دع أمل الربح وخوف الخسار  
واشرب عتيق الخمر فهي التي  
تفك عن نفسك قيد الإसार

\*\*\*

الكأس جسم روحه الساريه  
هذي السلاف المزرة الصافية  
زجاجها قد شف حتى غدا  
ماء حوى نيرانها الجارية

\*\*\*

قد ردد الروض غناء الهزار  
وارتاحت النفس لكأس العقار  
تبسم النور فقم هاتها  
نثار من الأيام قبل الدمار

\*\*\*

بي من جفاء الدهر همّ طويل  
ومن شقاء العيش حزن دخيل  
قلبي كدنّ الخمر يجري دما  
ومقلنتي بالدمع كأس تسيل

\*\*\*

وكلما راقبت حال الزمن  
رأيتَه يحرم أهل الفطن  
سبحان ربي كلما لاح لي  
نجم طوته ظلمات المحن

\*\*\*

ماذا جنينا من متاع البقاء  
ماذا لقينا في سبيل الفناء  
هل تبصر العين دخان الألى  
صاروا رمادا في أتون القضاء

\*\*\*

تلك القصور الشاهقات البذاء  
منازل العز ومجلى السناء  
قد نعب اليوم على رسمها  
يصيح أين المجد، أين الثراء

\*\*\*

هون على النفس احتمال الهموم  
واغتم صفا العيش الذي لا يدوم  
لو كانت الدنيا وقت للألى  
راحوا لما جاءك دور النعيم

\*\*\*

وإنما الدهر مذيق الكروب  
نعيمه رهن بكف الخطوب  
ولو درى الهم انذى لم يجيء  
دنيا الأسى لاختار نار الغيوب

\*\*\*

صبت علينا وابلات البلاء  
كأننا أعداء هذا القضاء  
بيننا ترى الإبريق والكأس قد  
تبادلا التقبيل حول الدماء

\*\*\*

تفتح النوار صب المدام  
واخلع ثياب الزهد بين الأنام  
وهاتها من قبل سطو الردى  
في مجلس ضم الطلى والغرام

\*\*\*

حار الورى ما بين كفر ودين  
وأمعنوا في الشك أو في اليقين  
وسوف يدعوهم منادي الردى  
يقول ليس الحق ما تسلكون

\*\*\*

نصبت في الدنيا شراك الهوى  
وقلت أجزى كل قلب غوى  
أتنصب الفخ لصيدي وإن  
وقعت فيه قلت عاص هوى

\*\*\*

أنا الذي أبدعت من قدرتك  
فعثت أرعى في حمى نعمتك  
دعني الى الأثم حتى أرى  
كيف يذوب الإثم في رحمتك

\*\*\*

إن تفصل القطرة في بحرها  
ففي مداه منتهى أمرها  
تقاربت يا رب ما بيننا  
مسافة البعد على قدرها

\*\*\*

وإنما الدنيا خيال يزول  
وأمرنا فيها حديث يطول  
مشرقها بحر بعيد المدى  
وفي مداه سيكون الأقول

\*\*\*

جهلت يا نفسي سر الوجود  
وغبت في غور القضاء البعيد  
فصوري من نشوتي جنة  
فربما أحرم دار الخلود

\*\*\*

يا ورد أشبهت خدود الحسان  
ويا ظلي حاكيت ذوب الجمان  
وأنت يا حظي تنكرت لي  
وكننت من قبل الأخ المستعان

\*\*\*

أولى بك العشق وحسو الشراب  
وحنة الناي ونوح الرباب  
فأطلق النفس ولا تتصل  
بزخرف الدنيا انوشيك الذهب

\*\*\*

لا تشغل البال بأمر القدر  
 واسمع حديثي يا قصير النظر  
 تنح واجلس وادعا قانعا  
 وانظر الى لعب القضا بالبشر

\*\*\*

يا قلب إن ألقيت ثوب العناء  
 غدوت روحا طاهرا في السماء  
 مقامك العرش ترى حطة  
 أنك في الأرض أطلت البقاء

\*\*\*

إن الذي يذبل زهر الربيع  
 ينثر أوراق وجود الجميع  
 والههم مثل السم ترياقه  
 في الخمر فاشرب قدر ما تستطيع

\*\*\*

زجاجة الخمر ونصف الرغيف  
 وما حوى ديوان شعر طريف  
 أحب لي إن كنت لي مؤنسا  
 في بلقع من كل ملك منيف

\*\*\*

أسمع الديك أطل الصباح  
وقد بدى في الأفق نور الصباح  
ما صاح إلا نادبا ليلة  
ولت من العمر السريع الرواح

\*\*\*

علام تشقى في سبيل الألم  
ما دمت تدري أنك ابن العدم  
الدهر لا تجري مقاديره  
بأمرنا فارض بما قد حكم

\*\*\*

تحمل الداء كبير الرجاء  
أنك يوما تنال الشفاء  
واشكر على الفقر الذي إن يرَدَ  
أصبحت موفور الغنى والثراء

\*\*\*

ليتك يا ربي تبيد الوجود  
وتخلق الأكوان خلقا جديدا  
فتغفل اسمي أو تزيد الذي  
قدرت لي في الرزق بين العبيد

\*\*\*

وصلتني بالنفس منذ القدم  
فكيف تفري شملنا الملتئم  
وكننت ترعاني فماذا دعا  
إلى اطراحي للأسى والألم

\*\*\*

هات الطلى فالنفس عما قليل  
توشك من فرط الأسى أن تسيل  
عساي أنسى الهم في نشوتي  
من بعد رشفي كأسها السلسبيل

\*\*\*

يا ساقى الخمر أفق هاتها  
ثم اسقني سائل ياقوتها  
فإنها تبعث من روحها  
نفسي وتحيي ميت لذاتها

\*\*\*

صب من الإبريق صافي الدماء  
واشرب وهات الكأس ذات النقاء  
فليس بين الناس من ينطوي  
على الذي في صدرها من صفاء

\*\*\*

أين طهور النفس عفاً اليمين  
وكيف كانت عيشة الصالحين  
إن كنت لا تغفر ذنبي فما  
فضلك يا رباً على العالمين

\*\*\*

## أحمد رامي مترجم رباعيات الخيام من الأصل الفارسي

شاعر الحب مما لاشك فيه أن حب أحمد رامي لأم كلثوم كانت الجذوة التي لم تنطفئ خلال حياته والتي أوصلته إلى الخلود أحمد رامي شاعر ذو موهبة رائعة في نظم الشعر أجزل الله له العطاء في موهبة الشعر ولمع اسمه في أوائل العشرينات حتى خيل للناس أن لا خليفة لأمير الشعراء غير أحمد رامي

و في منتصف العشرينيات التقى أحمد رامي بأم كلثوم فإذا به يضعف أمام سحرها وتلين موهبته لإلهاماتها.

فينصرف عن الشعر إلى نظم الأغنية الدارجة لها، وتستمرى عاطفته مرعى ذلك الصوت الخصب حتى يكاد ينسى نفسه، وينسى موهبته الأصيلة، وينسى ما جبل عليه وما خلق له، قرباناً لوتر أم كلثوم. ولكن في نزول أحمد رامي من قمة الشعر إلى سهل الأغنية الدارجة، لم يهبط عبثاً، وإنما حمل رسالة أدبية وقومية ضخمة، هي رسالة الوثوب بالأغنية الدارجة من السفوح إلى القمم، في الكلمة والمعنى معاً، واستطاع أن يطوع الصور والمعاني الشعرية العالية للكلمة العامية وأن يرقق عواطف العامة بالشجن والأنين والذكريات وغيرها من الكلمات التي تتخلق الصور، والتي لم تعهدها الأغنية الدارجة من قبل، حتى صارت أغنية رامي مميزة على كل أغنية غيرها بشيء جديد، هو قربها إلى الشعر، وحتى أصبح رامي زعيم مدرسة في الغناء، لم يتأثر فيها المؤلفون وحدهم، وإنما امتد تأثيرها إلى روح الملحن وحنجرة المغني أيضاً ولكن في السنوات الأخيرة من نظمه الشعر ارتد رامي عن الكلمة الدارجة إلى الكلمة الفصحى وعاد إلى الإيمان بما خلق من أجله، وقد خلق ليكون على القمة التي يقف عليها أعلام الشعر

العربي في هذا الجيل فمن هو الشاعر أحد رامى الذي جعل من شعره عرشاً ترتفع عليه سيدة الغناء العربي أم كلثوم وصاغ لها أرق العبارات وأعذب المعاني من إحساس وشغف وعشق لصوتها يقول عنه أحد الشعراء : ( لم اعرف من بين سير الشعراء سيرة أكثر شاعرية من سيرة أحمد رامى الشاعر الذي انتقل من مروج النرجس في جزيرة طاشيوز اليونانية إلى الحياة بين القبور في حي الإمام ثم إلى مجامع المتصوفين في حي الحنفي، ثم إلى عشرة الشعراء الخيام تحت أضواء باريس، ثم إلى الفردوس الذي مدته لخياله أم كلثوم .

أحمد رامى من مواليد القاهرة ولد والنغم ملأ أذنيه... وكان أبوه وقتها ضالبا بكلية الطب .. و كان أبوه شغوفاً بالفن يجتمع لديه دائما أهل الفن والطرب وعندما تخرج والده من كلية الطب اختاره الخديوي ليكون طبيبا في جزيرة يونانية ( جزيرة طاشيوز ) كانت ملكا خاصا للعباس الثاني كانت حياة أحمد رامى في السنين الأولى من حياته في هذه الجزيرة هي سنوات التفتح في براعم الأحيلى وهكذا تفتح برعم خياله على غابات اللوز والنقل والفاكهة، والبحر وألوج والشاطئ .. وكانت ملاعبه هناك بين مروج النرجس الكثيفة هذه المروج التي كانت من قبله ملاعب لهومير وغيره من شعراء اليونان الأقدمين .... وعاد رامى من هذه الجنة وعمرة تسع سنوات ليلتحق بالمدرسة وقد وعى اللغتين التركية واليونانية تاركاً أهله في الجزيرة ليسكن عند أقاربه في مصر في بيت يقع في حوض القبور بحي الإمام الشافعي، فاستوحشت نفسه وانطوت على هم وحزن عميقين.

وعندما رجع أهل أحمد رامى من الجزيرة اليونانية عاد أحمد مع أهله إلى حي الناصرية في القاهرة وما لبث أن تركه أبوه برعاية جده لكي يسافر إلى السودان .. فعادت أحمد الوحشة بعد الإناس ولولا أن خفت حدتها على نفسه إذ أنه كان يستأنس من خلال نافذته التي تطل على مسجد السلطان الحنفي حيث يمضي كل ليلة

في الاستماع إلى مجامع المتصوفة يتلون أورادهم ويرددون ابتهالاتهم واستغاثاتهم في نغم جميل . وكان يأنس في النهار بمكتبة قريبه من بيت الرافعي وهو بيت علم وأدب وثقافة ووطنية ... فكان أحمد يقضي بها جل وقته وكان أول كتاب وقع في يده فقرأه وتشبع به وحفظه عن ظهر قلب هو كتاب ( مسامرة الحبيب في الغزل والنسيب ) كلها مختارات من شعر العشاق والغزلين وهذا الكتاب لعب الدور الأول في حياة رامي، فقرر مصير حياته ... ومن خلال قراءاته من هذه المكتبة تعلق قلبه بحب الأدب وكان هناك جماعة أدبية اسمها جمعية النشأة الحديثة يجتمع في رواقها كل خميس جماعة من فحول ذلك الجيل .. ومنهم لظفي جمعة وصادق عنبر وإمام العبد ... وقد تؤسم صادق عنبر في أحمد الصغير خيرا وسمعه يتلو الشعر في هذا الرواق الأسبرعي وواتته في هذا الرواق فرصة سانحة قرأ فيها أول قصيدة من نظمه وهو يومئذ في الخامسة عشرة من عمره وكانت أولى قصائده وطنية قال فيها يا مصر أنت كنانة الرحمن في أرضه من سالف الأزمان ساعد بلادك بابن مصر ونيها .. واحتف بها في السر والإعلان وأول قصيدة منشورة له كانت في مجلة الروايات الجديدة ومطلعها :

أيها الطائر المغرد رحماك      فإن التغريد قد أبكاني  
أنت مثلت في الغداء غريبا      غاب دهرنا عن هذه الأوطان

وبعد أن تخرج من دار المعلمين عين مدرسا في إحدى المدارس وبعد ذلك عين أمينا للمكتبة فاطمأنت نفسه وانصرف إلى حياة أدبية خالصة وانكب على ما في المكتبة من آداب العالم الثلاثة العربية والفرنسية والإنجليزية ثم سافر في بعثة لدراسة اللغات الشرقية وفن المكتبات بباريس ١٩٢٣ وهناك في باريس عاش أسعد ذكريات شبابه وكأنه كان هناك على موعد مع شاعر التاريخ عمر الخيام وعاد إلى القاهرة على عمله بعد عامين وظل يتدرج في مناصبها حتى أصبح وكيلا لها وقد جاوز الستين ولكنه ظل يلقب في المجامع والمنتديات بشاعر الشباب وقد مارس احد رامي ثلاثة أنواع من الأدب

هي الشعر الوجداني والعاطفي والوطني ثم أدب المسرح فقد زود أحمد رامى المسرح المصري بذخيرة ضخمة تبلغ نحو خمسة عشرة مسرحية مترجمة عن شكسبير الخالد منه: / هاملت ويوليوس قيصر والعاصفة وروميو وجوليت والنسر الصغير وغيرها مما قدمته مسارح يوسف وهبى وفاطمة رشدي في زمن عزة المسرح ثم انتهى إلى نظم الأغنيات عندما ولع بأم كلثوم وبما اشتهر وطار ذكره حتى أوشك الناس أن ينسوا رامى شاعر الفصحى، ورامى كاتب المسرح ولم يذكروا إلا شاعر الأغاني .. إلى أن ارتد إلى إيمانه بالشعر وغنت أم كلثوم القصائد له ومنها يا ظالمى، ديلى احتار، عودت عيني على رؤياك، حيرت قلبي معاك، أنت الحب، يا مسهرنى، وحية الحب، ... وغيرها من الأغاني الرائعة الأصيلة والخالدة حتى يومنا هذا وهاك مقطعاً من قصيدة قصة حبي ذكريات عبرت أفق خيالي ... بارقاً يلمع في جنح الليالي نبهت قلبي من غفوته.... وجلت لي ستر أيامي الخوالي كيف أنساها وقلبي .... لم يزل يسكن جنبي إنما قصة حبي ذكريات داعبت فكري وظني ... لست أدري أيها أقرب مني هي في سمعي على طول المدى .... نغم ينساب في لحن أغن بين شدو وحنين .....

وبكاء وأنين كيف أنساها وسمعي .... لم يزل يذكر دمعي وأنا أبكي مع اللحن الحزين .

## بين عمر الخيام وصلاح جاهين

قسا تجود علينا الزمان، مثلهم، صلاح جاهين ١٩٣٠

و عمر الخيام ١٠٤٤ صاحباً اشهر الأعمال الشعرية انتشاراً بين المهتمين بالشعر  
" الرباعيات "

أهم ما يميز الرباعيات لكلا منهم هو الرعة التشاؤمية والممزوجة برونه تذازل  
خفية باهتة لا تتضح بسهولة مع ثقة مطلقة في حكمة الأقدار بتلاعب الأحداث  
بالإنسان

تأمل الخيام في إحدى رباعيته إذ يقول :

ديوان شعر تحت غصن شجرة  
زجاجة من النبيذ، رغيف خبز  
وأنت إلى جانبي في القفار نغني  
أه ، إن القفار وقتئذ تكون جنتنا

بينما تغلبه رنة الحزن والتشاؤم بسرعة فيقول في رباعية أخرى

كل صباح يأتينا بالآف، الورود، هكذا أنت تقول  
ولكني أتسائل، أين ترك الصباح الزهور التي حملها بالأمس  
فهذا الشهر الأول من الصيف الذي سيجيننا بالورود  
سيطوي "جمشيد" و "كايكوباد" في مكان بعيد

وجمشيد و كايكوباد هؤلاء ملوك فارسين أسطوريين

أمسا بالنسبة لرباعيات صلاح جاهين فلم يدع نزعته التشاؤمية تفقده روح

الدعابة الجبارة التي وهبه الله إياها في معظم رباعياته

أنا قلبي كان شـ شيخخة أصبح جرس

جلجلت به صحيو الخدم و الحرس  
أنا المهرج قمتم ليه؟ خفتم ليه؟  
لا ف أيدي سيف ولا تحت منى فرس

ثم للشجن يعود و بشدة فيحكى :

دخن الربيع يضحك لقاني حزين  
نده الربيع على أسمى لم قلت مين  
حط الربيع أزهاره جنبي وراح  
واش تعمل الأزهار للميتين

قال صلاح جاهين أن شد ما يحزنه انه بعد مماته فإن أكثر ما سيذكره الناس له  
هي الرباعيات رغم غزارة وتنوع أعماله وهو خاطر أجده غريبا إلى الآن

ياللي بتبحث عن إله تعبه  
بحث الغريب عن أي شيء ينجده  
الله جميل، الله عليم، رحمن رحيم  
احمل صفاته وأنت راح توجده

أما عمر الخيام فبعد أن جاوز الثامنة والأربعين وجد نفسه وحيدا مهجورا  
ومطاردا من السلطة الجديدة التي تقاسمها أبناء السلطان السابق، يستعيد في وحدته وجه  
ياسمين حبيبه عمره، وهي في حمى الموت بعد أن حرمت الظروف منها طويلا ثم التقى بها  
في حلب يفترسها المرض بعد طلاقها وحنها إلى الشام وتزوجها ولكنها ماتت بعد  
أسبوع واحد في الطريق إلى نيسابور فدفنها تحت شجرة عتيقة لا يفارق الظل موقعها  
وعاد فقال :

يخيل إلى أحيانا أن الوردة لا تحوز احمرارها القاني  
إلا من تربة رواها دم قيصر دفين  
وكل زهرة من الياسنت في ثوب الحديقة  
هبطت في حضنها من رأس محبوب لنا ذات يوم

قال جاهين في لقاء له ذات مرة حين سؤل:-

المقدم: أستاذ صلاح ما الذي دفعك إلى كتابة الرباعيات عنى الرغم من أن

هناك الرباعيات التي سبقك إليها عمر الخيام

صلاح جاهين: ما هو أنا كنت برخم عليه

المقدم: طيب ما هو أكثر شيء يمكن أن يضحكك في هذه الدنيا؟

صلاح جاهين: لما يبص في المراية

هكذا كانت شخصية صلاح جاهين ساخرة مرحة و جلادة لذاها طول الوقت

ولا يمكنك أبدا فهم الأعاصير التي تدور داخلها فهما مطلقا وكذلك كانت رباعياته

يا باب أيا مقفول ، إمتى الدخول؟

صبرت ياما و اللي يصبر ينول

دقيت سنين، والرد يرجعلي مين؟

لو كنت عارف مين أنا كنت أقول

أجمل اللحظات اقصيها مع رباعيات عمر الخيام حينما أتناوب قراءتها مع ما نقله

العظيم " احمد رامى " للرباعيات بعد أن اتقن دراسة اللغة الفارسية في ترجمته الشعرية

للرباعيات ولم أكن أفهم الفرق قبلها بين الترجمة الشعرية والترجمة العادية - الحرفية -

ف بلا حتى قرأت رباعيات الخيام لأحمد رامى وقارنتها بالترجمة الحرفية لرباعيات الخيام

الأصلية فمثلا كتب الخيام فقال :

انهض الآن، فالشمس التي أطاحت بالنجوم

بعيدا عن حقول الليل

أطاحت بالليل معها عن السهء

واذترقت قلعة الساطان بسهم من الضياء

فترجم " رامى " هذا ترجمة شعرية فقال :

سمعت صوتًا هاتفا في السحر      نادى من الحان ، غفاة البشر

هبوا املاؤا كأس لطفى قبل أن      تفعم كأس العمر كف القدر

ولان الرباعيات المترجمة ليست متماشية ترتيبا مع الرباعيات المنقولة فلك أن تتخيل المتعة والإثارة عندما ابدأ في مقارنة الرباعية هذه بتلك لأبحث عن الأفكار المشتركة بين الرباعيات حتى أجد الرباعية المترجمة ونظيرها المنقولة ، وهي تسلية لذيدة وممتعة إلي أقصى حد كما أنها بحث متفرد في حد ذاته بين طيات الأفكار المتنوعة لشعراء عظام .

## احمد الصافي النجفي وعمر الخيام

ولد الشاعر احمد الصافي النجفي في مدينة النجف في العراق. التحق صغيراً بالكتاب في النجف ثم حصل دروساً خاصة في العلوم الادبية والدينية. درس الآداب العربية في ايران لسبع سنوات بين ١٩٢٠ و ١٩٢٤ عمل محرراً في مجلات ادبية ودينية بينها مجلة العرفان في صيدا، لبنان. عاش مبعداً بين ايران والكويت وسوريا ولبنان وزجع الى بغداد حيث توفي بعد مدة قصيرة من رجوعه ينتسب احمد الصافي النجفي الى اسرة حجازية قدمت الى البصرة واستقرت في النجف. جده لأمه الشيخ محمد حسين الكاظمي لبناي الاصل من بلدة الزرارية قرب صور. نشأ النجفي في جو حافل بالعلم والادب والدين فتقرب في صغره من علماء النجف يتعلم الاصول الدينية. مات والده وهو في العاشرة من عمره فغادر المدرسة وراح يتقن نفسه بنفسه، فدرس المنطق والنحو والصرف والبيان. ولما توفيت والدته وهو في السابعة عشرة اصيب بمرض عصبي شديد فامتنع عن الدراسة واكتفى بالمطالعة واقبل على المجالات والصحف عله يأخذ منها معرفة افتقدها.

اشترك في ثورة ١٩١٩ ضد البريطانيين فصدرت الاوامر باعتقاله مما اضطره للفرار الى طهران بعد ان امضى اثني عشر يوماً ماشياً على قدميه. التحق بايران بعدد من المدارس يدرس اللغة الفارسية ويحسن من لغته العربية. مكث في ايران سبع سنوات تترجم خلالها «رباعيات الخيام» ترجمة دقيقة، ونقل الى الفارسية كتاب (علم النفس) لعللي الجارم واحمد امين ليدر في دار المعلمين.

عاد الى العراق سنة ١٩٢٤ بعد ان استقل البلد. لكن حر العراق الشديد اثر على صحته فنصحته الاطباء بمغادرة البلاد الى سوريا ولبنان. فجاى دمشق سنة ١٩٣٠

حيث سكن في غرفة خالية مهجورة ملحقة شارع قرب سوق الحميدية. وكان يأتي الى بيروت بين حين وآخر ليقوم في غرفة متواضعة قرب مستشفى اوتيل ديو. نشبت اثناء اقامته في بيروت ثورة في العراق تزعمها رشيد عالي الكيلاني فراح النجفي يقود التظاهرات الطلابية في لبنان ويلهب مشاعر الناس بقصائده الحماسية فاعتقلته السلطات الفرنسية بتهمة الترويج للأفكار النازية وظل رهن الاعتقال ثلاثة واربعين يوماً خرج في نهايتها حاملاً ديوانه «الجديد» حصاد السجن.

اصيب خلال الحرب الاهلية في لبنان برصاصات قتل انما طائشة، ونقل الى مستشفى المقاصد في حالة من الاغماء. وبعد تماثله الى الشفاء رجع الى العراق منهياً نفياً دام ستة واربعين عاماً. وكان قد اصبح شيخاً متهدماً فاقد البصر. مات في بغداد ودفن في النجف.

من مؤلفاته الشعرية: الامواج، اشعة ملونة، الاغوار، الحان اللهب، شرر، اللفحات. له ترجمات ومقالات منها: ربيعيات عمر الخيام، حصاد السجن.

## احمد الصافي النجفي

إن البلاد كما الحسان تفاوتت \_\_ حسنا، وأن عروسها بغداد

### د. شاكر الحاج مخلف/رئيس تحرير جريدة المدار الأدبي

ولد شاعر العراق الكبير "احمد الصافي النجفي" في مدينة النجف الأشرف في العام ١٨٩٧ وتلقى علومه الأدبية والدينية وبقية العلوم الطبيعية ومحاضرات عن الفلك والكواكب والطب الإسلامي في مجالس الدرس من خلال جهود علماء الدين، بعد ذلك أنطلق في مشواره العلمي والمعرفي معتمدا على نفسه مطبقا أصعب المناهج في التعليم الذاتي مبحرا في كتب الفكر والتراث والأدب العربي القديم وكذلك في مصادر العقيدة الإسلامية وفروع الحكمة والفلسفة، كما تبدو واضحة آثار البيئة العلمية والدينية التي كانت تحيطه بما أسرته التي كان يغلب عليها الطابع الديني والعلمي وكذلك الأدبي، وهي تتمتع بمكانة مرموقة لدى أهل تلك المدينة وفعاليتها، كما يعود التأثير الأخر للأصدقاء الذين رافقهم في مسيرته، حيث عرف عن أغلبهم ميولا تتطابق مع ميوله واهتماماته الأدبية والفكرية، وصار فيما بعد يتبارى معهم في مجال نظم الشعر وحفظه، أن سجل حياة الشاعر العراقي الكبير احمد الصافي النجفي يشير إلى انه تمكن من نظم الشعر وقرضه في أعوام حياته الأولى وبالتحديد في سن التاسعة من العمر ..

بعض الأنام يرى الحقيقة مرة  
 فيفر منها مطبقا عنها الفما  
 كيلا تلاحقه فتدخل فاه أو  
 يبقى يشاهد وجهها المتجهما  
 وأنا أراها مرة فألوكها  
 كي أعتدي منها وإن تك علقما

ولكم تقاليد شغفت بحبها  
 زمنا وكنت بظلمها متنعما  
 دب الفساد لها فرمت أصونها  
 بالحافظين مطهرا ومعقما  
 لكن عييت بأمرها فتركتهما  
 لما رأيت فسادهما مستحكما

كانت حافظة الشاعر احمد الصافي النجفي للشعر تثير الدهشة والإعجاب خاصة لدى العلماء ورجال الدين وكان يبدو كالنجم متألقا في المجالس الأدبية والتجمعات ذات الطابع الفكري والثقافي، ويذكر عنه في طفولته حفظه للقرآن الكريم بفترة قياسية تجاوز فيها أقرانه وصار حديث الناس في النجف، كما أتقن اللغة العربية وعلومها وكذلك اللغة الفارسية وتفوق فيها ..

### مرحلة الشباب

عندما أكتمل البناء الفكري والثقافي والأدبي للشاعر احمد الصافي النجفي الذي صار يشار إليه بالبنان يوما بعد آخر وتحول من شاعر مدينة النجف إلى شاعر العراق والعرب، وجد لنفسه قاعدة قوية وبجالا خصبا عندما عمل في الصحافة كما أشغل في الترجمة؛ حيث قام بترجمة العديد من الكتب والمؤلفات من اللغة الفارسية الى اللغة العربية، ومن أثاره النادرة في هذا المجال ترجمته الرائعة لرباعيات الشاعر الفارسي " عمر الخيام " والتي طبعت في دور النشر اللبنانية أكثر من عشرة طبعات، وحظيت باهتمام الكثير من الأدباء والدارسين وكتبت عنها مقالات كثيرة أشادت بجهود الشاعر النجفي الدقيقة والتميزة حيث تمكن من نقل أفكار الخيام إلى العربية راسما صورته الخمرية دون أن تفقد تلك الرباعيات الشعرية قيمها الفكرية أو الجمالية وتقع الرباعيات التي ترجمها في ثلاثمائة وإحدى وخمسين رباعية .

قلبي على نفسي يفيض قساوة

وعلى بني الدنيا يفيض ترحما  
 ابكي على غيري إذا ما نابه  
 خطب فيجري الدمع منهلا دما  
 لكن أثور إذا دعنتي نكبة  
 وأعود من حكم القضا متبرما  
 وعليّ دمع في البلاء متحجر  
 حتى ولو وقعت على الأرض السما  
 يرثي الأنام لحالتي إما رأوا  
 بؤسي وأنظر حالتي متبسما  
 آلام روجي غير آلام الوري  
 ولكم فرحت بما رأوه مؤلما  
 كم يحزنون لما أراه سعادة  
 أو يرقصون بما أراه مأتما  
 جوائز مبكرة

بعد ترجمته لرباعيات الخيام ونشره الكثير من القصائد الشعرية ذات الحس  
 الوطني والدعوي في جريدة " السياسة " التي كانت تصدر آنذاك في القطر المصري  
 الشقيق والتي ان يرأس تحريرها الأديب المعروف " محم حسبر هيكل " والتي ألت  
 الضوء على شارة الصافي النحفي وصار معروفا في لبنان وسوريا ومصر وبلدان عربية  
 أخرى، وتقديرا لجهوده الأدبية الكبيرة في مجال الترجمة من العربية إلى الفارسية وكذلك  
 من الفارسية إلى العربية، قلده النادي الأدبي في مدينة طهران وسام العضوية وعلى أثر  
 ذلك تولى صدر مجموعات الشعرية والتي بلغت " خمس عشرة " مجموعة شعرية ..  
 النحفي كما رآه المقاد وزيادة وآخرون

حظي احمد الصافي النحفي بتقدير كبير من لدن معاصروه من الكتاب والأفياء  
 والشعراء وغيرهم، وشغلت به المحافل الأدبية والفكرية، فقد قال عنه الكاتب " محمد  
 عبد الباق العتاد " الشاعر احمد الصافي النحفي يمثل بحق أشهر شعراء العربية رقة وثورة

وإخلاص للقضايا الوطنية والعربية، كما قالت الأديبة المشهورة "مي زيادة" الصائفي النجفي شاعر كبير دون منازع يعيد أجماد الشعر العباسي إلى الأدب العربي المعاصر، ولم يتوقف العقاد عند ذلك المديح بل كتب عنه كراسا أختار فيه نماذج من شعره المتعدد الأغراض وقال فيه "لا يكفي أن يدرس الصائفي أديب واحد، وذلك لسعة آفاقه الشعرية وعمق تفكيره وأساليب بنائه لا مودة الشعرية وقوة مضامينها، كما قارن نقاد آخرون في مسيرة النجفي والمعري الحياتية والشعرية، وأفادوا أن كلاهما قد عانى من البؤس والفاقة وكلاهما أيضا قد قادته أوضاعه المعيشية ومحيطه البيئوي إلى التمرد ورفض صور الترددي، وصفه أحد أقرانه من الأدباء "عندما تجالس الصائفي النجفي تحس أنك تجالس الطبيعة الساحرة الطاهرة ..

عيني ترى مالا يرون وعينهم  
 مالا أراه ففي أي عمى  
 ماذا تهمني الفتوق بمنزري  
 سيظل عرضي سالما لن يثلما  
 ما شأن جسمي والرداء فإنني  
 مهما بي اتصلا غريب عنهما

### الشاعر الفيلسوف

يغلب على شعر الصائفي النجفي الكثير من السمات المرتبطة بشيوع الحكمة والأفكار الفلسفية والعلمية فيها، وربما نجد أن الكثير من أغراضه الشعرية تكاد تقترب من ذات المظاهر في بناء قصيدة أبو الطيب المتنبي المشحونة بالفكر الفلسفي والعقلي وسير أغوار ما وراء الطبيعة، والصائفي النجفي يعترف ضمنا في الرد على تلك الآراء بأنه متأثر كثيرا بشعر المتنبي وأيضا تلك الفلسفة والحكمة تسربت إلى شعره من خلال دراسته العميقة للفلسفة التي درسها في المراكز العلمية والدينية أو تلك التي قرأها في

الكتب يضاف إلى ذلك البعد، تلك الشفافية التي أشتهر فيها، وأيضا سعة الإطلاع وولعه الشديد بقراءة كتب الحكمة والفلسفة العربية الإسلامية القديمة، وكذلك ميله القوي إلى نتاج الشعراء المتصوفين والمعتزلة، فقد وجد في ذاك المخزون الكبير الذي يستند إليه وجعله في آلياته القليلة ليطير محلما وناسجا فضاءا للحكمة والمعرفة والعلم في أفكار وتأملات فلسفية تفتح العقول التي تتأملها وتمودها إلى أسئلة عديدة، وكان الصافي النجفي ذات يوم يصف الموقف المتقلب في مظاهر الطبيعة، عندما أخذ الثلج يتساقط والناس قد تجمعوا من حوله في حالة اندهاش، فقال :

### لقد أصيب لحاف السما ببعض الفتوق فاصبح القطن يهمني من ذا اللحاف العتيق

وقال أيضا واصفا جمال الطبيعة والبيئة في لبنان وسوريا في قصيدة فريدة اعتبرت

من اجمل القصائد العربية التي تصف مواقع البيئة السورية الجميلة :

أيا "بقين" فيك الحسن يسبي  
فمآبك غير غانية وصب  
ضياء البدر أخفته شمس  
تطل عليك من شرق وغرب  
إلى "بقين" سمرت بألف قلب  
وعدت إلى الشام بدون قلب

كما نظر عميقا إلى البيئة الفلاحية وكيف يستحوذ نظام الإقطاع على جهود الفلاحين الذين يواصلون الليل با النهار في عمل مضني دون الحصول على الحياة الحرة الكريمة، وهو يرى أن دوره التحريضي يقضي إن ينه أبناء شعبه من الحيف الذي لحق بهم وكمن يضع أمامهم مشعل منير ليكشف عن سجن الظلام، كمن يمهد بذلك إلى الثورة :

رفقا بنفسك أيها الفلاح  
تسعى وسعيك ليس فيه فلاح

هذي الجراح براحتيك عميقة  
 ومظيرها لك في الفؤاد جراح  
 عرق الجبين يسيل منك لآلنا  
 فيزان منه للغني وشاح  
 الشاعر الثوري المعارض

في رحلة عمره التي امتدت زهاء الثمانين عاما، كتب الصافي النجفي شعرا متميزا يضم بين دفتيه المواقف المتعارضة مع السلطة والمنتمية إلى الشعب، فقد نبذ التسلط العثماني وعاصر أدوار الحكم للملكي المتعاقبة على العراق، وكانت بداية المواجهة بينه وبين السلطة تتمثل في الموقف الوطني الذي اتخذه إبان الثورة العراقية الكبرى " ثورة عام ١٩٢٠ " تلك التي انطلقت شرارتها من جنوب العراق ردا على الاحتلال البريطاني الغاشم للبلاد ثم تطورت لتشمل كل مدن العراق دون استثناء وساهمت فيها القوى الوطنية وفي مقدمتهم رجال الدين النجباء ووجد الصافي النجفي نفسه مكلفا من قبل قيادة الثورة ليكون وسيلة الاتصال ونقل المعلومات بين القيادة وجهابرة الثورة في النجف وما يجاورها من مدن أخرى، وقد تمكن من إيصال رسالة الثورة في مناهضة قوى الاحتلال ومطالبته بالاستقلال من خلال الكثير من القصائد الوطنية التي كتبها ودون فيها تفاصيل الثورة ومواقف الثوار والحوادث التي حصلت من المقاومة الباسلة والقتال الذي تكبدت فيه بريطانيا وقواتها افدح الحسائر وهي تواجه بترساتها العسكرية شعبا اعزلا لا يملك سوى سلحة بدائية ولكنه يملك الأيمان ويسعى إلى الحرية، وعندما تمكنت بريطانيا من إخماد الثورة، كان الصافي النجفي من الأشخاص المطلوبين للاعتقال والمحاكمة ثم الصادر بحقهم عقوبة الشنق، وبصدد ذلك يقول :

ولئن أشنق تكن مقبرتي  
 منبرا يعلن جرم الإنجليز

ثم غادر العراق متخفياً نحو الأراضي الإيرانية، وظل من هناك يرسل قصائده الوطنية مساهماً في تأجيج غضب الجماهير ونقمتها على وجود بريطانيا وقواتها والعملاء الذين كانوا ينفذون سياستها العاشمة وهو يخاطب القوة المحكمة إلى الفعل التسري المضاد لتطلعات الجماهير قائلاً :

أيها القوة مهلاً فاحذري  
 أن في التاريخ للناس خبر  
 وإلى أصغي قليلاً وانظري  
 ومعى سيرى ترى فيه العبير  
 كم هوة من قوة قبل الأجل  
 وعروش وشعوب ودول  
 بعد ما صالوا بجند وخول  
 إنهم بالسيف قاموا وعلوا  
 وبه أيضاً من الأوج هووا

طاف مدناً ودولاً عديدة منفاً مطارداً من أنظمة متتابعة تسلطت على حكم البلاد ورفعت الشعارات الكاذبة لتخدير عقول أبناء الشعب العراقي وساهمت في تثبيت أقدام المحتلين والدخلاء، أكثر من خمسين عاماً قضاها بعيداً عن العراق تطلب رأسه جميع الحكومات، وتهاجم قصائده كل الحكومات، أرتحل منفاً إلى إيران والكويت وسوريا ولبنان، عرف الفاقة وشظف العيش في المنافي وعاش زاهداً متعففاً، يكذب ويكتب وينتظر بزوغ الأمل في وطنه، وعندما كان في لبنان أثناء الثورة العظيمة والمجيدة " ثورة مايس ١٩٤١ " ووصلته أنبائها وسيطرتهما على مدن البلاد وهزيمة رموز الاستعمار البريطاني القبيح، كتب العديد من القصائد الثورية عنها وعمل مروجاً لأخبارها، وقد تبهت السلطات البريطانية وحكام لبنان العملاء إلى خطورة صوته الوطني المدوي، فأمرت باعتقاله وزجه في السجن ببيروت، وقد كتب قصيدة رائعة يصور مشاعره وهمومه وهو يواجه قرار العملاء والخونة :

## ولما علمت الذنب خدمة موطني حلا السجن في عيني وطاب لي الشنق

وفي عام ١٩٥٨ فرح احمد الصافي النجفي بذلك التغيير السياسي وتصور أن بلاده ستتخلص من سيطرة الاستعمار ومن قبضة العملاء والخونة ولكن ذاك الحلم الكبير تقاوى رمادا بعد بروز أعاصير الحزبية العنيفة وماجرته على البلاد من دمار وحقد اسود همجي وجد فيه الصافي النجفي ردة كبيرة لحدود لها، لم يختلف ليل الإنجليز الذي أحاط بالعراق نصف قرن عن ليل قاسم وما تبعه .  
النهاية المأساوية

واصل الصافي النجفي حياته الصعبة خارج حدود الوطن أقام إقامة طويلة في لبنان قريبا من مركز الثقافة ودور النشر كان يواصل طباعة دواوينه الشعرية ويترجم بعض الكتب عازفا عن العودة إلى العراق وهو يرى أن رياح الديكتاتورية العاتية قد هبت على بلاده، وهي لا تقيم وزنا للثقافة والحضارة، وكم طاف به هاجس الشوق والرغبة للعودة إلى ثرى العراق والسير في دروب النجف مدينته التي رأى فيها النور، لكنه كان يتراجع عن تنفيذ تلك الرغبة، لذلك وطن نفسه على العيش بقية حياته في لبنان الذي وجد فيه حظوة وتقديرا كبيرا من لدن رجال الدين الشيعة وفعاليات الصحافة والثقافة ودور النشر والمنتديات الأدبية، حاصرته الحرب الطائفية اللبنانية، كان يبحث عن الهدوء والأمان على ضفاف المتوسط، وفوق كورنيش لبنان أصابه رصاص الحرب فعاد إلى مدينته التي انطلق منها ليوارى في ثراها، تغنت قصائده بالوطن فيقول متباهيا بكعبة المجد والجمال :

إن البلاد كما الحسان تفاوتت حسنا  
وأن عروسها بغداد

## من رباعيات الخيام

أبدعت فينا بينات العبر  
وصُغتنا يا ربي شتى الصور  
فهل أطيق اليوم محو الذي  
تركته في خلقتي من أثر

\*\*\*

طبائع الأنفس ركبتهما  
فكيف تجزي أنفسا صغتها  
وكيف تفنى كاملا أو ترى  
نقصا بنفس أنت صورتها

\*\*\*

تخفي عن الناس سنا طلعتك  
وكل ما في الكون من صنعتك  
فأنت مجلاه وأنت الذي  
ترى بديع الصنع في آيتك

\*\*\*

يا رب مهّد لي سبيل الرّشاد  
واكتب لي الراحة بعد الجهاد  
وأحي في نفسي المنى مثلما  
يحيي موات الأرض صوب العهد

\*\*\*

لن يرجع المقدار فيما حكم  
 وحملك الهم يزيد الألم .  
 ولو حزنت العمر لن ينمحي  
 ما خطه في اللوح مر القلم

\*\*\*

ولى الدجى قم هات كأس الشراب  
 كأنما الياقوت فيها مذاب  
 واحرق من العود بخورا وخذ  
 من غصنه المعطار واصنع رباب

\*\*\*

الخمر توليك نعيم الخلود  
 ولذة الدنيا وأنس الوجود  
 تحرق مثل النار لكنها  
 تجعل نار الحزن ماء برود

\*\*\*

عيشي من أجل الطلى مستحيل  
 فبنها تشفى فؤادي العليل  
 ما أعذب الساقى إذا قال لي  
 تناول الكأس ورأسى يميل

\*\*\*

أولى بهذا القلب أن يخفقا  
وفي ضرام الحب أن يحرقا  
ما أضيع اليوم الذي مرّ بي  
من غير أن أهوى و أن أعشقا

\*\*\*

سارع الى اللذات قبل المنون  
فالعمر يطويه مرور السنين  
ولست كالأشجار إن قلمت  
فروعها عادت رطاب الغصون

\*\*\*

إن الألى ذاقوا حياة الرغد  
وأنجز الدهر لهم ما وعد  
قد عصف الموت بهم فأنطووا  
واحتضنوا تحت تراب الأبد

\*\*\*

نفسي خلت من أنس تلك الصحاب  
لما غدوا ثاوين تحت التراب  
في مجلس العمر شربنا الطلى  
فلم يفق منا صريع الشراب

\*\*\*

ولست مهما عشت أخشى العدم  
 وإنما أخشى حياة الألم  
 أعارني الله حياتي وعن  
 حقوقه استرداد هذا النسم

\*\*\*

قالوا امتنع عن شرب بنت الكروم  
 فإنها تورث نار الجحيم  
 ولذتي في شربها ساعة  
 تعدل في عيني جنان النعيم

\*\*\*

إن دارت الكأس ولذ الشراب  
 فكن رضي النفس بين الصحاب  
 واشرب فما يجديك هجر الطلى  
 إن كان مقدورا عليك العذاب

\*\*\*

شيطان في الدنيا هما أفضل  
 في كل ما تنوي وما تعمل  
 لا تتخذ كل الورى صاحبا  
 ولا تنل من كل ما يؤكل

\*\*\*

لو كان لي قدرة رب مجيد  
 خلقت هذا الكون خلقا جديد  
 يكون فيه غير دنيا الأسي  
 دنيا يعيش الحر فيها سعيد

\*\*\*

إذا بلغت المجد قالوا زنيم  
 وإن لزمت الدار قالوا لنيم  
 فجانب الناس ولا تلتمس  
 معرفة تورث حمل الهموم

\*\*\*

خير لي العشق وكأس المدام  
 من ادعاء الزهد والإحتشام  
 لو كانت النار لمثلي خلت  
 جنات عدن من جميع الأنام

\*\*\*

عبدك عاص أين منك الرضاء  
 وقلبه داج فأين الضياء  
 إن كانت الجنة مقصورة  
 على المطيعين فأين العطاء

\*\*\*

أهل الحجا والفضل هذي العقول  
حاولوا فهم القضاء الجليل  
فحدثونا بعض أوهامهم  
ثم احتواهم ليل نوم طويل

\*\*\*

يا عالم الأسرار علم اليقين  
يا كاشف الضر عن البانسين  
يا قابل الأعذار فتنا الى  
ظلك فاقبل توبة التائبين

## براءة الخيام من رباعياته !! ( وفتوى الشيخ المنجد )

في منتدى الكاشف فتوى للشيخ محمد المنجد - وفقه الله - في الشاعر الشهير " عمر الخيام "، هذا نصها :

### عمر الخيام

الحمد لله :

١. هو : أبو الفتح، عمر بن إبراهيم الخيامي النيسابوري، شاعر، فيلسوف، من أهل نيسابور، مولداً ووفاة .

٢. ولد سنة ٤٠٨ هـ، في قرية نيسابور، وتوفي ودفن فيها سنة ٥١٧ هـ، وقيل : ٥١٥ هـ

٣. كان عالماً بالرياضيات، والفلك، واللغة، والفقه، والتاريخ .

٤. ولنبوغه في علم الفلك، فقد عين مديراً لمُرصد بغداد، ولشدة اهتمامه بالفلسفة قرُن اسمه باسم ابن سينا - الذي كان له مقالات كفرية تُخرج عن الإسلام- .

٥. واشتهر كذلك بالشعر، ومن أشهر أشعاره " الرباعيات "، وهي مليئة بالكفر والإباحية والزندقة، ولا عجب إذا علمنا اهتمام الغرب بطباعتها ونشرها، وقد ترجموها إلى لغات عديدة مثل الإنجليزية، والفرنسية، والروسية، والألمانية، وغيرها، وقد استفاد الإنجليز في نشر الفاحشة والرذيلة والتي دعا إليها الخيام في " رباعياته "، وقد نشروا ذلك في الدول التي استعمروها كالهند وإيران، ناسين ذلك الأمر إلى واحد من المسلمين بل ومن عظمائهم في زعمهم .

٦. ومن أشعاره في الخمر - من الرباعيات - :

اشرب الرّاح فهى رُوح الرُّوح  
 بلُسم النفس والحشأ والمروح  
 وإذا ما دهاك طوفان همّ  
 فأتجُ فيها فذي سفينة نوح

٧. وفي إنكاره البعث بعد الموت يقول :

قم قبل غارة الأسي مبكرًا  
 وادع بها ورديّة تجلو الدجى  
 فلست يا هذا الغبيّ عسجدًا  
 حتى تُوارى في الثرى وتُخرجا

= العسجد : الذهب .

٨. وفي إباحياته وخلاعاته يقول :

ما اسطعتُ كن لبني الخلاعة تابعًا  
 واهدم بناء الصوم والصلوات  
 واسمع عن الخيام خير مقالة  
 اشرب وغنّ وسير إلى الخيرات

٩. وفي استهزائه بالشرع ووقاحته مع ربه، وموقفه من التوبة، يقول :

كلّ يوم أنوي المتاب إذا ما  
 جاءني الليل عن كؤوس الشراب  
 فأتاني فصلُ الزهور وإني  
 فيه يا ربّ تائبٌ عن متابي

١٠. ويرى بعض الباحثين كالزركلي أنه تاب من ذلك وحجّ، وبعضهم كعبد الحق

فاضل يشكك في نسبة الرباعيات له !

وعلى كل حال : فالرباعيات لا تدل على أنه تاب، لأن فيها المجاهرة بالكفر والتحلل من الفضائل، وفيها التبرّي من التوبة والإنابة، بل لا تدل على أن صاحبها يؤمن بالله واليوم الآخر .

والتشكيك في نسبتها إلى الخيام لا يقوى مع كثرة من نسبتها إليه ودلّل على ذلك، والله أعلم بالحقائق .

وانظر في ترجمته : " الأعلام " للزركلي ٥ / ٣٨ ، و " معجم المؤلفين " لعمر رضا كحالة ٢ / ٥٤٩ ، و " عمر الخيام بين الكفر والإيمان " لإحسان حقي، و " ثورة الخيام " لعبد الحق فاضل . وصلى الله على نبينا محمد .

اهـ . الشيخ محمد صالح المنجد

قلتُ : وقد اطلعت على مقال للباحث بكري شيخ أمين - وفقه الله -، نشره في مجلة الحج، عدد محرم، ٥١٤٢٧، أحبتُ نقله للإخوة هنا ؛ لما فيه من نظرة أخرى للرباعيات، منتظراً فوائدهم ( مع التنبيه إلى أن علامات التعجب مني ) :

## براءة الخيام من رباعياته !!

في كثير من بلاد العالم فنادق ومطاعم وملاذ ومراقص تحمل اسم (عمر الخيام) فقط، وغالباً ما تكون هذه المواطن أمكنة للعبث، والانحراف، والإثم، وانحرافات كأن صاحبها يشير -بشكل خفي- إلى العلاقة الوثيقة بين هذه التسمية وسلوك الخيام وآرائه.. أو كأن صاحب هذا الملهى لم ير تسمية موحية بالانفلات والانحراف أفضل مما يوحيه اسم (عمر الخيام) في الشرق أو في الغرب. ويقف الباحث أمام هذه الظاهرة مستغرباً، متعجباً، مندهشاً، ويتبادر إلى ذهنه أن عمر الخيام يُضرب به المثل في تعاطي السرور والخمور والفجور وأنه طوال حياته، ما كان يبالي بجنة أو نار، أو حساب أو عقاب، وإنما كان أبيقوريا يغتنم الساعة التي هو فيها.. وبعدها فليكن الطوفان، ولولا ذلك ما اختاره صاحب الملهى الليلي، أو المقهى أو المشرب عنواناً.

ويزيد هذا الظن تأكيداً وتثبيتاً انتشار آلاف الكتب في شتى لغات العالم، فيها أشعار منسوبة إلى عمر الخيام، تدعى ب(الرباعيات)، كثيراً ما تكون -هذه الرباعيات- مطبوعة على ورق صقيل فخم، في كل صفحة رباعية واحدة بالفارسية والعربية والفرنسية والإنجليزية والألمانية والأوردية والأسبانية ومعظم لغات العالم، وفي الصفحة المقابلة صورة رمزية لرجل عجوز، طاعن بالسن، أشيب الشعر، لحيته تغطي نصف صدره، وأمامه غادة حسناء، غراء، فرعاء، مصقول عوارضها، تسكب من كوز بيدها خمراً في كأس، وتقدمها إلى العجوز ويدها الأخرى آلة طرب، وفي إطار الصورة طيور وبلابل، وزهر وعنادل، وأشجار وثمار.

والغريب في الأمر أن كتب الرباعيات منتشرة في كل مكتبات العالم، وهي في طبعات تكاد لا تحصى، وفي لغات الدنيا قاطبة، وكثيراً ما تختلف رباعيات طبعة عن أخرى في اللغة ذاتها، أو في اللغات المختلفة، وليس من المستغرب أن يتجاوز عددها في

شئ الطبعات ألفي رباعية، أو يزيد.

ويقف الباحث المدقق متسائلاً: أصحيح أن عمر الخيام، الفارسي، المسلم، كان رجلاً متهتكاً، أمضى حياته كما يصورون ويزعمون؟

أصحيح أنه نظم هذه الآلاف المؤلفة من الرباعيات الصارخة بالمجون والمعصية والفجور؟ بل كيف انتقلت هذه الأشعار الفارسية المحلية إلى معظم لغات العالم، ومن الذي نقلها، ونشرها، ورسمها وزينها وأرخص ثمنها؟

ويعود الباحث إلى مراجعته، وكتب التراجم، يستقصي سيرة عمر الخيام ويستوضح شخصيته، ليعرفه على حقيقته، ويعرف كل صغيرة وكبيرة عنه.

المفاجأة الكبرى التي تبلغ حد الصدمة تبدو حين يبدأ بقراءة سيرة هذا الرجل، فيرى أن اسمه عمر، وكنيته أبو الفتح، ولقبه غياث الدين، ووالده إبراهيم النيسابوري، وشهرته: الخيام، أو الخيامي، لاشتغاله بصنع الخيام.

اتفق أكثر المؤرخين على أنه ولد في نيسابور من أعمال خراسان في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/ العاشر الميلادي، وتوفي قبيل انتهاء الربع الأول من القرن السادس الهجري الحادي عشر الميلادي، ويحدد خير الدين الزركلي في كتابه "الأعلام" وفاته بسنة ٥١٥ هجرية، الموافقة لسنة ١١٢١ للميلاد.

أما عن دراساته فيذكر المؤرخون أن كتب الفلسفة اليونانية المترجمة شائعة، ومؤلفات أرسطو طاليس وأفلاطون وإقليدس وبطليموس وجالينوس وفيثاغور وزيون وأبيقور في الفلسفة الطبيعية والإلهية والرياضية، وما يتفرع عنها من منطق وطب وهندسة وأخلاق وسياسة وهيئة ميسرة بين الناس، والجدل محتدم حول آراء السفسطائيين والمشائين الرواقين وغيرهم من أهل المذاهب الفلسفية كانت شائعة ومعروفة.

وفي عصره نضج علم الكلام، وشتد النزاع العلمي بين الأشاعرة والمعتزلة والحنابلة (!) والجسرية، وشاعت آراء الباطنية، وكثر الإقبال على التأليف في مختلف العلوم والفنون، وذاعت رسائل إخوان الصفا، وتعدت الفرق والطوائف، وكثر الأطباء والفلاسفة، وظهر أبو علي ابن سينا، واشتد النزاع بين الدين والفلسفة، وأُنف حجة الإسلام (!) الغزالي كتباً في الرد على الفلسفة، وعظم أمر التصوف، وكثر القائلون بالجدل ووحدة الوجود، وتفرد نفر بآرائهم الحرة فاقموا بالزندقة والإلحاد وصفوة القول: عاشر الحيام في وسط علمي، وفي بيئة علمية وفنية، فعاصر زمرة من الفلاسفة والأطباء والمهندسين والرياضيين والفلكيين من بناء الأرصاد، وتلمذ على نوابغ عصره من العلماء، وتردد إلى بعضهم، وتردد بعضهم إليه. وكثرت بينه وبينهم المحادثات والمحاويرات والمراسلات في علوم شتى، وكان لأولئك الذين تتلمذ لهم وتلمذوا عليه مكانة علمية عظيمة في عصره.

معاصروه جميعاً وصفوه بأحلى وأجمل وأرفع ما وصف به الرجال والعلماء، رفاق دربه وأصحابه وأترابه كانوا من خيرة الناس وأفضلهم. منهم الإمام أبو حامد الغزالي، مجدد المائة الخامسة للإسلام (!)، وصاحب (إحياء علوم الدين) ومنهم الوزير نظام الملك، وزير ملوك السلاجقة، وباني المدارس النظامية في شتى أرجاء العالم الإسلامي، وجار الله محمود الزمخشري، صاحب التفسير المعروف باسم (الكشاف) وصاحب الكتب اللغوية، والإمام طهير الدين البيهقي، صاحب كتاب (حكماء الإسلام). وكثيرون آخرون على هذا المستوى ناهيك عن صحبته المترك عصره، أمثال جلال الدين ملكشاه، وألب أرسلان، وخاقان بخارى. وسواهم من أبناء مطلع القرن السادس الهجري.

مؤرخو عصره وصفوه ب (الإمام) و(حجة الحق) و(وحكيم الدنيا وفيلسوفها) و(اللدستور) و(ابن سينا الثاني) و(العالم الفلكي) و(الفقيه) و(العالم بالقراءات القرآنية)

و(الزاهد) و(المتصوف).

تُرى: هل يمكن أن يوصف إنسان على هذا القدر من العلم، والخلق، والزهد، والتقوى، والحكمة، وحسن مجالسة وعارفه بتلك الأوصاف الرائعة.

لم يقل أحد من تلاميذه وشيوخه وأصحابه ورفاق دربه إنه كان زنديقاً، أو سكيراً، أو منحرفاً، حتى الشعر ذكروا أن له عدداً من الرباعيات في الزهد لا تزيد على بضع عشرة، جميعها أشادت به، وعرضت أشعاره بالعربية والفارسية، وهي قليلة ومحدودة، لا تتجاوز معاني الزهد، والشكوى من الأصحاب غير الأوفياء، والفقر، وهموم الحياة، والإيمان الكامل بالله الواحد الأحد، الفرد الصمد.

يشهد على ذلك ما جاء في ترجمة حياته بتلك الكتب التي كتبت في حياته، والكتب التي كتبت بعد وفاته بقليل، منها: (جهار مقاله) لتلميذه أحمد بن عمر النظامي السمرقندي و(حواشي جهار مقاله) و(الزاجر للصغار عن معارضة الكبار) للزنجشيري، و(حكماء الإسلام) للإمام أبي القاسم البيهقي، و(نزهة الأرواح وروضة الأفراح) لشمس الدين محمد بن محمود الشهرزوري، و(فردوس التواريخ) لخصرو الأبرقوهي، و(عجائب المخلوقات) لعماد الدين زكريا القزويني، و(جامع التواريخ) لرشيد الدين، و(أخبار الحكماء) لجمال الدين علي بن يوسف القفطي، و(كامل التواريخ) لابن الأثير، وسواها، وجميعها أشادت به، وعرضت أشعاره بالعربية والفارسية القليلة والمحدودة.

ويثور في الذهن سؤال ضخم كبير: كيف نسب إلى هذا الرجل هذا الكم الهائل من الرباعيات، وهو لم يقل إلا بضع عشرة رباعية؟ وكيف جعلت الأشعار عمر الخيام زنديقاً أو كالزنديق، وهو رفيق أكابر العلماء ونظيرهم؟ وكيف انتقلت هذه الأشعار إلى لغات العالم؟ ولماذا صورته بهذه التصاوير؟ ولماذا بذلت الرباعيات هذه البذل،

وغدت بمداول كل يد؟

وتساءل عن هذه الظاهرة التي انتشرت في العالم كله منذ ما يزيد على مئة عام من عصرنا، ونحاول أن نعرف العوامل التي دفعت إلى انتشار هذه الأشعار المأخوذة لشاعر مسلم.

كان أول من عرف الخيام من الفريجة توماس هايد أستاذ العربية والعبرية في جامعة أوكسفورد، وتبعه المستشرق النمساوي هامر برغستل سنة ١٨١٨م، ثم غرس دوتاسي، وفي القرن التاسع عشر ترجم أسير كور أولسي رباعيتين، و إدوارد هارن بعض رباعيات، والفرنسي نيقولا السفير في طهران، وشبهه بحافظ الشيرازي، وبلغ عدد المترجمين للرباعيات في القرنين الماضيين أكثر من عشرين مترجماً، ومعظمهم من اليهود، والمؤلفين في الأدب العبري.

وفي سنة ١٨٥٩م نشر الشاعر الإنجليزي فيتز جيرالد الرباعيات شعراً، وبهذا الشعر انتشرت الرباعيات في جميع أصقاع العالم، وبدأ الناس يعرفون عمر الخيام، ويرددون شعره حتى راح يتغنى به آلاف الناس في شتى بقاع الأرض؟ وفي الحق: إن من يقرأ أشعار الإنجليزي فيتز جيرالد الرائعة المسبوكة بلغة كأنها السحر، يحذب على مضمونها، ويسحر بأسلوبها وجمالها كل من يقرأها.

وأعجب من هذا كله أن هذه الأشعار ترجمت من الإنجليزية إلى معظم لغات العالم، وما رباعيات الخيام العربية انغاد بالعربية، والتركية، والأوردية، والفرنسية، والروسية، وسائر اللغات الأخرى إلا ترجمة لرباعيات فيتز جيرالد، وليس لعمر الخيام الحقيقي يد فيها، ولا معرفة، ولا هو قائلها، بل لم تكن تخطر له على بال، وهو بريء منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب.

هذا التناقض العجيب بين رباعيات قال فيتز جيرالد إنما مسبوكة لعمر الخيام

ودراسة موضوعية رصينة لشخصية عمر الخيام تظهر لنا أن في الأمر سرًا.

ويكشف العلماء والباحثون السر، ويربطون بين حركة الاستعمار التي قويت واشتدت في القرن الثامن عشر، وما رافقها من حملات تبشيرية (!) وتصيرية. زعم المبشرون أنهم وجدوا مخطوطة في جامعة أكسفورد فيها رباعيات منسوبة إلى رجل يدعى ب(الخيام) كلها زندقة، ودعوة إلى السكر والعريضة، وسرعان ما ترجمها إلى الإنجليزية اليهودي (توماس ماير)، ثم تلقفها (فون هامر النمساوي) ونقلها إلى الألمانية حتى إذا حلت سنة ١٨٥٩ الميلادية وجدنا (فيتزجيرالد) اختار من الرباعيات ما شاء له الهوى، ونقلها بالمعنى شعراء إلى الإنجليزية، وكانت - كما يقولون - أشعراً رائعة، وفي غاية الجمال فأعجب بها الناس، وانتقلت من الإنجليزية إلى معظم لغات العالم، حتى إلى الفارسية والعربية، وولد من خلالها شاعر جديد، اسمه: عمر الخيام لا تمت بصلة إلى عمر الخيام الفارسي الأصل المسلم بصلة إلا بصلة الاسم، لا أكثر. وربح الاستعمار والمبشرون (!) ربحاً لا نظير له، فلقد أوهموا المشاركة (!) -بخاصة- أن من علمائهم الكبار من ينظم مثل هذه الأشعار، ويشرب هذه الخمر، ويفعل هذه الأفاعيل، إذن، فلا حرج عليهم أن يقلدوا عالمهم، ويتبعوا فلسفته شيراً بشيراً، وذراعاً بذراعاً..

وانطلقت الحيلة أو اللعبة على كثير من الناس، فإذا جمهور غفير من المخدوعين يسلك سلوك (خيام فيتزجيرالد) ويتفلسف شيئاً فشيئاً من تعاليم الدين، ويغدو في آخر العمر مدمناً شراباً، مريد شيطان رجيم.

كان أول من نقلها إلى العربية وديع البستاني مترجماً لأشعار فيتزجيرالد، وأعقبه محمد السباعي المصري، ثم العراقي محمد الهاشمي نقلها من الفارسية، ومثله أحمد الصافي النجفي، وجميل صدقي الزهاوي، وأحمد زكي أبو شادي، وتوفيق مفرج.

لكن الطامة الكبرى هي التي ترجمنا من الإنجليزية الشاعر المصري أحمد رامي، وكانت ترجمته من الجمال الفني والعبارات المغربية أشبه بترجمة فيتزجيرالد السحرية، وزادها حلاوة أسلوب وقبول عند كثير من دعاة الإلحاد غناء أم كلثوم لها، رغم تبديلها عدداً من الكلمات الأصلية.

وقد يقول قائل: ومن ناظم تلك الرباعيات المصورة المطبوعة، والتي وجدت في أكسفورد، وترجمها ماير وهامر وفيتزجيرالد وسواهم؟

والجواب سهل ويسير، فما أكثر دعاة الإلحاد في كل زمان ومكان، وما أكثر الرضاعين والمستحلين والمختلقين، وهل من العسير أن ينحل الزنادقة والرضاعون والملحدون شعراً على لسان عمر الخيام وغير الخيام؟ وهل ننسى ما نحل على لسان الجاهليين، وكم وضع على لسان السموع شعراً هو منه براء، وكم وضع على لسان الرسول الكريم أحاديث زعموا أنها نبوية، والنبي الكريم منها براء، ولم ينسب من الرضاعين والكذابين شاعر، أو حاكم، أو خليفة، أو نبي، حتى آدم عليه السلام قال شعراً، وأقوالاً وأفعالاً ما أنزل الله بها من سلطان، ولا خطرت على بال، ولا مرت على شفتي إنسان.

فهل ينتبه العقلاء إلى هذه المخاطر، والافتراءات، والأكاذيب على لسان نبينا العظيم، وعلى الشعراء، والحكام، والعلماء، ورجال الدين (!)، والتاريخ العربي من أوله لآخره، ويدركون ما يحاك لهم هنا وهناك، وما يلبس الأعداء من لبوس؟ . انتهى مقال الأستاذ بكري .

ثم اطّلعْتُ على ما كتبه الباحث الراحل أنور الجندي - رحمه الله - في كتابه " أصالة الفكر الإسلامي في مواجهة التغريب والعلمانية والتنوير الغربي " ( ص ٤٥٦ - ٤٦٢ ) عن رباعيات الخيام، وأظن الأستاذ بكري شيخ أمين قد استفاد منه . وأنا أنقله

بطوله لأهميته :

قال - رحمه الله - :

## أشعار عمر الخيام

استطارت شهرة العالم الفلكي الإسلامي عمر الخيام فجأة، بعد أن كان واحداً من العلماء المسلمين في مجال الكشوف الجغرافية، ورصد الكواكب، فأصبح شاعراً خطيراً في مجال الدعوة إلى الخمر والإباحية والانطلاق، وذلك عندما نشر (فيتزجرالد) الشاعر الإنجليزي مجموعة من الشعر الفارسي الملقب عام ١٥٨٩ نسبها إلى الخيام وقد جند الشاعر الإنجليزي (فيتزجرالد) عشرات من أساتذة الأدب في الجامعات الإنجليزية وفي مقدمتهم (أ.ج. آربري) لهذه المؤامرة الخبيثة.

ومنذ ذلك الوقت حرصت القوى التغريبية على ترجمتها إلى اللغة العربية، فسلط عليها عدد كبير من الشعراء العرب الذين ترجموها، وفي مقدمتهم البستاني والزهاوي ورامي والصافي النجفي والسباعي وأبوشادي ومحمد الهاشمي.

وأولتها الصحف اهتماماً كبيراً، وقد تبع ذلك اهتمام بالغ وتركيز أشد خطورة على اسم "الخيام" دفعا لهذا التيار الجديد وتعميقاً له، فصدرت طوابع البريد في مختلف أنحاء أوروبا باسمه وصورته، وأنشأت الأندية الليلية الصاخبة تحت لوائه، وكتبوا اسمه على أطراف البطاقات، (كارت بوستال) تعظيماً وتكريماً لقصائد التحلل والمجون المنسوبة إليه.

## كشف الزيف:

وقد كان لهذا التيار أثره في التعريف من جديد بالخيام في نظر الشرقيين (عرباً ومسلمين) بوصفه شاعراً ماجناً عريداً يدعو إلى اللذة، وقد استمر ذلك زمناً طويلاً،

قبل أن تكشف الدراسات الأصيلة، والأبحاث العلمية الخالصة من الزيف عن كذب هذه الدعاوى العريضة وفسادها، وتبين أن الخيم لم يكن هو قائل كل هذا الشعر الذي نسب إليه، ولم يكن هو في حياته إنساناً خليعاً ولا داعية إلى إباحية.

## فيتزجرالد هل زيف ؟

إن المراجعات الدقيقة التي أجريت منذ اللحظة الأولى كشفت عن أن (فيتزجرالد) حين وصلته المخطوطات الفارسية والهندية لم تكن بالوضوح الذي يركزها كلها حول عمر الخيام.

وإن هناك أخطاء بالغة في الترجمة، كذلك فإن هناك إشارة واضحة إلى أنه استوحى هذه النصوص ولم يترجمها، كذلك فإن الدكتور (ميلار) نشر مقالاً في جريدة المورننج بوست قال فيها: إن شخصية عمر الخيام محاطة بغلالة من غموض وإيهام، وقد نسجت حوله أساطير غامضة تدعو إلى الشك في وجوده،

وجاء ببراين أنكر فيها نسبة هذا الشعر إلى عمر الخيام. وأشار الأستاذ (هاميون) في مقال له ترجم في مجلة الثقافة ١٤ مارس ١٩٣٩ إلى الشك في نسبة هذا الشعر إلى عمر الخيام، وأن عدداً كثيراً من قصائده منسوب إلى شعراء آخرين وكثير منهم أقدم عهداً من عمر الخيام، وهنا تبدو (دهشة) المراجعين لهذا التركيز على عمر الخيام، بينما هناك من شعراء إيران أمثال: حافظ وسعدي والطار من لم تنهياً لهم مثل هذه الفرصة.

وبدت الشكوك تتردد حول اتجاه هذه الرباعيات الخمسمائة المنسوبة إلى عمر الخيام وما تحمله من دعوة إلى التغزل بالخمر وحث الناس على تعاطيها والقول بأنها السدواء الناجح لآلام النفس، بينما تكشف حياة عمر الخيام عن شخصية رجل مسلم عميق الإيمان بالله، متصرف بكليته إلى العلوم الفلكية.

ومنذ ذلك الوقت الباكر كانت الإرهاصات كلها تشير بالشك، وأصبح الاتهام حول هذه الرباعيات واضحاً، بل إن واحداً من مترجمي هذه الرباعيات وهو أحمد حامد الصراف كتب تحت عنوان (هل كان عمر الخيام سكيراً) مقالاً في مجلة المقتطف ١٩٢٥ حاول من خلاله أن يصل إلى مفهوم باطني زائف يختلف عن مفهوم الإسلام في موضوع العقاب والجزاء والمغفرة، والإرادة الجبرية مما تحمله فلسفات الغنوصية القديمة، ولكنه كان شاكاً في نسبة هذا الشعر إلى الخيام.

كذلك أشار لطفي جمعة (البلاغ ٨ مايو) إلى أنه لم يهتد أحد بعد إلى العدد الصحيح لتلك الرباعيات ولم يتأكد أحد من صحة ما هو منسوب منها كذباً إلى الخيام، وقد استمر إلقاء الضوء على هذه الظاهرة سنوات طويلة لم يتوقف.

وقد أشار دكتور محمد موسى هنداوي في محاضرة له ألقاها في مارس ١٩٢٨ إلى أن الرباعيات تحتوي على كثير من الاختلاف والانتحال، مما يجعل (الخيام) مفترى عليه في تاريخ الأدب.

ذلك العالم الرياضي العاقل المفلس الحكيم المالك كل مشاعره، خاصة في الرباعية التي تدعو إلى احتساء الخمر وتمجيد الكأس إلى جوار رباعية أخرى فيها الاعترافُ بالإله الواحد وفي الانتحاء إليه، فكيف تستقيم التزوة الطائشة بجوار الحكمة السديدة.

إن الذين اتهموا أسرفوا في الاتهام حتى حاكموا الخيام عن رباعيات لم تثبت نسبتها إليه، فضلاً عن التزويد فيما نشره.

وقد أشار إلى ما أورده (عبدالحق فاضل) في بحثه عن الخيام قوله: ومن الحق علي أن أنسبه إلى أمر هو أني لست على يقين من أن هذه الرباعيات التي تقرأ هي رباعيات الخيام حقاً، فما من إنسان يسعه أن يجزم بأن معشار تلك الرباعيات التي تعد بالألوف

والتي تكتظ بما النسخ المختلفة هي للخيام حقاً.

وقال الدكتور محمد عبدالمهدي أبو ريدة في بحث مستفيض عن الخيام إن هذا العالم الفلكي اشترك في إصلاح التقويم الفارسي، وفي بناء المرصد لسلطان ملكشاه، والذي ترجع شهرته الكبرى عند المؤرخين المعاصرين إلى علو قدمه في الرياضيات وفي كثير من فروع العلم.

لذا نجد تلميذه نظامي يضعه في القسم الخاص بالمنجمين والفلكيين، لا في القسم الخاص بالشعراء، ويضعه البيهقي المؤرخ المعاصر للخيام والذي عرفه شخصياً بأنه الفيلسوف حجة الحق.

وهذان المؤرخان لا يذكران شيئاً يدل على أنه شاعر، فضلاً أن ينسبا إليه شيئاً من الرباعيات المنشورة التي تحمل اسمه.

ولكن بعد أن انقضى على وفاة الخيام أكثر من قرنين، أخذت تظهر مجموعات الرباعيات التي تنسب إليه، وأخذ حجمها يتزايد مع الزمن، وإن كان لم يذكر له قبل ذلك رباعيات ذات محتوى شكلي إلحادي.

وإذا صرفنا النظر عما في مجموعات الرباعيات التي ليس لدينا ما يثبت نسبتها للخيام إثباتاً يقينياً، لأن كثيراً منها كما بين ذلك تشوكوفسكي في بحث نقدي له عام ١٨٩٨ حيث ينسب بحجة أقدم أو أحسن أو مساوية إلى شعراء آخرين، فإن ما في المراجع غير المباشرة، من رباعيات تنسب للخيام تدعو إلى الاعتقاد بأن له رباعيات من التي أضيفت إليه فيما بعد.

وهكذا تعددت الكتابات في رد نسبة هذا الشعر إلى الخيام حتى تصل إلى البحث الذي قال ( الكلمة الحاسمة ) في هذا الاتهام، وهو " كشف اللثام عن رباعيات الخيام " للسيد أبو النصر مبشر الطرازي الحسيني والذي يقول إنه لم تكن للخيام رباعيات تزيد

على عدة رباعيات يقال إنه أنشأها ترفيها للنفس، وقد زاد عليها المغرضون رباعيات كثيرة، وضعوها أو أخذوها من هنا وهناك، ونسبوا إليه، هذه الرباعيات المتكررة المخزية ليست من نظم عمر الخيام، لأنها لا تتفق ومكانته العلمية.

ويعجب السيد الطرازِي (رحمه الله) كيف يعرف عمر الخيام لا عن طريق مكانته العلمية الحقة، وإنما عن طريق رباعيات مزعومة، عبروا عنها برباعيات الخيام ووصفوها بأنها فلسفة الخيام، فمنهم من قال إنه (أبيقوري التزعة والميول)، ومنهم من سماه وايلد الشرق (نسبة إلى أوسكار وايلد الكاتب الجانح) ومنهم من ذهب إلى أنه معري المذهب، ومنهم من رأى أنه إباحي وأنه مستهزئ بأحكام الدين.

كما طعن فيه البعض بأنه (دهري) وزعم البعض أنه تناسخي وظن بعض أنه باطني، ولا أدري أو تشاؤمي، وجري، وادعى آخر أنه ثائر على كل شيء، على الدين وعلى الأخلاق وعلى العقل أيضاً.

وليس لهم دليل على ذلك إلا تلك الرباعيات التي نسبت إلى شخصه، وظنوا أنها من الحكيم عمر الخيام النيسابوري ومقولاته وآثاره.

ولقد كان عليهم أن يعرفوا الحكيم النيسابوري تحت ضوء الفحص العلمي الصحيح، والنقد التاريخي الموثوق معتمدين على آثاره ومقولاته. ويصل السيد الطرازِي إلى القول بانتحال تلك الرباعيات بدلائل كثيرة ولا سيما التناقض بين معانيها واتجاهاتها، ويعجب أن يعرب عمر الخيام في ضوء رباعيات مترجمة على يد شاعر إنجليزي هو (إدوارد فيتزجيرالد) تلك الترجمة التي قام بها عام ١٨٥٦ ونشرها في الغرب على أوسع نطاق، وقد انساق المسلمون وراء تلك الفلسفة المزعومة والخداعة، وتأثروا بما فيها من المعاني المثيرة والاتجاهات المغرية والتحليلات الباطلة.

وكشف الباحث ما وراء هذه من هدف حين قال: إن أوائل الغربيين الذين

اهتموا بالرباعيات إنما كانت تدفعهم فكرة استعمارية معتمدين في ذلك على محض مصادفة ساقها القدر وقد خدمهم المستشرق فيتزجرالد الذي تلقى الإشارة من قبل السادة الإنجليز.

ويقول دكتور محمد موسى هنداي: أنا مع الطرازي في أن الاستعمار لا يترك وسيلة إلا استخدمها ولا سلاحاً إلا استعمله.

ويقول الطرازي: "وإن الأغراض المقنعة وراء هذا هي إشاعة روح فن الرباعيات عن طريق شعر منسوب إلى مسلم ورباعيات مسكرة خليعة فيها دعوة صريحة وصارخة إلى تناول الصهباء ومجلسة الغادة الحسناء وإمرار الحياة بالعطالة والجمود والكسل والخمول والحرية المطلقة التي لا قيود فيها وفي ذلك مهاجمة واضحة لتعاليم الدين الإسلامي الخنيف".

ويقول: إن الذين قاموا بذلك هم خواص الغربيين الماهرين ممن لهم علاقة بالتبشير المسيحي ومنهم المستشرق النمساوي هافر يرغستل الذي ترجم ٢٥ رباعية منها وكلها تخالف تعاليم الإسلام وتخدش مقدساته وذلك في كتاب (تاريخ الدولة العثمانية).

ولقد وجدوا في هذه الرباعيات بغيتهم المنشودة في الطعن على الدين الإسلامي، والاستهزاء بتعاليمه المقدسة، ولا سيما الجرأة على رسول الله صلى الله عليه وسلم مستندين في ذلك إلى مقولات -ولو موضوعة- منسوبة إلى رجل عظيم من عظماء الشرق وعالم من علماء الإسلام، كما كسبوا مبالغ باهظة عن طريق بيع ترجماتهم وكتبهم في الشرق والغرب. ويقول الأستاذ الطرازي: كان فيتزجرالد الشاعر الماهر الإنجليزي قد تلقى الإشارة من قبل بعض ساسة الإنجليز، فقدم إلى المستعمر المحتال خدمة مشكورة، ولكن تحت ستار الخدمة للأدب الغربي، وذلك بترجمة تلك الرباعيات

إلى النظم الإنجليزي، وحذا حذوه (زوكوفسكي) المستشرق الروسي وقد تفرد فيتزجيرالد بميزة خاصة، فقد صور الرباعيات المستنكرة المخزية الخليعة بصورة خلاقة، وضمنها في كلمات إنجليزية منظومة جذابة، بحيث تخلب قلوب أهل الشرق، ولا سيما الشباب الناشيء ورجال المستقبل، وتكسب اهتمامهم نحوها من حيث طلاوتها اللفظية أولاً، والشهوات والترعات النفسية، ثانياً.

وقد خدع فيتزجيرالد الشرق والشرقيين بهذه الخدعة السياسية في ثوب ثقافي أدبي.

ونجح معه الإنجليز بدهائهم المعروف في السياسة الاستعمارية في نشر هذه السموم الفتاكة بين أبناء الشرق عامة، وخاصة أبناء مستعمرة الهند، وجارها إيران تحت ستار الأدب، ودعاهم جميعاً إلى تناول الخمور ومغازلة الحسان وملازمة السرور والغناء ومجانبة السعي والعمل، وحثهم على الإباحية والزندقة بدعوى الحرية المطلقة، الأمر الذي دفع الشرق إلى ما دفعه من التأخر وجعله مستعداً لقبول تدخل المستعمر في شئونه الاقتصادية أولاً، والسياسية ثانياً، مما أدى إلى تأخر طائفة من الشرقيين، وفساد أخلاقهم، وابتعادهم عن كسب العلوم والفنون.

وقد تمكنوا ونجحوا في تنفيذ خدعتهم في صفوف أبناء الشرق، ودفعوهم إلى التقدير والإعجاب بتلك الترجمة الخادعة للرباعيات حيث سارعوا إلى ترجمتها إلى العربية والأوردية.

ولقد حاولت الرباعيات أن تحيي بذكاء ورقة تعاليم الباطنية وأتباع حسن الصباح من إباحية شرب الخمر وجميع الملذات، وإنكار النبوات والمعجزات، والقول بقدوم العالم وإبطال القول بالمعاد والنشر من القبور، وكون الجنة هي نعيم الدنيا، وروايا أخرى ترمي إلى هدم الشرائع وتثبيت دعائم الإلحاد.

ويؤكد الأستاذ الطرازي أنه ليس هناك أي سند تاريخي أو دليل علمي موثوق يثبت صدور تلك الرباعيات، ولا سيما المستنكرة الخليفة منها، عن الحكيم عمر الخيام النيسابوري، وأن هذه الرباعيات التي نسبها إليه جمعوها من هنا وهناك وطبعوها في الشرق والغرب.

ولو كان للخيام رباعيات مثل هذه الرباعيات - ولا سيما المستنكرة الخليفة الخمرية - لما سكت عن روايتها المؤرخون الأقدمون، حيث لا توجد نسخة مدونة لرباعيات الخيام، إلا ما دون بعد مرور ثلاثة قرون ونصف قرن من وفاته، وهي النسخ المعروفة بنسخة بودليان المحفوظة في أوكسفورد، وهم لا يعرفون مصدر هذه النسخة التي أخذ منها صاحبها، الأمر الذي يدل على أنها موضوعة.

ويلخص الأستاذ عبداللطيف الجوهري معلقاً على كتاب الشيخ الطرازي أهم الخطوط العامة:

أولاً: انخداع الشرقيين ولا سيما الخياميين المتطرفين، رجاء تخليصهم مما سموه (فلسفة الخيام) التي دفعت بهم إلى حضيض الأهواء والأوهام وساقتهم نحو الفساد والانحلال، ورمت بهم في مسالك الجهل والضلال، مع التنبيه على لعبة أعداء الإسلام ورجال الاستعمار وما لهم من دور خفي دقيق في هذا المضمار.

ثانياً: لم يشر أحد من أصحاب التراجم إلى أن الخيام عرف بأنه يقرض الشعر حتى الإشارات الضعيفة التي وردت، تدل على أنه إن كان له شعر فلا يمكن بحال أن ينحدر إلى مستوى الرباعيات الخارجة، والتي تنسب إليه بلا حجة واضحة، وهو من هو، الحكيم الذي يجالس الخلفاء وينتج الرسائل في التوحيد والفقه والرياضات.

ثالثاً: رأي الغربيون أن معاني تلك الرباعيات وأهدافها متفقة مع أهواء الغرب في شرب الخمر ومصاحبة الغانيات وإمرار الحياة بحرية مطلقة مزعومة، ووجد المختصون

بشئون التبشير النصراني في الغرب في هذه الرباعيات بغيتهم المنشودة، في الطعن على الدين الإسلامي والاستهزاء بتعاليمه القدسية، ولا سيما الجرأة على الرسول صلى الله عليه وسلم وجدوا بغيتهم عن طريق عظيم شرقي مسلم. ) انتهى كلام الأستاذ أنور - رحمه الله - .

وليلاحظ أنه كان من الأولى استبدال كلمة " الشرقيين " ب " المسلمين "، لكنه جرى على عادة أبناء عصره . والله الهادي .

oboeikan.com

## القيم والعادات الاجتماعية

في مربعات ابن عروس

### صابر محمد فرج

يقول عالما الاجتماع الأمريكيان مكيفر وبيج : «إنه لا يرجى للنظم السائدة والروابط أى انتظام بمعنى الكلمة إلا إذا ارتكزت واعتمدت على مركب معتمد من صنوف مختلفة من العادات وأساليب السلوك»<sup>(١)</sup>.

فالعادات إذن سلطة المجتمع غير المدونة في قوانين أو دساتير وهي محفوظة في صدور البشر وتحيط بالإنسان في كل مناسبة وفي جميع تعاملاته مع غيره في المجتمع، ومن هنا تتضح الأهمية العظمى للعادات وذلك لتدخلها في سائر نواحي الحياة، وتعتبر العادات الاجتماعية «العقل الجمعي» أو ما يسميه (سمنر) روح الجماعة.

ومن مميزات العادات الاجتماعية أنها ذات سلطة وسلطان على الأفراد، فهي تلزم أفراد المجتمع، ويجد الفرد في طاعتها راحة.

وكل مجتمع له عاداته الاجتماعية التي تتناغم مع القيم التي اعتنقها ومعايير الخير والشر، الصواب والخطأ، وقد يرى مجتمع ما أن بعض العادات عادية ويراها مجتمع آخر شاذة، مثلما قال المويلحي في حديث عيسى بن هشام : ولا يتحتم أن ما يكون ذا نفع عند الغربيين يكون له نفع عند الشرقيين والعادات الاجتماعية مرغوب فيها ومحبية إلى الأفراد، ولعملية التنشئة الاجتماعية أهمية كبيرة في ثبات تلك العادات التي تصبح مقبولة من الجميع، ومن يخرج عليها وينحرف عنها يتعرض لعقوبات الرأي الجمعي. بمختلف أنواع التحقير الاجتماعي.

(١) مكيفر وبيج، المجتمع، ترجمة : د. علي أحمد عيسى، ص ٤١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، بدون.

## دور الشاعر في تدعيم القيم والمعاداة الاجتماعية :

عندما يضع المجتمع قيمه ومثله وعاداته، نجد الفنان صاحب المشاعر الرقيقة يجرى وراء رغبته المباشرة نحو الإصلاح من نقائص المجتمع ويعتبر ذلك الخلل مثلبة يجب الوقوف أمامها ومحاربتها، وهذا ما فعله «ابن عروس» في رباعاته والتي ضمنها المعاني الأصلية للقيم والمثل، ولقد تنوعت في مصر أنواع الكتابة الأدبية ولكن براءة شاعرنا التي أبدعت هذه المربعات تقف وحدها شامخة وذات دلالة على الحس القومي بمشكلات المجتمع، ولما كان حيز المربعة لا يسمح بالاستهلال وإنما بالمباشرة والدخول في صميم الموضوع مع التركيز والتكثيف، والاستغناء عن كل ما هو زائد / الثثرة جعلها تقترب بل تكون هي النموذج الأمثل للقصيدة الومضة.

### الدعوة إلى القيم المثالية :

يقول «إبراهيم حلمي»<sup>(٢)</sup> هناك أنواع من القيم تسمى بالقيم المثالية التي يحس الناس استحالة تحقيقها بصورة كاملة مثل القيم التي تدعو إلى مقابلة الإساءة بالإحسان، وقد يعجز الفرد في الواقع عن الالتزام بها، ولكن مع ذلك، إذا تبناها فإنه يعدل كثيراً من سلوكه. مثلما يقول «ابن عروس» :

قلل كلامك وخليك  
في كل محفل موقر  
وأحسن لمن كان يؤذيك  
بالسوء في كل محضر

كما أن رباعاته تدعو إلى فضيلة اخير والبعد عن الشر وتلك رسالة سامية،  
فيقول :

اللى على الخير هنيه

(٢) القيم في مواويل يوسف شتا، مجلة الفنون الشعبية، العدد ٥٢/١٩٩٦، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

وبشره بالغنيمة  
واللى على الشر عزيزه  
بكره يلاقى الهزيمة

وإكرام الضيف قيمة وعادة وسلوك متبع وكامن في الضمير العربي، ويؤكد عليه

«ابن عروس».

الجود ما هواش بمال  
ولا بلبس القماشى  
دا طبع فى الشخص سلسال  
لا هو بماله ولا شى

ويقول المثل العربي (القناعة كتر لا يفنى) ويجيء ابن عروس ليؤكد من خلال

مربعاته الرائعة :

كسرة من الزاد تكفيك  
وتبقى نفسك عفيفة  
والقبر بكره يطويك  
وتنام فى جار الخليفة

أما عن قيمة الصدق، فحدث ولا حرج، قال تعالى (ليسأل الصادقين عن صدقهم) وقال الشاعر القديم «وفى الصدق منجاة من الشر فاصدق» وعدم الصدق رذيلة، وشهادة الزور من ضمن رذائل الكذب والتي يحقرها ويحقر فاعلها شاعرنا

«ابن عروس» فى مربعه :

ما أشقاك يا شاهد الزور  
فى الحشر حالك يحزن  
ذنبك لدى الناس مشهور  
فى يوم بيان المخزن

والترابط الأسرى قوة للمجتمع ويقف أمامنا المثل الشعبي (أهلك لا تهلك)

فيحيء شاعرنا «ابن عروس» ليقول :

ما ينجذك غير أهلك  
ولا ينفعك غير مالك  
واحلف يمين بعد أمك  
حبيب م النساء ما بقا لك

ومن ضمن الربعات التي تنفر من لردائل ويحذرنها فيها شاعرنا من الإنسان

الخائن / البغيض.. والذي لا يحلم لك سوى العداوة، فيقول :

من يبغضك لم يحبك  
ولو طعمتو الحلاوه  
السن للسن ضاحك  
والقلب كله عداوه

ونعتقد أن الفنان الشعبي تأثر بهذا المربع في مواله السباعي<sup>(٣)</sup>

صاحبت إنسان وعينه للطمع فاتحه  
بيعمل أطرش وودنه للسمع فاتحه  
عن الحلال صام وبطنه للحرام فاتحه  
أترية مكروه وعلى فعله الخلايق شاهده  
بينضح المر ولا عمره بينضح شهد  
ومهما احترمته وأكلته المروق شهد  
خوان للعهد ولا يقرأ معاك فاتحه

ومن خلال حكمة الشعب المصري الأصيلة / الأمثال الشعبية.. المتضمنة للقيم،

يعيد لنا «ابن عروس» صياغة الحكم والأمثال في رباعته، فمثلا يتخذ معنى المثل الشعبي

(علمت فيك والطبع فيك غالب، ودليل الكلب لم ينعدل ولو علقوا فيه قالب) فيقول:

نصحتك ما اتنصحت  
والطبع فيك غالب

وديل الكلب لم يتعدل  
لو حطوا فيه قالب

وكما يقول المثل (لسانك حصانك إن صنته صانك) يقول «ابن عروس» :

صابونة العدو ما ترغيش  
وان رغت ياللا السلامه  
إن قعدت فى مطرح ما ترغيش  
حتى تقوم بالسلامه

ويجىء الفنان الشعبى بعد أجيال ليقول :

زلة لسانك تسقطك من عين كل أهل كمال  
واعلم بأن الرجال ما بتتقلش بمال  
لو كنت تقل الجبال ع الأرض ما تعلم

وينبه ابن عروس أفراد يجتمعهم بالبعد عن النذل صاحب الخصال الذميمة، فيقول:

النذل له طعم مالح  
وله خصايل ذميمة  
القرب منه فضايح  
والبعد عنه غنيمه

أما الشاعر الشعبى المتأثر يقول «ابن عروس» فيقول فى مواله:

فى النذل هات العصا العوجه وانزل دق  
اكمنه تعبان انزل فوق دماغه دق  
ما عرفشى طعم الشرف ولا حتى طعمه داق  
لا بينفعك فى الشئنا ولا يكرمك فى الصيف  
شاطر فى أكل الحرام زى اللهب فى السف  
تملى سقعان ومكرمش فى عز الصيف  
ولا تلتقى ضيف على بابهم فى مره دق<sup>(٤)</sup>

وابن عروس يتمس العذر لمن يوافق على غير الحقيقة، ويعدل بمبدأ الضرورات  
تبيح المحظورات ولكنه يطالب بعلاج وإصلاح هذه الآفة التي تضر بالمجتمع فيقول :

**طبيبي بالعجل الحق هدنا لى دواك الموافق  
فيه ناس كتير بتعرف الحق ولجل الضرورة توافق**

كما أن التطلعات دائما ما تصيب أفراد المجتمع لذلك يدعوننا إلى عيشة البساطة  
والقناعة ويذكرونا بالمثل الشائع (على قد لحافك مد رجلحك) :

**كل عيشك بملحك وفجلك وعيش عيشة جدودك  
واتمد على قد رجلك بلا تزيد عن حدودك**

والإنسان المصرى الصبور دائما ما يتحمل المصائب ويصبر على كل الأحوال  
وهنا يستدعى «ابن عروس» المثل الشائع (الصبر مفتاح الفرج) فيقول فى مربهه :

**لا أنام على الشوك عريان  
واصبر على ما جرائى  
واصبر عليك يا زمان  
حتى ينعدل حالى**

ويجىء بعده الشاعر الشعبى وبنفس المعنى فيقول : (٥)  
**أمشى على الشوك حفيان  
واضحك مع اللى جفانى  
واصبر على ظلم الايام  
لمن ينعدل زمانى**

والكلمات هى نفس الكلمات إلى حد كبير ولكننا نجد شاعرنا «ابن عروس»  
دون الآخر مع أن الكلمات واحدة، ويرجع ذلك إلى مقدرة الشاعر فى إحداث المجاورة  
المروحية والشائقة / المناسبات للكلمات.

ومن المفارقات في هذا المجال أن زين الدولة الحسين بن لويزير أبي الكرم قال شعراً في مجلس الملك الصالح المتوفى سنة ٧٤٦هـ - وجمع متضادين وهما النار والماء في جوانحه ودل على مهارته في صياغة هذا المعنى فقال :

وإذا تشب النار بين أضالعي  
قابلتها من أدمعي بسيول  
فأنا الغريق بل الحريق أموت في  
هذا وذأ كذبالة القنديل

وفي نفس المجلس أنشد أحد عوام بغداد من الكان كان نفس المعنى، واستعمل نفس الكلمات، فحاء شعره العامى أروع وأدق :

النار بين ضلوعي وأنا غريق مدامعي  
كأني قتيلة قنديل أموت حريق وغريق<sup>(١)</sup>

والشاعر العامى هنا أعطى للكلمات المتداولة، لغة شاعرية هامة، كانت قليلة التأثير قبل استعمالها في شعره.

وهكذا نجد أن «ابن عروس» يأخذ من الناس فلسفتهم وحكمتهم ثم يردهما إليهم بمربعاته السريعة القصيرة / الموجزة / الطلقة فتهزهم هزاً. ونعتقد في نهاية هذه الإطلالة أنه من الضروري أن نوجه نظر القارئ إلى أنه من الضروري في العامية بالذات تكون الأذن مقياس صحة الوزن، لأن اللسان العامى قد لا يشبع مخارج الحروف مثل الكتابة وقد يلجأ إلى الحذف والإدغام ويهتم بالنطق.

(١) اعتمد المقال على كتاب «مربعات ابن عروس»، دراسة وتحقيق : مسعود

شومان.

## مختارات من مربعات ابن عروس

## من الشعر الشعبي

أنا باوحد اللي خلق الناس  
 خلق مسلمين ونصاري  
 وناس نامت على فرش وكناس  
 وناس ع المعايث حيارى

طبيب الجرايح قوم الحق  
 وهات لي الدوا اللي يوافق  
 فيه ناس كتير بتعرف الحق  
 ولاجل الضرورة توافق

فرطت قلبي ما جانيش ريح  
 وعاودت ع انبر ناوي  
 ياما ناس زيننا مجاريح  
 لكين صابرة ع البلاوي

سكت الهوى والناموس طار  
 والسبع طاطا بعينه  
 خليه دا النوم أستار \*  
 لما الكلب ياخذ يومينه

شوف الزمان انتهت عدليه  
 وادي البطل ع الحق راكب  
 جه السبع يطلب عدليه  
 لقي الهلف ع انتخت راكب

يا قلبي إوعى تعاشر الدون  
ولا تكلمه بالاشتراحة  
تكلمه الكلام موزون  
تلقاه يرد بقباحة

جاني طبيبي مع العصر  
وف إيده ماسك، عصاية  
اتاري طبيبي قليل أصل  
من خصمي جابلي الوصاية

كلام الغرابا جملناه  
فات علينا كما ربح هاوي  
كلام القرابا إخ مناه  
وياجي فوق فرش الكلاوي

إوعى تقول للنندل يا عم  
ولو كان على السرج راكب  
ولا حد خالي من الهم  
حتى قلع المراكب

ولابد من يوم محتوم  
تترد فيه المظالم  
أبيض على كل مظلوم  
أسود على كل ظالم

غربي بلدنا بلد سيح  
وادي الهلف ماشي ورانا  
مش عيب كراسي التماسيح

تَقَعِدُ عَلَيْهَا "الْوَرَانَا"؟\*

أستار: ستائر

الورانا: جمع "ورل" - حيوان صحراوي يشبه التمساح

إضافة:

خشب المراكب من السنط  
في البحر ياخذ مهاجه  
واجب ع الحر يلزم الصمت  
لما الهلف ياخذ مهاجه

## تعريف بابن عروس

هو شاعر ذاع صيته بعد وفاته بقرون غير أن العديد من المفكرين يقولون ان ابن عروس هو شخصية وهمية ولكن البعض يؤكد أن شعره والذي يتمتع بقالب معين يسمى مربعات او بالتحديد تسمى مربعات بن عروس نسبة إليه.

غير أن تعريفنا بابن عروس هو الشاعر الذي عاش في العصر العثماني وكتب بالعامية ما وصل إلينا وتداوله كحكم و أقوال مأثورة

علاقة ابن عروس بالعصر الحديث :

نجد في كثير من الأحيان العديد من الكتاب يظهرون بعض مربعاته في مؤلفاتهم مثل الراحل عبد الفتاح الجمل في كتابه رحلة في غرب مصر حين كتب

مسكين من يطبخ الفاس

ويريد مرق من حديده

مسكين من يعاشر الناس

ويريد من لا يريده

والكثير من الشعراء العاميين يأتون ببعض من مربعاته لإظهار الحكمة والبلاغة.

كما أن بعض الأغاني الجديدة التي أخذت في الانتشار بشكل هائل تتخذ من كلماته مبدأ للكلمات ومذهب يرددونه وقد نجد الكثير يتخذون من مقاطعه العديد مثل المربع القائل.

يا بت جميلك هبشني

والهبشة جت في العباية

رمان صدرك دوشني

وخلى فطوري عشاية

ونجد أيضا السيد الأبنودي في أغنية مسلسل ذئاب الجبل اتخذ من كلماته

لشعره فقال

ولابد عن يوم معلوم  
تترد فيه المظالم  
أبيض علي كل مظلوم  
واسود علي كل ظالم

obeyikah.com

## مربعات ابن عروس

ولا بد من يوم معلوم  
ترتد فيه المظالم  
ابيض على كل مظلوم  
واسود على كل ظالم

مسكين من يطبخ الفاس  
ويريد مرق من حديده  
مسكين من يعاشر الناس  
ويريد من لا يريده  
إوعى تقول للنذل يا عم  
وان كان على السرج راكب  
ولا حد خالى من الهم  
حتى قلع المراكب

كيد النسا يشبه الكى  
من مكرهم عدت هارب  
يتحزمو بالحنش حى  
ويتعصبو بالعقارب

الليل ما هو قصير  
إلا على اللى ينامه  
والشخص مادام فقير  
ما حد يسمع كلامه

أنا باوحد اللي خلق الناس  
 خلق مسلمين ونصاري  
 وناس نامت على فرش وكناس  
 وناس ع المعاش حيارى

طبيب الجرايح قوم الحق  
 وهات لي الدوا اللي يوافق  
 فيه ناس كتير بتعرف الحق  
 ولاجل الضرورة توافق

فرطت قلبي ما جانيش ريح  
 وعاودت ع البر ناوي  
 ياما ناس زيننا مجاريح  
 لكين صابرة ع البلاوي

سكت الهوى والناموس طار  
 والسبع طاطا بعينه  
 خليه دا النوم أستار \*  
 لما الكلب ياخذ يومينه

شوف الزمان انتهت عدليه  
 وادي البطل ع الحق راكب  
 جه السبع يطلب عدليه  
 لقي الهلف ع التخت راكب

يا قلبي إوعى تعاشر الذون  
ولا تكلمه بالاشتراحة  
تكلمه الكلام موزون  
تلقاه يرد بقباحة

جاني طبيبي مع العصر  
وف ايده ماسك عصاية  
اتاري طبيبي قليل أصل  
من خصمي جابلي الوصاية

كلام الغرابا حيلناه  
فات علينا كما ربح هاوي  
كلام القرابا إخ مناه  
وياجي فوق فرش الكلاوي

إوعى تقول للندل يا عم  
ولوكان على السرج راكب  
ولا حد خالي من الهم  
حتى قلوب المراكب

غربي بلدنا بلد سيح  
وادي الهلف ماشي ورانا  
مش عيب كراسي التماسيح  
تقعدها عليها "الوراننا"؟\*

اللي حبنا حبناه  
وصار ماتعنا متاعه  
واللي كرهنا كرهناه  
ويحرم علينا اجتماعه

يا بت جمالك هبشني  
والهبشة جت في العبايا  
رمان صدرك دوشني  
وخلي فطوري عشايا

## مختارات من مربعات ابن عروس من الشعر الشعبي

أنا باوحد اللي خلق الناس  
خلق مسلمين ونصاري .  
وناس نامت على قرش وكناس  
وناس ع المعاش حيارى

طبيب الجرايح قوم الحق  
وهات لي الدوا اللي يوافق  
فيه ناس كثير بتعرف الحق  
ولاجل الضرورة توافق

قرطت قلعي ما جانيش ريح  
وعاودت ع البر ناوي  
ياما ناس زيننا مجاريح  
لكين صابرة ع البلاوي

سكت الهوى والناموس طار  
والسبع طاطا بعينه  
خليه دا النوم أستار\*  
لما الكلب ياخذ يومينه

شوف الزمان انتهت عدليه  
 وادي البطل ع الحق راكب  
 جه السبع يُطلب عدليه  
 لقي الهلف ع اتخت راكب

يا قلبي إوعى تعاشر الدون  
 ولا تكلمه بالاشتراحة  
 تكلمه الكلام موزون  
 تلقاه يرد بقباحة

جاني طبيبي مع العصر  
 وف ايده ماسك عصاية  
 اتاري طبيبي قليل أصل  
 من خصمي جابلي الوصاية

كلام الغرايا حيلناه  
 فات علينا كما ريح هاوي  
 كلام القرابا إخ مئاه  
 وياجي فوق فرش الكلاوي

إوعى تقول نلندل يا عم  
 ولوكان على السرج راكب  
 ولا حد خالي من الهم  
 حتى قلع المراكب

ولا بد من يوم معلوم  
تترد فيه المظالم  
أبيض على كل مظلوم  
أسود على كل ظالم

غربي بلدنا بلد سيح  
وادي الهلف ماشي ورانا  
مش عيب كراسي التماسيح  
تقعد عليها "الورانا"؟!\*

الورانا: جمع "ورن" - حيوان صحراوي يشبه أتمساح

خشب المراكب من السنط  
في البحر ياخذ مهاجه  
واجب ع الحر يلزم الصمت  
لما الهلف ياخذ مهاجه

أنا لم لقيت لي سعد ولا بخت  
ولا خِل صادق.. قناني  
جيت عند بيت عزولي اتلبخت  
عبوا لي الدوا في قناني

الليل ما هو قصير  
إلا على اللي ينامه  
والشخص مادام فقير  
ما حد يسمع كلامه

مسكين من يطبخ الفاس  
ويريد مرق من حديده  
مسكين من يعاشر الناس  
ويريد من لا يريده

كل عيشك بملحك وفجئك  
وعيش عيشة جدودك  
واتمد على قد رجلك  
بلا تزيد عن حدودك

لا أنام على الشوك عريان  
واصبر على ما جرائي  
واصبر عليك يا زمان  
حتى ينعدل حالي

قلل كلامك وخليك  
في كل محفل موقر  
وأحسن لمن كان يؤذيك  
بالسوء في كل محضر

اللى على الخير هنيه  
وبشره بالغنيمه  
واللى على الشر عزيزه  
بكره يلاقى الهزيمه

من يبغضك لم يحبك  
ولو طعمتو الحلاوه  
السن للسن ضاحك  
والقلب كله عداوه

الندل له طعم مالح  
وله خصايل ذميمة  
القرب منه فضايح  
والبعد عنه غنيمه

كيد النسا يشبه الكي  
من مكرهم عدت هارب  
يتحزمو بالحنش حي  
ويتعصبو بالعقارب

خلخال خطر ع القدم

كل المحاسن فيه  
والصايغ اسمه حسن  
صانع جميع ما فيه  
جاني جواب من البلد  
وسلام حبيبي فيه  
مكتوب بحرف الألم  
والدمع باين فيه  
دخلت بستان حبيبي  
أتفرج علي اللي فيه  
لاقيت عريض الفلا

فارش ونايم فيه  
ومبين الدق لاخضر  
قلت له غطيه  
قال لا انت ابن عمي  
ولا ابن خاني  
ولا شريكي فيه  
سحبت سيف المحبه  
لجل ما أرميه  
رمش بعينه رماني  
قبل انا ما أرميه  
\*\*\*\*\*

## عبد الرحيم منصور

### سيرة ذاتية

ولد الشاعر عبد الرحيم منصور في (دندرة) بندر قنا وتعتبر نشأته اكبر مؤثر في كتابته وعندما كانت ام الشاعر تلقى انشادات امام الفرن لتضيع الوقت ولم تكن تدرى انما تعطي ابنتها جواز السفر ليرتحل عنها فور ان يشب عن الطوق ثم يرتحل عنها إلى الابد وبالفعل ما كاد شاعرنا عبد الرحيم يشب عن الطوق حتى كانت بذور الشعر التي زرعتها فيه أمه قد بدأت تظهر وتحاول الخروج وهكذا حرصته موسيقى الشعر للرحيل عن قريته بحثا عن حلمه .. وبداية اكتشافه كانت على يد الكاتب الكبير لويس جريس اثناء جولته في الجنوب المصري لاكتشاف المواهب لتقديمها في مجلة صباح الخير تحت عنوان (المعدوبين بالفن) وعثر اثناء جولته على كثر من المواهب أعلن عنه وقدمته المجلة ، هذا الكثر كان الشاعر عبد الرحيم منصور الذي يكتب بالعامية .. وبدأ شاعرنا ومعه مجدى نجيب والأبنودى وسيد حجاب في بث اشعارهم العامية عبر الاذاعة وكان الناس يعشقون هذا النوع من الشعر الذى اصبح على كل لسان وخصوصاً البسطاء لأنه كان يستخدم لغة حياتهم اليومية التي تشكل تعاملاتهم ومشاعرهم ، وايضاً لأن اللغة كانت متواصلة مع موروثنا الشعبى الملىء بالمواويل والملاحم الشعبية التي رسمت الحياة الاجتماعية في مصر على مر العصور

وهكذا استقبلت القاهرة اشعار عبد الرحيم منصور وفتحت له صدرها لأنه كان اقرب تعمقاً في جذور الأرض التي شكلت الوجدان الشعبى واقترابه من سخونة الجنوب في مشاعر أهله المليئة بالمواويل الحزينة وكتب ديوانه الأول (الرقص ع الحصى) في أواخر الستينات وكان نشره على حسابه الخاص ولأنه لم يهتم كثيراً بالدواوين فلم تنشر باقى الدواوين .. وقدم مع بليغ حمدى وقتها الكثير من الاغانى لكبار المطربين

والمطربات وبرز اسمه خصوصاً أثناء حرب أكتوبر فكانت اول وأشهر اغاني النصر من كلماته وتغني بما اشهر المطربين والمطربات .. إلى ان بدأت محطة هامة في حياته حين تعرف على المطرب محمد منير وبدأ معه مشوار دام حوالي ١٠ سنوات وكان التحدي الذي واجهه عبد الرحيم هو كتابة اغاني رومانسية وقت رحيل الفنان عبد الحليم حافظ فخرجت الرومانسية على طريقة عبد الرحيم بشكل جديد وبمفردات جديدة تماماً على الاغنية الرومانسية السائدة وقتها في اغاني مثل في عنكي ويا صبية وبدأت الاغنية تتخذ شكل جديد كما شملت اغانيه موضوعات لم يتطرق لها احد من قبل وبدأ كتابة أول البومات منير (علموني عنكي) ووقتها تعرف على الملحن النوبى احمد منيب والملحن والموزع هانى شنودة وتوالت النجاحات حتى وصلت للذروة في ألبوم (شبابيك) عام ١٩٨١ كما كتب في أوائل الثمانينات لمطربين جدد ساعد على نجاحهم بجانب المطربين الكبار وقتها

تعتبر اول الثمانينات هي الفترة الاهم والاشهر في حياة عبد الرحيم منصور حيث كتب لمحمد منير اغاني في ألبومي (شبابيك) و(اتكلمى) كما وضع سيناريو وحوار واشعار فيلم (الزمار) للمخرج عاطف لطيب وكتب كلمات ألبوم (حظوظ) للمطرب الشعبي كتكوت الامير وكتب أول اغاني المطربين عمرو دياب وعلى الحجار ومدحت صالح ومحمد ثروت ووليد توفيق ورحل عبد الرحيم منصور يوم ٢٨/٨/

## مختارات من رباعيات عبد الرحيم منصور من رباعيات الموت والميلاد

١- طعم البيوت في الشوارع  
طعم الشوارع بيوت  
الخطو طالع وراجع  
بيتولد ويموت  
⊖ ⊖ ⊖

٢- على الطريق وش، غربه  
وخطو مالوهش صاحب  
والوقت ميت ف تربه  
والتربه ماليها صاحب  
⊖ ⊖ ⊖

٣- مشيت معاه كان صديق  
رسيينا على كل شي  
صديق وجاع في الطريق  
هبش في لحمي النبي  
⊖ ⊖ ⊖

٤- القهوه زي الديار  
عريانه من غير وش  
طفحت. هموم النار  
على كل وش يبش  
⊖ ⊖ ⊖

٥- بيتنا أهه يا ولاد  
 في وش بنت غريبه  
 في عينها زهر الميلاد  
 والموت وله تكعيبه  
 ⊖ ⊖ ⊖

٦- جايه منين يا قله  
 من حجر طينه قنا  
 كيف العيون والغله  
 عطشانه زي أنا  
 ⊖ ⊖ ⊖

٧- حرام يا قاضى العشق  
 مين حرموا وتابوا  
 موالى م الارض شق  
 وقصفوا رقباه  
 ⊖ ⊖ ⊖

٨- لا شى باقى ودايم  
 يا حلم أمي وخيه  
 القش هو اللي عايم  
 ونا وزماني في خيه  
 ⊖ ⊖ ⊖

٩- بافر من تحت جلدي  
 وأهرب وألف وأدوب  
 الود أشرب بيدي  
 نبع الشروق والغروب  
 ⊖ ⊖ ⊖

١٠- يا نخل مالها جدورك  
 في الأرض مالهاش مخالب  
 جيتك لحدك أشورك  
 رجعت مغلوب وغالب  
 ⊕ ⊕ ⊕

١١- لا برق إلا وطالع  
 من بطن أم السكون  
 العتمه شايفه المطالع  
 والفجر من غير عيون  
 ⊕ ⊕ ⊕

١٢- سفر وحلم وسفر  
 الخلق بتقول يا دنيا  
 الشهر أصبح صفر  
 بين الصباح والعشيه  
 ⊕ ⊕ ⊕

١٣- طلقوني جوه الدروب  
 وف قلبي ندعه حليب  
 بين الشروق والغروب  
 إزاي يا ولد تشيب  
 ⊕ ⊕ ⊕

١٤- لاتنين سوا لاتنين  
 البذره ويا الحصاد  
 الفجر أبيض جنين  
 والموت شهاده ميلاد  
 ⊕ ⊕ ⊕

١٥- يا طيره ليه طايره بدرى  
لسه خفيف الريش  
فطموني بدرى . وبدرى  
وليد وعايز يعيش  
⊖ ⊖ ⊖

١٦- مش طايقه ليه خلقاتك  
خلقاتي ضاقوا عليه  
مش عارفه ليه شققاتك  
رموني للغربه ديه  
⊖ ⊖ ⊖

١٧- يا فكر خلي يا شارد  
ياللي مالكتش بلاد  
التوهه سكين بارد  
على رقاب العباد  
⊖ ⊖ ⊖

١٨- سيبوني أمشى لوحدى  
سيبوني أتوه عريان  
الدنيا توب على قدي  
وما اطعش أنا الغطيان  
⊖ ⊖ ⊖

١٩- ده ده ولا حنه  
يا أم الكفوف، العريضه  
ده شوق لولدي اللي ساذنا  
في بحور همومنا الغويطه  
⊖ ⊖ ⊖

٢٠- ياما قصص وحكايات  
فاتوها ناس للزمان  
لها روح مع جناحات  
لها عين وودن ولسان  
○○○

٢١- الصرخه في القلب جوع  
تخلق ربيع أو خريف  
ورده في صدر الربوع  
دمعة فقير ع الرغيف  
○○○

٢٢- فيه طير بيرجع لعشه  
وطير بيفضل مسافر  
وطير ماهوش لاقى قشه  
وطير مهاجر مهاجر  
○○○

٢٣- قالولي ليه يا قناوى  
خطوك على السكه ساكت  
أنا قلت كان لي غناوي  
داقت الحقيقه وشاقت  
○○○

٢٤- ده دم مين يا خال  
حنه فى كفوف النساء  
ولا جنين خيال  
في بطن أمه اتنسى  
○○○

٢٥- يا ماشي ع الأرض هدي  
دي الأرض أم حنونه  
تولد وتحزن وتدي  
تنفر من اللي عادونا  
⊖ ⊖ ⊖

٢٦- عرفت عتبات بيوت  
لكن ما خطيهاش  
ودقت ياما للموت  
والقلب برضك عاش  
⊖ ⊖ ⊖

٢٧- فيه طلق تجار حروب  
وطلق يحمي الديار  
وطلق يحمي دروب  
وطلق يزرع عمار  
⊖ ⊖ ⊖

٢٨- فيه طلق يولد حياه  
أطفال في عمر أساه  
وطلق أسود أساه  
مدفع بيقتل رضيع  
⊖ ⊖ ⊖

٢٩- مولوده بس النهارده  
ونا ليه ياما زمان  
بخطوه ع الأرض شارده  
تموت وتحيا ف مكان  
⊖ ⊖ ⊖

٣٠- من الحسا والشقا  
إيدين بتخلق ديار  
عرق مع زفرقه  
وليل فى حضن نهار

obeykhan.com

## من رباعيات الحب

١- خديني بسمة لقا  
إرميلي كلمة وداع  
بين الفرح والشقا  
لازم يحل الشراع  
⊖ ⊖ ⊖

٢- ظلي يا دنيا عليه  
يا عيون حبيبي الزلال  
منقوش في قلبي وإيديه  
كحل الطريق والليال  
⊖ ⊖ ⊖

٣- السر في عنكي قاتل  
ياللي عنكي شباي  
وأنا وعنكي باقاتل  
أصبح سؤالي جوابي  
⊖ ⊖ ⊖

٤- إن جم وراحوا الحبايب  
بقلوبنا راح نعمل إيه  
إحنا في طريق الغرايب  
خدنا الزمن في إيديه  
⊖ ⊖ ⊖

٥- حران وحصنك جليد  
صافي وقلبك غبار  
مين قال لقاها بعيد  
التلج ويا النار  
⊖ ⊖ ⊖

٦- يا مسقى ملقى العطاشى  
خايف عليكى ورايدك  
يتشوفى عيني عطاشى  
تداري عني مواردك  
⊖ ⊖ ⊖

٧- منين أجيب لك دار  
شبابيكها ع البحري  
قدامي جنبه ونار  
والحمل فوق ضهري  
⊖ ⊖ ⊖

٨- بعيده وانتى في حصني  
في حصن مين يا بعيده  
كيف ونا منك ومني  
لحظة لقانا شريده  
⊖ ⊖ ⊖

٩- عنيكى شبابيك أغاني  
باطل منها وباشوف  
خلت زمانى حصاني  
خلتني ع السر ألوف  
⊖ ⊖ ⊖

١٠ - عودك يا أسمر فتني  
يا أحلى عود في الصبابة  
خلاني ع الصبر أغني  
خلى مسايا ضحايا

⊖ ⊖ ⊖

١١ - في الماضي واللي جاي  
بانده وأدور عليكي  
ساعات يرد الناي  
وساعات تجاوب عنكي

⊖ ⊖ ⊖

١٢ - بودي أزرع شجره  
شجرة حنان في الضل  
ترخي عليكي يا سمره  
وتلم شمل الكل

⊖ ⊖ ⊖

١٣ - عنكي دول مليونين  
مكر وخيانه وجنون  
ساعات كتير جعانيين  
وساعه مالهمش لون

⊖ ⊖ ⊖

١٤ - لو كان وليه الخيار  
لاختارك إنتي أميره  
وأكون أنا شهريار  
نغزل حكاوي كتيره

⊖ ⊖ ⊖

١٥- الخل والله باعوني  
 باعوا وقلبي اللي شاري  
 وكل يوم يقتلونني  
 ويضيعوني في كاري  
 ⊖ ⊖ ⊖

١٦- يا جنين في علم الغيب  
 جاي تعمل إيه دلوقتي  
 حجر العالم غريب  
 وأخاف تدوخ مثل دوخي  
 ⊖ ⊖ ⊖

١٧- أنا اللي محتاج لابن  
 في الرحله ابني يخاويني  
 مش عايزه لكن بحن  
 يملا عليه سنيني  
 ⊖ ⊖ ⊖

١٨- آه لو تطول الايديين  
 لا أملا الديار بالعيال  
 يبقوا لي ضهر وعنين  
 ويبقوا رد السؤال  
 ⊖ ⊖ ⊖

١٩- خلقت مواويل كثير  
 وحضنتها نكرتني  
 والحلم بحنين عسير  
 الرعب فيه بيسكرني  
 ⊖ ⊖ ⊖

٢٠- إيه اللي جواكي قولي  
 محبة ولا عداوه  
 إن كنت قادره تطولي  
 خديني فديه وحلاوه  
 ○ ○ ○

٢١- منين أجيبك يا سمره  
 ياللي عيونك دوايا  
 حلمت ياما يبكره  
 وبكره أصبح مسايا  
 ○ ○ ○

٢٢- ريتك معايا تطوفي  
 وسط البشر والزحام  
 وتشوفي حيرتي وخوفي  
 عليكي من دي الالام  
 ○ ○ ○

٢٣- يا بنت ساعة لقا  
 بتساوي كل الزمان  
 عنكي دي زقزقه  
 وبياي في كل مكان  
 ○ ○ ○

٢٤- شبكت عنكي عيوني  
 وعنكي قاتع المسبايا  
 قلت الوداع قدم خدوني  
 ورموني وحدني لشقايا  
 ○ ○ ○

٢٥- عشقت فيها عنيتها  
وعنيها أعوام خوالي  
توبها اللي مقسوم عليها  
منسوج بأبر الليالي  
⊖ ⊖ ⊖

٢٦- من الحبايب فرحنا  
ومن الحبايب بكينا  
زمان بيحضن فرحنا  
وزمان بيقتس علينا  
⊖ ⊖ ⊖

٢٧- عنكي تحت المطر  
كيف القلق والخوف  
فيهم كلام للقدر  
مداري مش مكشوف  
⊖ ⊖ ⊖

٢٨- مش عايز أشوفك بتبكي  
مش عايز أشوفك حزينه  
ده أنتي في مكانك بتحكي  
وتحطي وتشيلي فينا

## من رباعيات الحكمة

١- على كل لون الحياه  
على كل لون يا بشر  
بشر بتخلق حياه  
وبشر بتقتل بشر  
⊖ ⊖ ⊖

٢- على كل لون الدموع  
دموع فرح وأنين  
دموع في غربال سبوع  
ودموع في قلب حزين  
⊖ ⊖ ⊖

٣- على كل لون العرق  
على كل لون السنين  
عرق يبيض ورق  
وعرق يندي الجبين  
⊖ ⊖ ⊖

٤- على كل لون يا خلق  
على كل لون تطلعوا  
سودتوا لون الحق  
وكرهتوا كون ترجعوا  
⊖ ⊖ ⊖

٥- جاهل يا طامع فى رمال  
 عمرك كضلك يفوت  
 فوق ذكرى حلوه حلال  
 بدل الضلال والسكوت  
 ⊕ ⊕ ⊕

٦- ياللى غويت الليالي  
 خايف عليك من حبالها  
 ليبقى حالك ده حالي  
 وتدوق حرامها وحلالها  
 ⊕ ⊕ ⊕

٧- دايماً قليل البخت  
 بلاقي فى الكرشه عضمه  
 لفيت كتير واتملخت  
 ومشيت بأحزاني هدمه  
 ⊕ ⊕ ⊕

٨- دربك بسيط يا خال  
 وعيونه زي المرايه  
 إن طال وأصبح محال  
 يبقى بداية غنايا  
 ⊕ ⊕ ⊕

٩- البحر يا مراكي مايل  
 ولا شراعك خفيف  
 عمال فى الموج تحايل  
 والريح فى ضهرك مخيف  
 ⊕ ⊕ ⊕

١٠- البر قدام عينك  
لو لحظه رايقه تشوفه  
في الضيقه ربي شريك  
تلقى كفوفك كفوفه

⊖ ⊖ ⊖

١١- تبت حبالك وبحر  
ويا الرفاقه المليه  
في الشده وياك تشمر  
وتعدي لايام مريحه

⊖ ⊖ ⊖

١٢- أوعى تريح وترسى  
وتقول ده آخر المطاف  
الدنيا مالهاش مرسى  
والحمل فوق الكتاف

⊖ ⊖ ⊖

١٣- أوعى يا خيال تميل  
عمر الخيول ما بترحم  
لا حيرمي سرجه الخيل  
ولا حتى على صاحبه يندم

⊖ ⊖ ⊖

١٤- يا صاحبي عافر إن  
لم يحظى حامك بمرسى  
ده العمر مالوش سن  
والان يا قدامنا السه

⊖ ⊖ ⊖

١٥ - جوه النقوش القديمه  
بهتانه حكمة زمان  
شبه الغريم والغريمه  
لونها ولون الحيطان  
⊖ ⊖ ⊖

١٦ - الحكمة من غير شفایف  
قول يا حكيم القبيله  
بترتعش ليه وخايف  
مالناش غيرك وسيله  
⊖ ⊖ ⊖

١٧ - سمعت حكمه وقلت  
يا هلترى مين كاتبها  
قالوا الألم والكبت  
والصمت هوه صاحبها  
⊖ ⊖ ⊖

١٨ - الایل ده عالم وعالم  
عالم وساتراه بيوت  
عالم بيعسكر بعالم  
وعالم ماهوش لآقي قوت  
⊖ ⊖ ⊖

١٩ - هات من جرابك وقوللي  
يا اللي إنت عارف البعيد  
وأديني سدرك يا خلبي  
سدرك كأنه العيد  
⊖ ⊖ ⊖

٢٠- عالم وبودان كبيره  
سامعه وماهيش سامعه  
الضحكه بتساوي حيره  
والفرحه بتساوي دمعه  
⊖ ⊖ ⊖

٢١- سوا في الطريق السهل  
أو في طريق الصعب  
جاي بالورود والفل  
بكره لجموع الشعب  
⊖ ⊖ ⊖

٢٢- أنا كلمه منها الحقيقه  
سابتني ليه الخلايق  
وحدي ومن غير شقيقه  
عريانه بين الشقايق  
⊖ ⊖ ⊖

٢٣- سموني باسم الحقايق  
سموني باسم التراب  
وارموني وسط الخلايق  
أقتل نغم كداب  
⊖ ⊖ ⊖

٢٤- أيام علينا تعدي  
وتمر مثل انسحاب  
وإحنا بناخد وندي  
ونبيع لبعض العذاب  
⊖ ⊖ ⊖

٢٥- عايش على دى الحال  
ألف وأتعب لحالي  
وكل ما أسأل سؤال  
يرجع لي تانى سؤالي  
⊖ ⊖ ⊖

٢٦- أنا شلت حمل صديقي  
وشلت همه وجروحه  
ونا لوحدى في ضيقي  
وهوه عايش لروحه  
⊖ ⊖ ⊖

٢٧- مازر عتش الورد عمري  
وباشم ريحة عبيره  
أه ع اللي يزرع ما يدري  
ويجني لكن لغيره  
⊖ ⊖ ⊖

٢٨- سدري بينهج كرب  
وعيونى عواميد نور  
تهل على درب  
دعوه وورد وسرور  
⊖ ⊖ ⊖

٢٩- قليل كلام الحزين  
لكنه في القلب طامي  
لا له لسان أو إيدين  
لكنه له طلق حامي  
⊖ ⊖ ⊖

٣٠- والله بسيط يا خال  
 كما دمعتي فكمي  
 وشديد كأني رجال  
 ولا همني همي  
 ○ ○ ○

٣١- ياما صحاب وصحاب  
 ليا ونا فرادي  
 لما باقع في العذاب  
 يرخوا العيون والأيدي  
 ○ ○ ○

٣٢- يابو العيال النحيفه  
 والقلب أخضر مراعي  
 عيني زيك كفيفه  
 لكني شايف شراعي  
 ○ ○ ○

٣٣- دعوة أبويا وأمي  
 إني أعيش قلقان  
 لا إيد تحايل في كمي  
 والباب قصادي بيبان  
 ○ ○ ○

٣٤- في عروقي زعق السكوت  
 زعق في قلبك يا خلي  
 فتح بيبان البيوت  
 لقيت سكوتها بيغلي  
 ○ ○ ○

٣٥- البذره مره يا خال  
طرحت لنا غيط مرار  
حرام ده ولا حلال  
تجني المرار ع الديار  
⊖ ⊖ ⊖

٣٦- باقي وطامي يا نيل  
دعا في العيون الغريبه  
تضحك وتصرخ تميل  
فرح وقسوه وطيبه  
⊖ ⊖ ⊖

obeyikah.com

جانب من ربعيات

فريد إبراهيم

تجليات

ليس السـتدين بـالكلام  
 وإنما بالفعل والخلق الكريم  
 فرسولنا لم يـسأت إلا كسى  
 يتم مكارم الخلق الحليم  
 ويعيد للإنسان عزته  
 ويخرجه من الظلم الأليم  
 حتى تصير حياتنا قيـثارة  
 للحب والخير العميم

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: { إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق {  
 { حديث صحيح } .

الدين لا يعلو بتطويل الذقون  
 ولا بملبـسنا القـصير  
 أو التفـرغ بالمـساجد  
 الدين يعلو بالتعاضد  
 الدين يعلو بالتراحم والتواد  
 وبالنجابة في السزراعة والحصاد  
 الدين يعلو بالجهاد بكل حقل  
 من حقـول الاجـتهاد

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: { إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا  
 إلى أحسامكم ولا إلى أقوالكم ولكن ينظر إلى أعمالكم } { رواه مسلم } .

اغرس فسيلة دوحه قد لا تجئ  
 ثمارها إلا ودنياها هباء  
 واسأل ثواب عطانها  
 رب السماء  
 فالمسلم الحق القويم كزهرة  
 تعطى ولا ترجو ثناء  
 وكنخلة تعطى لمن  
 حفظ الجميل ومن أساء

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: { إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة  
 فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها } { رواه البخاري والإمام أحمد } .

أهلاً بأبسام التقى  
 والصوم والخلق القويم  
 أهلاً بمدرسة الإرادة  
 والإنابة والطريق المستقيم  
 أهلاً .. تجئ كما تجئ الريح  
 مرسلة وبالخير العميم  
 يا ليت كل العمر .. رمضان كريم

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: { من صام رمضان إيماناً واحتساباً  
 غفر له ما تقدم من ذنبه } { أخرجه البخاري ومسلم } .

بدر نكررها إذا شئنا  
 بأن نحيا بأخلاق الصحابة  
 اقتداء بالرسول  
 ونعيش إسلاماً يسير على  
 الثرى هدياً بدنياً يوصل  
 ليست من الأمل البعيد  
 إعادة المجد الأصل

قال ﷺ: { تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبداً: كتاب الله  
 وسنتي } { صدق رسول الله } .

كن نسمة تحنو على غصن الحياة  
 فينتشى ويزيد إيناعاً وطولاً  
 كن غيمة إن تحتضن جبلاً جديباً  
 يغتذى كرمها جملياً  
 كن بلسماً يهب الشفاء  
 وليس ينتظر الكثير أو القليلاً  
 كن عون محتاج ضعيف  
 عاش مسوراً ذليلاً

عن أبي موسى ؓ عن النبي ﷺ قال: { مثل المجلس الصالح والمجلس السوء  
 كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن يتباع منه، وإما أن  
 تجد منه ريحاً طيباً، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة } .

كذب المنجم مهما قوله صدف  
ومن أتى بابه استدبر الهدف  
فالغيب لله، ليس لمفتخر رجف  
كذب المنجم فيما زيفه هرف  
من ظنه عارفاً عن دينه عزف

قال عليه السلام: { من أتى عرافاً فسأله عن شيء فصدقه بما قال لم تقبل له صلاة أربعين يوماً } { أخرجه مسلم وأحمد والبخاري } .

المسلمون جم يعهم جسد  
وحديد في المشاعر  
إن يشتكى عضو يعش  
أعضاؤه ما بين محمود وحائر  
هَذَا كَلَامُ رَسُولِنَا  
المختار في السنن الظواهر  
حتى ننافح عن جميع ضلوعنا  
في وجه طماع وجائر

عن أبي عباس عليه السلام قال: قال عليه السلام: { المسلمون تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم ويسعى بذمتهم أدناهم ويرد على أقصاهم } { سنن ابن ماجه } .

فـيـك الـتـتـقـت رايـات حـق  
تـنـشـر الـنـور المـبـيـن  
وعـلـت صـرـوح الخـيـر وانقـشـع  
الظـلام فـلا هـوان ولا أنـين  
بـدر و حـطـين وملحـمة العـبـور  
عـلامـة الـزـمن الجـمـيـل  
شـهـر التـقـى والـصـوم  
والـصـدقـات قـرباً للـجـيـل

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: { من صام رمضان إيماناً واحتساباً  
غُفر له ما تقدم من ذنبه } { رواه أحمد والنسائي } .

كـان العـبـور هـديـة  
مـن خـالق الكـون الكـريم  
حـتـى نـظـهـر أـرضـنا  
مـن مـدع بـسـاغ أثـيم  
كـان العـبـور جـزاء ملحـمة  
مـن الجـهـد العـظـيم  
قـد صـاغـها جـند تـتوق  
لـحـور جـنـات النـعـيم

قال ﷺ: { إن النصر مع الصبر والفرج مع الكرب وإن مع العسر يسراً } {  
سلسلة الأحاديث الصحيحة، ناصر الدين الألباني } .

هـى وحادة غابت طويلاً  
غير أنالاً نمل الانظار  
فيها نعيد حضارة وكرامة  
كانت على الدنيا الفئار  
ويسير واحدنا من البحر المحيط  
إلى الخليج بغير إذن أو قرار  
ينساب فى الوطن الكبير  
الخير من كل الجرار  
لا يشتكى من تخمة بمدينة  
وفى الأخرى البضوار

قال ﷺ: { مثل المؤمنى فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا  
اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى } { أخرجہ مسلم } .

الحج رحلة عاشق  
قطع الحياة هوى وحباً  
يشتاق للبيت العظيم لكى  
ينال رضى وقرباً  
وتهزه مرأى السديار  
كما يهز الوجود صرباً  
يسعى ويسأل ربه  
فيجيبه المنان قرباً

عن أبى هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: { العمرة إلى العمرة كفارة ما بينهما  
والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة } { أخرجہ مسلم والبخارى } .

من ذا يبلغنى المقام  
وروضة أشكو الكروب  
وأبث صاحبها شجوني  
والتياعى فى الدروب  
قد كان ما حذرتة  
وأصابنا وهن رهيب  
أعدادنا كالنمل لكن  
تمحى إن صاح ذيب

عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: { يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ، قال: بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من قلبكم المهابة منكم وليقذفن الله فى قلبكم الوهن، فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن: قال: حب الدنيا وكراهية الموت { حديث صحيح، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ناصر الدين الألبانى } .

لا تكتمن شهادة تنجى  
بريناً ممن جريمة  
وتقول لا أرجو القلاقل  
فى دهاليز كثيرة  
فالصمت يغرى الأثمين  
يقوض الأسس الكبيرة  
ويقود أصحاب الحقوق  
إلى دهاليز السيمة

قال ﷺ: { لا يمنعن رجلاً هية الناس أن يقول بحق إذا علمه أو شهده أو سمعه }  
{ كتاب تخريج الأحاديث، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ناصر الدين الألبانى } .

زعم الشقي بأنه سيتوب  
 إن شأبت جفونه  
 ومضى يعربد موقناً  
 أن المنية لا تخونه  
 حتى أتته فلم يجد  
 شيئاً بجعبته يعينه  
 ومضى إلى سفر طويل  
 دون زاد أو مئونة

عن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ قال: { إن الله ﷻ ليقبل توبة العبد ما لم  
 يغرغر } { سنن ابن ماجه، حديث حسن } .

لبيك لا أحداً سواك  
 لبي له ألبى  
 وأجيبه فنى كل أن  
 ساجداً وجلي وقلبي  
 لبيك ما مر النسيم  
 وأينع الغصن الجميل  
 والتقى بالأرض جنبى  
 لبيك فى كل الزمان  
 فأنى ربى

عن أبي سهل الساعدي إن رسول الله ﷺ قال: { ما من ملب مر لبي إلا لبي ما  
 عن يمينه وشماله من حجر أو شجر أو مدر حتى تقطع الأرض من ها هنا وها هنا } {  
 سنن ابن ماجه } .

الحق أوضح من ضياء الشمس  
 ففى عز الظهيرة  
 لكن أهل الزيف يلوون الحقائق  
 والمعانى كالفتيحة  
 حتى يتوه الناس ما  
 بين الفضيحة والردية  
 وتضيع فى الدنيا الحقوق  
 وتختفى قيم جميلة

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: { إنكم تختصمون إلى إنى أنا بشر، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، وإنما أفضى لكم على نحو مما أسمع فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار يأتى بها يوم القيامة } { أخرجه البخارى } .

امسح على رأس اليتيم وكن له  
 فى يوم عيد كافلاً ومعياً  
 وصل القريب وزر مريضاً سائماً  
 تجد الإله لدى المريض مقياً  
 ودع التخاصم والتدابير للسورى  
 وكن الحلیم ورتل التنزيلا  
 تجد الحياة بهية وكريمة  
 تجد الجميع مؤازراً وجميلاً

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: { كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين فى الجنة، وأشار بالسبابة والوسطى } { رواه مسلم } .

قال الرعاة وأكثرُوا  
 إن الذناب تراود الشاة القصية  
 والخير أن تبقى الشياه جماعة  
 حتى تظل برغم رقته قوية  
 فلم الشياه، العارقات لضعفها  
 متفرقات هازنات بالقضية  
 يركضن فى سكك الذناب يرحنها  
 وكأنهن الباحثات عن المنية

عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: { ما من ثلاثة فى قرية، ولا بدو  
 وتقام فيها الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان فعليك بالجماعة فإنما يأكل الذئب  
 من الغنم القاصية } { سنن أبي داود } .

ظهر الفساد ببرهم وبيجرهم  
 ويكاد أن يأتنى إلينا  
 إنى أخاف ونحن نغبط قبحهم  
 أن تمسخ الأخلاق فينا  
 قد يفخرون بمصنع وبمعمل  
 وبكل ما يسبى العيوننا  
 فإذا مضت عنا المروءة  
 والرجولة لا نجد إلا مشيننا

عن أبي سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال: { لتبعن سنن من كان قبلكم شيراً شيراً  
 وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا حجر ضب تبعتموهم، قلنا يا رسول الله اليهود  
 والنصارى قال فمن ؟.. } { رواه البخارى } .

قد قدر الأقدار ربك  
 فاطمنن ولا تكن عبداً عجولاً  
 ما دمت تسعى في فجاج الأرض  
 ملتمساً بها عيشاً جميلاً  
 ما دمت تحيي منهج الله العزيز  
 وتستعين بحاله سبحانه طويلاً  
 ما دمت تفعل كل ما في الوسع  
 منتظراً من الله القبولاً  
 فإذا بلغت الأمنيات  
 غنمت ما ترجو وحققت الوصولاً  
 وإذا مضت عنك الأمانى  
 عشت محموداً ومأجوراً نبيلاً

قال عليه السلام: { لا حيلة في الرزق ولا شفاعة في الموت } { صدق رسول الله } .

العلم نور يقتفـيه  
 العاشقون مدى الحياة  
 ويـزيدهم نهمـاً إليه  
 بلـوغهم منه شـذاه  
 لا الجهـد يمنعه ولا الأيـام  
 تصـرف همه عما ابتغاه  
 فـإذا فـزعت من المشيب  
 بمفرقـى وبـها جـنانه  
 فالعـذر أنـسى عاشق  
 للعلم لا أرجو سـواه

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: { تعلموا العلم فإن تعلمه الله

خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه

صدقة، وبذله لأهله قربة } { صدق رسول الله } .

الفتح درس فى التسميح  
 والتواضع والصفح الجميل  
 دخل الرسول وأهل مكة  
 بين مذهبول ومرتعد ذليل  
 فعفا وأصلح قائلأ  
 اليوم مرحمة وشكر للجليل  
 لم تسكر المختار قوته  
 لتودى بالكثير أو القليل

فى نهاية خطبته، وهو يقف بباب الكعبة يوم الفتح قال ﷺ: { يا معشر قريش ما ترون أبى فاعل بكم، قالوا: خيرأ، أخ كريم وابن أخ كريم، قال: فإنى أقول لكم كما قال يوسف لإخوته: لا تثريب عليكم اليوم اذهبوا فأنتم الطلقاء } { سيرة ابن هشام }

شرع الإله هو النجاة  
 ومن نأى عنه يتوه ويغرق  
 فلم الأنعام يبعثرون حياتهم  
 فى البحث عن سلك تطول وتحرق  
 ويطبِقون جميع وصفات الدواء  
 سوى الذى جعل الدواء يطبق  
 فإذا رأوا من قد بحث على التقوى  
 قالوا دعى بالغواية ينطق

عن جابر بن عبد الله قال: كنا عند رسول الله ﷺ فخط خطا، وخط خطين عن يمينه، وخط خطين عن يساره، ثم وضع يده فى الخط الأسود فقال: هذا سبيل الله ثم تلا الآية: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ { الأنعام ١٥٣ } { حديث حسن، سنن ابن ماجه }

لا يمنح الله انتصاراً للكسالى  
 الخائفين الهاربين من الحقيقة  
 فالله عدل لا يحابي أو يجامل  
 فى حقوق العاملين من الخليقة  
 من جد فى هذه الحياة يجد  
 مناه كما يشاء وهذه نعم الطريقة  
 أما الذين تواكلوا وتعللوا  
 فسيركبون سفينة دوماً غريقة

قال تعالى: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ {محمد ٧} .

لماذا يخلط الأوراق قوم  
 يركبون سفينة فى وجه ناصح ؟  
 ويؤولون كلامه فى غير موضعه  
 القويم يلفقون له الفضائح  
 يتجاهلون بأنهم سيصيبهم  
 نفس المصير، وكلهم فى اليم صارخ  
 فالموج إن بلع الغريق وهاج  
 لا يختار ما بين الصوالح والطوالح

عن النعمان بن بشير عن النبي ﷺ قال: { مثل القائم على حدود الله والواقع فيها  
 كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها فكان الذين  
 فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو خررنا فى نصينا خررنا  
 ولم نؤذ من فوقنا فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا  
 ونجوا جميعاً } { رواه البخارى } .

أَمْسِكْ لِسَانَكَ لَا تَدْعُهُ  
يَخْوِضُ كَالذُّبِّ الْعَقُورِ  
عَلِمَ الْحَقَّ بَيِّنَةً أَوْ تَكْهِنُ  
دُونَ فَهْمٍ فِي غُرُورِ  
فَاللَّهُ يَسْأَلُ عَبْدَهُ عَنِ  
كُلِّ لَفْظٍ قَالَهُ يَوْمَ النَّشُورِ  
وَلِرَبِّمَا أَلْقَى الْكَلَامَ بِصُحْبِهِ  
فِي قَاعِ مَهْلِكَةِ تَفُورِ

قال بلال بن الحارث: سمعت النبي ﷺ يقول: { إن أحدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن أحدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله بها سخطه إلى يوم يلقاه } { أخرجه الإمام أحمد والترمذي والنسائي } .

إِلَى رَبِّكَ الرَّجْعِي فَمَا لَكَ  
تَبْتَغِي رَبًّا سِوَاهُ بِلَا حِيَاءٍ؟  
كَأَنَّكَ لَنْ تَقَابِلَهُ وَتَنْسِي  
يَوْمَ يَنْقَطِعُ الْخَلِيلُ أَوْ الرَّجَاءُ  
وَتَفْرَأُ مِنْ بَنِيهَا كُلِّهِمْ  
وَلِكُلِّ فَرْدٍ شَأْنُهُ يَوْمَ الْلِقَاءِ  
وَيَقُومُ مَفْزُوعُ الْفُسُؤَادِ مَرْوَعًا  
كُلُّ الذِّي ضَلَّ الطَّرِيقَ وَمَنْ أَسَاءَ

قال ﷺ: { من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبية أو يدعوا إلى عصبية أو ينصر عصبية فقتل قتل جاهلية } { أخرجه مسلم } .

أفشوا السلام لكى تصير قلوبكم  
كالنبع فى فن المحبة صافى  
فهو الطريق إلى التعارف بينكم  
وهو السبيل إلى الأمان الضافى  
وبه تزول من القلوب ضغائن  
وبه العداوة تنتهى لتصافى  
إن السلام اسم الإله ونعمة  
فى الناس قد جلت عن الأوصاف

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: { والذى نفس محمد بيده لا  
تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ألا أدلكم على أمر إذا فعلتموه تحاببتم:  
أفشوا السلام بينكم } { رواه مسلم والترمذى وابن منذر وأبو داود وأحمد والبيهقى  
والبخارى }

أى الأنعام أحق عندى بالمبرة  
والمسرة والولاء وحسن صحبة  
قال الحبيب بأنها الأم التى  
جعلت لك الأيام غناء ورحبة  
فأعاد يسأل من يلى أمى  
بحق فى التقرب والمودة والمحبة  
فيجيب أمك إن رقة قلبها  
تأتى من الرحمن مرحمة ووهبة  
وأبوك أولى بالرعاية بعدها  
ورعاية الآباء فى الإيمان شعبة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: { قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله  
من أحق الناس بحسن صحابى ..؟ قال: أمك، قال ثم من؟ قال: أمك قال ثم من؟ قال:  
أبوك } { رواه البخارى ومسلم . }

الدين يسر لا يجوز لأهله  
 أن يجعلوه مطية الإزهاق  
 ويحملوا الآيات غير مرادها  
 فيلف حبل العنق بالأعناق  
 والأصل في الأشياء دوماً حلها  
 لكنهم يأبون غير شقاق  
 يارب إن الحب أصل عبادتك  
 والخوف يقتل همة المشتاق

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: { قال رسول الله ﷺ: إن الدين يسر ولن يشاد الدين  
 أحد إلا غلبه فسددوا، وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة }  
 { البخارى }

يا عائداً من أرض مكة مشرقاً  
 بالنور بعد زيارة وطواف  
 أكملت أركان العبادة كلها  
 ورجعت كالثوب النقى الصافى  
 فأنشر لدى الكون الجميل هداية  
 تسمو بلذتها على الأوصاف  
 وكن النموذج للذى خبر التقى  
 وحلاوة الإيمان والإعفاف

قال ﷺ: { من حج ولم يرفث ولم يفق رجع كيوم ولدته أمه } { صدق رسول

الله }



كلام جميل كصفو السماء  
 وفعل قبيح يجافى الحياء  
 ونرجو من الله نصراً وعزاً  
 وكل الذى نستطيع الرجاء  
 وربك يعطى مجداً دعواً  
 وليس يحابى قليل العطاء  
 وليس يغير ما فى العباد  
 إذا ما تمادوا ببحر الجفاء

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: { إنكم تختصمون إلى إنما أنا بشر، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، وإنما أفضى لكم على نحو مما أسمع فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار يأتي بها يوم القيامة } { أخرجه البخارى } .

قال الكلام لصحبه  
 كن واعياً قبل الدخول  
 إلى رحابى  
 فإنا كشيطان رجيم والأفاعى  
 رابضات عند بابى  
 وأنا ملك محبة ومودة  
 والعطر ينشره كتابى  
 فاختر لنفسك أى باب  
 أنت تدخله ليكتب فى الحساب

عن سفيان بن عبد الله الثقفى قال: قلت: يا رسول الله حدثنى بأمر اعتصم به .  
 قال: { قل: ربى الله ثم استقم } قلت: يا رسول الله ما أكثر ما تخاف علىّ . فأخذ  
 رسول الله بلسان نفسه ثم قال: هذا { رواه مسلم } .

ربما أكون قد أخطأت مرة  
 وربما يكون مرتين  
 لكن عفو الله أوسع  
 من خطايا العالمين  
 يلقى المسئى بفرحة  
 إن تاب توبة مخلصين  
 فلم يقابلنى إلا نام  
 كأنهم لا يخطئون  
 وكأننى وحيدى الذى  
 وضع الجريمة والخطيئة  
 فى طريق الطيبين

قال ﷺ: { كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون } .

كن صادقاً فالمؤمنون بربهم  
 لا يكذبون  
 قد يضعفون فيخجلون  
 ويجبون ويخجلون  
 لكنهم بالحق ليس بغيره  
 يكلمون  
 كن صادقاً، فالصدق منجاة  
 وإن كثرت ظنون

قال رسول الله ﷺ: { كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع } {رواه مسلم}

قد أنجز الرحمنُ ما وعدَ الرسولَ  
 وصار للإسلام قوته المهابة  
 والحق أصبح ظاهراً، والشرك  
 يغربُ في لياليه المعاباة  
 والمالكون حضارة يتساءلون بدهشة  
 عن دعوةٍ صارت مُجاباة  
 والنور يضيئ والقلوبُ نوافذ  
 للسدر تُربو نحو فضته المذابة  
 والرحمة المهداة يدعو قومه  
 كي يخرجوا للنور من تلك الكأبة

قال رسول الله ﷺ: { إن هذا الدين سيبلى ما بلغ الليل والنهار } .

في ليلةٍ كانت على الدنيا  
 عطشاً لا يـضاهي  
 من فضل جواد كريم منعم  
 في كل نفس قد بـراها  
 نزل الكتاب لكي يعيد  
 العالمين إلى هداها  
 خيراً تفوق الألف شهر  
 فابـتدر واغـنم عطاها  
 يا حظه من قد يصادفها  
 ويـنهل من صفافها

قال رسول الله ﷺ: { من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه } .

يا ربنا أعد الطريق لأمة  
 تاهت وفرقتها أذى الأهواء  
 لتعود كالماضى السراج لعالم  
 يهديه نحو النار فى الظلماء  
 هى خير ريان الحياة إذا وعت  
 هدى الكتاب وسنة غراء  
 لكنها تركت مشاعل دينها  
 وجرت وراء مطامع وخواء

قال ﷺ: { تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبداً: كتاب الله  
 وسنتي } { صدق رسول الله } .

أمانة نفس الفتى بالسوء  
 فاحرص أن تعودها الصلاح  
 حتى تظل على استقامتها  
 بعيداً عن شرور أو جماح  
 لكن إذا تركت كما تهوى  
 هتوت نحو البطاح  
 ويعيش صاحبها مذلة غيها  
 بالقاع مكسور الجناح

قال ﷺ قال: { أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك } { صدق رسول الله } .

كن مسلماً فى كل حال  
 ليس فى وقت الصلاة  
 فالدين يرفض أن يجنب  
 من تفاصيل الحياة  
 أو أن يحال إلى طقوس  
 خالفيات من شذاه  
 أو أن نجزئه كما نهوى  
 كأب العنبرة  
 فالدين دستور الحياة  
 لكى نسير على هداه

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: إن رسول الله ﷺ قال: { المسلم أخو المسلم لا  
 يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم  
 كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة  
 { البخارى } .

من ليس يأمن جاره إيذاه  
 لا يؤمنن بآية القرآن  
 للجار حق كيف يغط حقه  
 من عاش يبغى طاعة الرحمن  
 قد ظل يوصى بالجوار أمينه  
 طه النبي موقر الجيران  
 وكأنه ابن له من صلبه  
 وكأنه من خيرة الإخوان

قال ﷺ: { والله لا يؤمن ( ثلاثة ) من لا يؤمن جاره بوائقه } .

الكبير يعصف بالنفوس يفتها  
وكأنه من طينه البركان  
ويحيلها نحو الضياع ودربه  
فتكون مرتع ذله وهوان  
فالكبير لله العظيم جلاله  
من ذا ينازعه عظيم الشأن  
فادع التكبر فالتواضع عزة  
يسمو بصاحبه إلى الإحسان

قال رسول الله ﷺ: { لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر }  
صدق رسول الله { .

يارب كم لي رجاء لست أعلنه  
وأنت تعلم إسراري وإعلاني  
حقق رجائي وكن عونى وكن سندی  
واملاً فؤادى بنور يمح أحزاني  
يارب إن لم تعف عن ذنبي وعن  
خطي  
من يملك العفو غيرك من  
لأشجانى!!  
من استجير به فيقبل كل ما فعلت  
نفس أقوامها فتعصيني وتنهاني

ورد أن جبريل عليه السلام سأل سيدنا إبراهيم عليه السلام: وقد ألقاه قومه في النار: ألك إلى ربك حاجة..؟ فقال: علمه بحالى يغنى عن سؤالى .

قالوا السياسة تزويق الكلام  
 إجادة اللف العقيم بغير غاية  
 قالت الوضوح سياسستي  
 والصدق أقرب في الوصول  
 إلى الهداية  
 والغاية الأسمى تنال  
 بممنطق أسسمى  
 وليس الإلتواء أو الغواية

قال ﷺ: { إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً. وإن الرجل ليكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً } { أخرجه البخارى ومسلم } .

ليس السكوت بكل حال من ذهب  
 أو إنه يحمى اللسان من العطب  
 فالصمت عن حق العباد جريمة  
 تغرى الظلوم بأن يزيد من الشعب  
 وتشيع فى قلب الضعيف اليأس  
 من حق يعود إذا غصب  
 فيصير حكم الغياب قاعدة  
 لا تعترف إلا بقوة من غلب

قال رسول الله ﷺ: { من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت }  
 { أخرجه البخارى ومسلم } .

كل يساوى بعضه  
إلا تقى يبتغى فضل الإله  
فالآب آدم أصله من طينة  
شهد التنقل فى الملوك مع الرعاة  
فلم التكبر والتجبر والتعالى  
ببها حبا حبا  
فالعنصرية شر داء  
أتلقت أممها وجاه

قال رسول الله ﷺ: { الناس سواسية كأسنان المشط، لا فرق لعربى على أعجمى إلا بالتقوى } .

العفو لا يقوى عليه سوى الذى  
يسمو به قلب عن الأضغان  
فىرى ذنوب الناس أهون عنده  
من أن يسبوء بذلته وهوان  
ويرى رضى الرحمن غاية حلمه  
فىجود بعد العفو بالإحسان  
فىعود قلب عدوه حبا له  
يفديه من شر ومن خذلان

قال رسول الله ﷺ: { أمرى ربي بأشياء وأنا أمركم بهن: أن أعفوا عنى، وأن أعطي من حرمي، وأن أصل من قطعني } .

هو شعبة فى الدين إن ضاعت  
 من الدنيا يضيع بهاء محيانا  
 تمسى وجوه القوم جامدة  
 بلا حس ويغدوا القلب صوانا  
 لا تكثرث بالمنكرات وبالخنا  
 وتمر بالعورات الغلظ عميانا  
 إن الحيا روح الحياة وعزها  
 لو غاب عنا نعيش الشر ألوانا

قال رسول الله ﷺ: { الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول: لا إله إلا الله .  
 وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من شعب الإيمان } .

قالوا حلیم والحلیم بطبعه  
 لا يكثرث بتناول الجهلاء  
 قلت الحلیم يقيل عثرة عائر  
 ويمد حبل العفو من علياء  
 فإذا تمادى الجاهلون بجهلهم  
 واستمرعوا التأجيل بالإغضاء  
 غضب الحلیم وبإلها من غضبة  
 تهتز فيها لأرض كالرقطاع

قال ﷺ: { إن الله يُمنى للظالم حتى إذا أخذه لم يُفلته } { صدق رسول الله } .

حُبُّ الرِّسُولِ وَآلِهِ  
 دِينُ التَّقَاةِ العَارِفِينَ  
 فَهُوَ المَنَارُ بِلْيَانِنَا  
 وَهُوَ الأَدْلَىةُ وَالسَّفِينُ  
 وَهُوَ الهِدَايَةُ إِن أَرَدتْ  
 هِدَايَةَ وَهُوَ المَعِينُ  
 حُبُّ الرِّسُولِ عِبَادَةُ  
 فِيهَا أَمَارَاتُ اليَقِينِ

قال رسول الله ﷺ: { أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، وأحبوني حُب الله،  
 وأحبوا آل بيتي حتى } { رواه الترمذى } .

## قصة الرباعيات

الرباعيات الشعرية التي تناول كل واحدة منها فكرة سريعة، ليست جديدة بل إن الرباعية الواحدة قد تقوم مقام قصيدة كاملة تستقصى مبدأ ما، أو دعوة معينة .

كذلك ترجمة فكر معين ومحدد في موضوع واحد شعراً ليس جديداً فقيماً قام الفقهاء بكتابة أحكامهم الفقهية شعراً، وكذلك فعل النحاة وعلماء الكلام {التوحيد}، بل فعلها علماء الطب وغيرها من العلوم المادية، وكما رأينا فقد حول بعض الشعراء حكايات كليلة ودمنة الفلسفية إلى شعر . إلا أن أحداً على حد علمي — لم يتناول معاني أحاديث رسول الله ﷺ وحولها إلى شعر، بل إن معظم ما كتب من شعر ديني كان عبارة عن ابتهالات وأدعية لله ومدائح نبوية وتوسل بها، لذلك كان تفكيرنا في تقديم هذه الرباعيات التي تناول كل واحدة قيمة خلقية تحفظ للإنسان دينه ودنياه معاً .

بدأ التفكير في كتابتها استجابة لاقتراح رئيس تحرير الجمهورية السابق الأستاذ سمير رجب حين طلب أن تكون في صفحة الدين بالجريدة في شهر رمضان مقطوعة شعرية، فاستعنا بالشعراء من خارج الدار ليقوموا بالمهمة وكان الأمر صعباً على بعضهم، وهو ما دعاني بعد ذلك أن أعد الرباعيات لتقدمها . حين يطلب نفس طلبه السنوي، وهذا ما حدث فأعجب بها وأمر أن تكتب بشكل يومي طوال رمضان عام ٢٠٠٣، وقد تم ذلك بالفعل .

في العام الثاني ٢٠٠٤ دعاني زميلي الأستاذ محمود فرج رئيس القسم الديني بجريدة الوفد إلى تقديم التجربة بالصفحة الدينية التي يشرف عليها في رمضان على مدى

٣٠ حلقية. وقد تم ذلك بالفعل وهو امر لاقى استحساناً، ممن فابنوا من القراء أو اسلفوا بالبريد أو هاتفوني بالخاف، وضالموني بأهمية إثبات هذه الرباعيات في كتاب تحت نفس العنوان التي كانت تنشره في الجمهورية والإفاد. وهن: { تجليات }. فنشرت أن يصحب الرباعية حديث نبوي يحمل معانيها .

فريد إبراهيم

القاهرة يونية ٢٠٠٧م

obeyikan.com

obeyikan.com

## الفهرس

ص	الموضوع
٣	المقدمة.....
١٣	من رباعيات صلاح جاهين.....
٣١	نبذة عن صلاح جاهين.....
٣٧	فيلسوف الفقراء.....
٤٠	مزامير الحب والبهجة.....
٤٢	مسئولية الكلمة.....
٤٦	هل خان نفسه.....
٥٠	من رباعياته.....
٥٢	من شعره.....
٥٥	صلاح جاهين بين عبد الناصر وعبد الحليم.....
٣٢	دردشة.....
٣٥	أعماله السينمائية.....
٧٤	فرسان الثورة.....
٧٨	قصيدة الدرس المنتهى.....
٨٩	أسرار عن الشاعر المشهور.....
٨٢	فيلسوف أولاد البلد.....
٨٩	تحميل العامية معانى فلسطين.....
٩٦	المسافر الكبير.....
١٠٠	زى الشراكسة والشموع.....
١٠٥	من رباعيات صلاح جاهين.....
١٠٨	الإنسان والفنان.....
١١٠	مصر تحتفل بمرور ٧٦ عاماً على ميلاد صلاح جاهين.....
١١٤	مثقفات مصريون يحتفلون بشاعر العامية.....
١١٧	مختارات من رباعيات.....
١٢٥	صوت الشعب فى صوت ابن الطبقة.....
١٢٨	مغنى الثورة.....

١٣٠	..... من رباعيات صلاح جاهين
١٣٣	..... البحث عن عروق الذهب فى اللغة المصرية
١٣٨	..... أقنعة الحياة والموت
١٤٠	..... القوالب الموسيقية
١٤٧	..... الحرية / التعبير
١٥٢	..... فلسفة الرباعيات
١٦٤	..... صلاح جاهين وجابر عصفور
١٧١	..... احتفالية صلاح جاهين
١٧٧	..... صوت مصر وصوت البشرية
١٨١	..... من رباعيات صلاح جاهين
١٨٣	..... عمر بن الخيام
١٨٥	..... عمر الخيام بين فكى التاريخ
١٨٦	..... من رباعيات الخيام
١٩٦	..... عمر الخيام رباعيات شعرية ومعادلات رياضية
١٩٧	..... حياة الخيام
٢٠٣	..... من رباعيات الخيام
٢٠٧	..... عمر الخيام المفترى عليه
٢١٠	..... عمر الخيام ونظام الملك الحسن الصباح
٢١٢	..... دراسات الخيام وعلومه
٢١٥	..... نبذة من أشعار لخيام
٢٢٢	..... من رباعيات الخيام
٢٢٩	..... سماه الشرقيون الحكيم والغربيون ملك الحكمة
٢٣٣	..... حكايات عن الخيام
٢٣٥	..... الرباعيات فى العربية
٢٤٠	..... لوحات عن عالم الخيام
٢٤١	..... أحمد رامى وترجمته لرباعيات الخيام
٢٤٣	..... من الرباعيات
٢٥٥	..... الأصل الفارسى
٢٥٩	..... بين عمر الخيام وصلاح جاهين

٢٦٣	.....أحمد الصافي النجفي وعمر الخيام
٢٦٥	.....أحمد الصافي النجفي
٢٦٨	.....الشاعر الفيلسوف
٢٧٣	.....من رباعيات الخيام
٢٨٢	.....براءة الخيام
٢٨٩	.....أشعار عمر الخيام
٢٩٠	.....قيتزوجوالد هل زيف ؟
٢٩٩	.....القيم والعادات الاجتماعية في مربعات ابن عرس
٣٠٠	.....دروس الشاعر
٣٠٦	.....مختارات من مربعات ابن عرس من الشعر الشعبي
٣٠٩	.....تعريف بابن عرس
٣١١	.....مربعات ابن عرس
٣١٥	.....مختارات من مربعات ابن عرس
٣٢١	.....عبد الرحيم منصور / سيرة ذاتية
٣٢٣	.....مختارات من رباعيات عبد الرحيم منصور
٣٣٠	.....من رباعيات الحب
٣٣٦	.....من رباعيات الحكمة
٣٤٥	.....جانب من رباعيات الشاعر فريد إبراهيم
٣٧٧	.....الفهرس